

دكتور

عبد الودود شلبي

قضايا إسلامية معاصرة

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

حوار تاريخي

مع نخبة من الدارسين والباحثين

فى تاريخ الأديان والحضارات

دار الفتح للإعلام العربي

اسم الكتـــاب : هل أنتشر الإسلام بالسيف
المؤلــــف : د.عبد الودود شلبي
سنة الطبـــع : ٢٠٠٥/٢٠٠٦
المطبعـــة : مطبعة الاتحاد
رقم الإيـداع : ٢٠٠٥/٧٢٢٦
الترقيم الدولي : 977-5269-37-7

الطبعة الأولى
١٤٢٦/٢٠٠٥

دار الفتح للإعلام العربي
طباعة - نشر - توزيع
جمهورية مصر العربية
العنوان الإدارة : ٢٢ شارع خيرت السيدة زينب- القاهرة
ت/ف: ٧٩٢٥٣٢١
المكتبة : ٣٢شارع الفلكي باب اللوق - القاهرة
ت:٧٩٥١٠٧٣



لقد صدرت عدة طبعات من هذا الكتاب تحت عنوان « الإسلام وخرافة السيف » وقد رأينا إعادة طبعه تحت هذا العنوان الجديد تيسيراً للفهم

عندما أجرى هذا الحوار لم يكن على هذا النحو من الشمول والتوسع فهناك فرق بين الكلام المرسل من وحي الخاطر ... وبين الكتاب الموثق بالمصادر والمراجع ..

كلمة الناشر

يربطني بالدكتور عبد الودود شلبي صلة وثيقة ومتينة منذ زمن بعيد.. وعلى الرغم من قصر هذه المدة والتي تتعدى العشرين عامًا إلا إن هذه الصلة ممتدة منذ أن كان طالبًا في الأزهر الشريف عندما قدم إلى القاهرة فكانت العلاقة والصداقة بينه وبين والدي ووالده أكثر قوة وصلابة .. ومن هذا العبق التاريخي الجميل أرى شباب الدكتور عبدالودود شلبي في نضاله وكفاحه ومشواره وتاريخه الكبير عندما اقترب منه وأراه وودت أن أسجل هذا الإحساس والود والشعور بالانتماء له والاحترام المتبادل بيننا فكان نتاج ذلك كتاب حول العالم الإسلامي والذي تشرفت بنشره وها أنا إذ أتشرف بنشر كتابه الثاني ضمن إصدارات مركز الراية للنشر والإعلام والذي يفخر بكتاباته راجيًا من الله عز وجل أن يجمعنا معًا على طريق الخير .

مدير مركز الراية

أحمد فكري



لم ننس ... ولن ننسى

لقد اعتاد الكتاب فى الغرب أن يلصقوا بالإسلام تهمة التعصب . أفلا يتذكر هؤلاء أنه لم يترك مسلم واحد حيًا فى أسبانيا وفى صقلية ، وفى أبوليا؟

هل نسينا أنه لم يترك مسلم واحد حيًا ، ولا مسجد واحد قائمًا فى اليونان فى أعقاب الانقلاب الذى وقع عام ١٨٢١ .. حيث قتل من المسلمين ثلاثمائة ألف بمن فيهم من الشيوخ والنساء والأطفال ؟

هل نسى هؤلاء أن المسلمين كانوا أغلبية فى دول البلقان ثم تحولوا بعد ذلك إلى أقلية بسبب التعذيب والإرهاب والقتل ؟

أفلا يتذكر هؤلاء كيف عاش غير المسلمين فى كنف الإسلام ، وكيف شاركوا المسلمين فى الإدارة والحكم والسلطان حتى إذا سقط علم الخلافة وأتيحت لهم الفرصة استباحوا دم المسلم وعرضه أو يترك الإسلام ؟

محمد بكتال مارمادوك

المسلم الإنجليزى

ولكن ..

ما يكون

أنا لا احفل . أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية طريقة أخرى...

فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ...

لندعها تكافح بأيديها وأرجلها و أظافرها ...

توماس كارليل

المفكر البريطاني

العقيدة ..

الديمقراطية

إنى أعتقد كما يعتقد كل المفكرين أن الإسلام هو العقيدة الديمقراطية الوحيدة التى لا تزال حية فعالة باقية فى عالمنا إلى اليوم . ولا يمنعنى من أن أقول ذلك إننى مواطن هندى تربى على العقيدة الهندية . بل أننى أقرر أن ديانتى لم تنجح فى أن تحقق عملياً الوحدة بين بنى الإنسان ، وليس تحت دين آخر مهما كانت فلسفته وعمقه قد نجح فى أن يجسد فكرة الوحدة الإنسانية وتساوى الناس أمام خالقهم سوى الإسلام .

السير راما سوامى

المفكر الهندى



مُقَدِّمَة

أكتب هذا الكلام ، وجسدى لا يزال يرتعش والدموع لا تزال تبلل وجهى ، وما زلت فى حالة ذهول غير مصدق لما رأيت ، أيمكن أن يحدث هذا ، وفى زمن يتحدثون فيه عن حقوق الإنسان ؟!!!

❁ ❁ ❁

❁ لقد جفت الدموع فى عينى .. وتحشرج صوتى وأنا أشاهد صورة شاب يوغسلافى مسلم يتضرع بفزع إلى عصابات الجيش الصربى ألا يقتلوه.. ولكن هذا التضرع لم يصادف قلوب بشر .. لقد تحول الصربيون إلى وحوش ضارية مجنونة تقتل وتذبح وتغتصب العذارى العفيفات من بنات الإسلام اللاتى فقدن الأب ، والأم ، والأخ ، والزوج .. وخرجن إلى عرض الطريق فراراً من القصف والموت والقتل .. ولكن وحوش الصرب كانوا لهن بالمرصاد والأوغاد الخنازير لم يتركوا واحدة منهن حية بعد الاغتصاب ..!!

إن الشاب المسلم أخذ ألى بناية مكونة من سبعة طوابق ، ومن الطابق السابع قذفوا به إلى الارض ليموت بين جثتى أمه وأخته اللتين قتلا قبل أن يلقى بجثته من فوق السطح ..!!!

عشرات الألوف من المسلمين قتلوا فى عهد تيتو .. ثم جاء الصرب ليجهزوا على من بقى من المسلمين فى "كوسوفو" أو "الجبل الأسود» أو فى "بلجراد» وأخيرا فى "سرايفو» عاصمة البوسنة والهرسك.

وأكثر من ألف ومائتى مليون مسلم ومسلمة وحوالى خمسين دولة مسلمة، ومنظمة المؤتمرالإسلامى ، ورابطة العالم الاسلامى ، والمجلس الأعلى

للإغاثة ، وهيئة الأمم المتحدة ، وجامعة الدول العربية ، والمؤسسات والمنظمات الإسلامية كلها .. بدون استثناء ، لا حس ، ولا خبر.. ولا حتى كلمة رثاء .. أو حتى قراءة الفاتحة على أرواح الشهداء شيء من هذا لم يحدث !! منظمة واحدة لم تتحرك .. صوت واحد لم يرتفع .. لقد دب فى القلوب الوهن .. وماتوا فى حب الدنيا .. فمات فيهم الشعور بالألم..!!!

❁ ❁ ❁

إن الحرب ضد الإسلام فى قمتها .. شرقا وغربا .. لا خلاف بين أمريكا أو روسيا فى هذه الحرب .. كلاهما يعمل على تدمير الإسلام ومحوه من فوق هذه الأرض ، وكلاهما يسعى لاجتثاث جذوره وعقائده من كل قلب ، وكلاهما يخادع ويناور فى استدراج الضحية إلى شراكه كى يقضى عليها فى هدوء وصمت .. يحدث هذا كله و المسلمون فى غفلة.. بل يتم تنفيذه على أيدى بعض الزعماء والحكام فى أكثر من دولة.

و ".. فى خاطرى[1] صورة عمرها أكثر من أربعين سنة ، لا هى تغيب، ولا أنا انساها ، أو أمل التذكير بها .. صورة نقلتها الصحف عن إحدى المجاعات فى الهند خلال الأربعينات ، فشاعت وذاعت ، مثلما انتشرت صورة الطفلة الفيتنامية التى كانت تجرى والنار تشتعل فى جسدها من النابلم الأمريكى .. ولكن الصورة الهندية كانت مختلفة تماما ، فهى صورة فلاح هندى أنهكه الجوع فقط بلا حراك إلا عيناه التى تدور وتنبىء بإستمراره حياً.. وفى الصورة نرى ذراعه ممتدة إلى جانبه ، وقد برزت عظامها حتى كأنها بلا جلد ، وكلب جائع مسعور ينهش هذه اليد ، والرجل ينظر إليه ولكنه عاجز عن نهر الكلب ، عاجر عن جذب يده من انيابه عاجز حتى عن الصراخ .. وإنما نظرة غريبة ليست من هذا العالم نظرة ميت لو كان الموتى ينظرون ... جثة تأخر دفنها ، وكائن حى فقد كل خصائص الحياة .. أربعون

---

(١) هذا الكلام للأستاذ محمد جلال كشك نقلاً عن كتابه «إنهم يبيدون الإسلام فى بلغاريا ، ص٧-١٦

عاماً ، وهذه الصورة تقفز إلى خاطرى ، كلما واجهت أمتنا كارثة أو اعتداء وعجزت حتى عن التألم ... فنحن فى حالة من العجز والشلل تشبه حالة هذا الفلاح الهندى ، ونحن على هذا الحال منذ قرون عديدة قد تتجاوز الأربعمائة سنة بدأت بتخدر ثم شلل فى الأعصاب ، أفقدنا الحس والتجاوب والقدرة بل حتى الرغبة فى المقاومة ، فقد كان العثمانيون يدقون اسوار "فيينا"

ولكنهم لم يحركوا ساكناً لإنقاذ ثمانية ملايين مسلم ومسلمة فى الأندلس، حيث جرت أول واضخم عملية إبادة جماعية لشعب بأكمله على يد الكنيسة والدولة الكاثوليكية فى أسبانيا والبرتغال ، وتلك الجريمة التى تحلل منها الضمير العالمى ، بحذفها من ذاكرة التاريخ ، فهى لم تقع .... ولا يوجد مرجع غربى حاول أن يفسر،ولا أقول أن يدين ، لغز اختفاء شعب بأكمله ، وزوال حضارة دامت حوالى سبعمائة سنة ، ولا حاجة للحديث عن كميه ما نشر عن الستة ملايين يهودى ، بل ما نشر عن اختفاء السبط الثانى عشر من بنى إسرائيل أو اليهودى التائه أو ما أثير حول أصل الفلاشة .. ولكن لا أحد يهتم بالبحث عن شعب الأندلس الضائع ، لا أحد يقدم أمام محكمة التاريخ واقعة إبادة هذا الشعب .. لا أحد استقصى أصل ودين العبيد الذين نقلوا من العالم القديم إلى العالم الجديد فى سفن الأوروبيين ، وفى طليعتها أسبانيا والبرتغال،ولا كلمة عن مئات الألوف الذين ماتوا على المجداف فى هذه السفن وتحت ضربات السياط ، أو فى حقول أمريكا ، والذين ما زالت أسماؤهم ودماؤهم وألفاظهم فىدول أمريكا اللاتينية تشى بأنهم مسلمو الأندلس وسواحل أفريقيا ، وتشير بأصبع الاتهام إلى الجريمة التى ارتكبتها حضارتهم وما زالت مستمرة بالإصرار إلى تجاهلها وحذفها من التاريخ .. ولأن الفكر العربى المعاصر هو مجرد مسخ للفكر الأوروبى ، فإن كتابنا لم يكتفوا بجهل مأساة إبادة الأمة الأندلسية وتناسيها ، بل نجد بعض كتابنا إذا ما أراد التشهير بالإسلام والمسلمين يصرخ قائلاً : "تريدون إعادة محاكم التفتيش؟" .. ويظن جيل الجهل من تلاميذ هذه المسوخ ، أن محاكم التفتيش

ظهرت فى العالم الإسلامى ، أو أنها اختراع اسلامى ، أو استخدمها المسلمون ضد مخالفيهم فى العقيدة أو لتغير دين الشعوب التى خضعت للسلطة الإسلامية...

وكلنا نعرف أن السلطة الإسلامية هى أول سلطة فى تاريخ البشرية اعترفت بحق رعاياها فىاعتناق دين مخالف للدين الرسمى للدولة أو دين الفئة الحاكمة...وأنه فى تاريخنا عبر ألف سنة لم يعدم أو يعذب إنسان بسبب معتقداته ، وإنما لأسباب سياسية وللصراع على السلطة .

أما الحقيقة التى لايكاد يذكرها أحد ، فهى أن محاكم التفتيش ظهرت أولاً وأخيراً وفقط فى أوروبا الكاثوليكية ولكن أهم من ذلك أنها ظهرت أولاً واساساً ضد المسلمين ولتنظيم إبادتهم فى جنوب اوروبا وبالذات فى أسبانيا ... ومحاكم التفتيش هذه ، التى كانت باكورة هدايا الحضارة الغربية الناهضة للجنس البشرى ،هى التى عذبت المسلمين حتى الموت أوالردة عن الاسلام ، وحققت هدفها بنجاح لم يستطعه طاغية عبر التاريخ الدموى للبشرية ، ولا حتى فى حالة الهنود الحمر ، فقد بقيت بقية من هؤلاء إلى اليوم ، ولكن فى ظل الحضارة الأوروبية وعصر النهضة وسلطة الكنيسة الكاثوليكية ، اختفى شعب بأكمله فلم يبق فى ما كان يعرف بالاندلس أو أسبانيا والبرتغال اليوم، لم يبق مسلم واحد ولا ناطق بالعربية ولا مسجد واحد وأحصوا عدد غير المسلمين وعدد الكنائس فى البلدان التى حكمها المسلمون ...

نحن الذين لم نجبر مسيحياً واحد فى الاندلس على الاسلام ،ولا أغلقنا كنيسة فى وقت كان بوسعنا إبادة جميع المخالفين دون خسائر مادية...نحن الذين تركناهم يتمتعون بالقدرة على الحركة والتآمر حتى انقضوا على الدولة الإسلامية كنا أول ضحايا محاكم التفتيش ، ومع ذلك تجد المفكرين الغربيين إذا تحدثوا عن "محاكم التفتيش" لايذكرون المسلمين بحرف ... وإنما يروج هؤلاء أن ضحاياهم اليهود أو المذاهب المسيحية المنشقة ...

(وليس إلا فى كتابات حديثة جداً بـدأ الاعـتراف بوجـود المسـلمين فـى تلك الفترة وأن أجراءات الابادة والقهر العقائدى كـانت موجـة لهـم «أيضًـا» وهذا يأتى عرضاً فى سياق الحديث عن اضطهاد اليهود ... وصحيح أن هـذه المحاكم نالت بعذابها اليهود ثم المخالفين والمنشقين من المسيحيين ، وهذا تطور طبيعى من قبل كل سـلطة ديكتاتوريـة، أن تبحـث باستمرار عـن وقـود لنـار إرهابها ، ولا شك أن أفول شمس الحضارة الإسلامية ، كان بداية عصر مظلـم من العنصرية والشوفينية والخلافات المذهبية التى حسمت كلها بالحديد والنـار والقمع ، وقارن التسامح الذى كان سائداً فى الامبراطوريـات الاسـلامية مـن الهند إلى الاندلس ، بما أعقبة مـن حـروب قوميـة وتصفيـات دينيـة مـع نهضـة أوروبا وسيطرتها على حركة التاريخ)...

ونفس التجاهل أو الحذف من التاريخ نجده إزاء إبادة المسلمين فى الفلبين حيث كانوا الأغلبية على زمن «ماجلان» فتحولوا إلى أقلية تجـرى إبادتهـا إلى اليوم ، ونفس الموقف من إلتهام روسيا المقدسة بقيـادة الكنيسـة الأرثوذكسـية الروسية ، للعالم الإسلامى الإيرانى حيث كان السكان مائة بالمائـة مسـلمين ، وحيث عاشت وازدهرت حضارة اسلامية مـن ارقـى الحضـارات التـى عرفهـا الإنسان ، بنجوم شوامخ فى تـاريخ الفكـر البشـري ... سـقطت كلهـا تحـت قبضة الاستعمار الروسى عـبر مجـازر وحـروب وثـورات كلهـا لاتكـادتجد لهـا مكاناً فى التاريخ ، تمامـاً كمـا نقلـت السـلطة الروسـية هـذه الممـالك خـارج هامش التاريخ ... وإلا فأين هو العالم الذى ظهر فى ظـل السـلطة الروسـية ، القيصريـة والشـيوعية ، الـذى يصـل إلى فـك سـيور حـذاء البخـارى أو ابـن سيناء؟...

ونفس الشىء عن الإبادة والتجاهل فى دول إفريقيا التى كـانت اغلبيتهـا مسلمة ، وها هو مؤلف رواية «الجذور» عندما راح يفتش عـن جـذور الأمـة الزنجية فى أمريكا لم يستطع ، رغم أنه مسيحى ، أن ينكر حقيقة كون هـؤلاء السود الذين اختطفوا واسترقوا ونقلوا إلى الولايات المتحدة ، جاؤا مـن بلـدان

إسلامية وعائلات وقبائل مسلمة ، ولكن هذه الحقيقة محيت محواً من ذاكرة الإنسان الأبيض ، ومن ثم جهلها أو تجاهلها الببغاوات التى تكتب بالعربية ...

وما لنا نذهب بعيداً ، وهذا القس الذى يحكم تنزانيا[1] التهم فى النصف الثانى من القرن العشرين دولة مسلمة ذات تاريخ عريق وأمجاد غابرة ، وفرض عليها شريعة كنيسته ثم غزا أوغندا المسلمة واسقط السلطة الإسلامية ، وسلمها لمغتصبين متوحشين حيث ينفذون الآن أبشع عملية إبادة للمسلمين ، ورغم الاتفاق «العالمى» على الصمت والتجاهل فإن رائحة الجريمة تتسرب هنا وهناك بما يكفى لإدانة التاريخ كله .

وتكفى مقارنة الحملة الضارية التى كانت فى أجهزة الإعلام العالمية ليل نهارضد «عيدى أمين» الذى لم يتجاوز الحد المسموح به بين طغاة العالم الثالث فى معاملة خصومة السياسيين الذين ثبت الآن أنهم كانوا يتلقون الوحى والمدد من قوى خارجية معادية ، ولكن ما من أحد اتهم «عيدى أمين» بالإبادة الجماعية أو حتى الحرب الدينية ، وهو عين ما يجرى الآن فى أوغندا ضد القبائل المسلمة مع صمت الإعلام الغربى وتابعه العربى وتجاهل العالم الحر ... إن قبائل بأكملها تباد فى أوغندا اليوم بالقتل والتجويع لمجرد أنها مسلمة ...

الحملة على «عيدى امين» والصمت على جرائم الذين خلعوه ، لم تكن استنقالاً لدمه ولا رفضاً لديكتاتوريته ، وإلافما فضل «موبوتو» أو «نيريرى»... إلخ وإنما لأن «عيدى أمين» كان يمثل «سلطة إسلامية» بصرف النظر عن مستواها ...

وهناك قوى معينة جد معروفة ، جعلت هدفها الأول ، هو إزالة السلطة الإسلامية من إفريقيا ، لتتمكن من إبادة المسلمين وإزالة الاسلام من

---

(١) جوليوس نوريرى الذى استقال أخيرًا من منصب الرياسة ليحكم شعب تنزانيا المسلم بغير مساءلة من وراء الستار .

إفريقيا...وهي تستخدم كل الأساليب ، وتكشف كل الأوراق حتى الخفية وتضم خليطاً عجيباً يحتار العقل العادى فى فهم تجمعهم واتحادهم ... ويكفى أن تتأمل الحلف الغريب المدهش الذى تجمع حول الحبشة ضد الصومال فى الصراع حول مسلمى إقليم أوغادين الذى تحتله الحبشة وتبيد المسلمين فيه ...

«هيلا مريم» الذى ذهب إلى أول مؤتمر إفريقى يحضره يناشد زعماء إفريقيا التصدى «للخطر الإسلامى» فى إفريقيا ....

كذلك أبيد المسلمون ويبادون فى بولندا واليونان ويوغسلافيا ورومانيا وقبرص ، كلها كانت تضم نسبة مؤثرة من المسلمين ، وبعضها كانت الأغلبية فيه مسلمة ، ثم سقطت فى قبضة السلطة اللا إسلامية بتدبير القوى الغربية التى لم تنس عداءها للإسلام لحظة واحدة ، ولا كفت عن كيدها وحربها ضد المسلمين ... ومن الغريب أن بعض «الرحالة» المسلمين يهتز فرحاً عندما يزور هذه البلدان ويكتشف «حفريات» إسلامية هناك ... ويحسب أن هذا من انتصارات الإسلام المعاصر وهو لا يدرى أنه يشهد بقايا المذبحة ... [1]

❁ ❁ ❁

وبعد ...

فعندما سقطت ... باريس ... تحت جحافل فرق «البانزرت» الألمانية فى بداية الحرب العالمية الثانية ... قرر شارل ديجول الانتحار ... لكنه قبل أن يطلق على نفسه الرصاص أرسل فى استدعاء أحد القساوسة ليعترف أمامه بجرائمه وخطاياه ...

وهنا سأله القسيس : لكن ... لماذا تقدم على الانتحار ؟

فأجابه ديجول : لأن سقوط «باريس» معناه سقوط الغرب ، وسقوط الغرب يعنى انتصار الإسلام ، وأفضل لى أن أنتحر وأموت قبل مجىء هذا اليوم الذى ترتفع فيه راية الإسلام ... !!!

❁ ❁ ❁

أرأيتم إلى أى مدى يتغلغل الحقد والكراهية للإسلام ؟ أما لماذا ؟ ... فقصة يرجع تاريخها إلى ألف وأربعمائة عام ... وسواء أكان هذا الحقد سببه الخوف ، أو تصورهم بأن الإسلام يعنى القتال أو السيف ... فقد كان إجراء هذا الحوار عن «الإسلام والحرب» ضرورة يفرضها الإيمان بالواجب والحق ، ويفرضها الإيمان بالإنصاف والعدل ، ويفرضها الإحساس بجسامة الإهمال والتقصير من جانب المسلمين تجاه الإسلام وما يتعرض له المسلمون من أباطيل وافتراءات فى الشرق والغرب ...

دكتور

عبد الودود إبراهيم شلبى

القاهرة : غرة رمضان المبارك ١٤١٩هـ

الحوار الأول

- الارتباط بين كلمتى الإسلام ... والسلام ...
- الدبلوماسية الإسلامية فى عهد النبى ...
- رفض وتآمر من الروم والفرس ...
- ولهذا كانت الحرب ...
- كارليل Carlyle ... والدفاع عن الحق ...
- أسباب أخرى للمواجهة بين امبراطوريتى الشر ...
- دور قديم للأمم المتحدة ...
- الإسلام حركة تحريرية لكل الشعوب ...
- السؤال اليهودى ... ؟
- الاتهام الذى يكذب نفسه ...
- شهادات لا تقبل الطعن ...
- من وصايا النبى والخلفاء للجيوش ...
- بين اتفاقيات جنيف ... ومبادئ الإسلام ...
- القاضى الذى حكم بانسحاب جيش المسلمين ...

كان الوقت مساء يوم أحد ، وكان العمل فى المسجد أو المركز الإسلامى يبلغ ذروته فى مثل هذا اليوم ، واليوم الذى قبله ... أى يوم السبت.

لقد عدت إلى بيتى فى ضاحية أشفليد Ashfield محملاً بتلك الهموم التى أفرزتها الغربة ... هموم من نوع غريب قلما تجده أو تحسه فى بلد إسلامى العقيدة والعاطفة . وبالرغم من توفر أسباب العيش والراحة ... فلسوف تفاجأ بهذه الهموم فى كل رجل تقابله . وفى كل إنسان تعرفه أو تصادفه ...

كنت فى مسيس الحاجة إلى ساعة واحدة من النوم ... فقد تعودت على الاستيقاظ فى الساعة الخامسة صباح كل يوم ، وليس من السهل تغيير عادة مارستها حوالى نصف قرن ... كما أنه من« الشؤم» أن تفوتنى صلاة الفجر أو قراءة القرآن بعد صلاة الفجر ... !

وفجأة ... وبدون توقع هبت عاصفة رعدية من تلك العواصف الناشئة عن تخلخل طبقات الجو فوق مياه المحيط الباسفيكى أو الهندى ... فأستراليا تتصل بكلا المحيطين من جهتى الغرب والشرق ... وكثيراً ما تتعرض لمثل هذه العواصف التى يتحول فيها الأفق إلى ميدان حرب ، وتتوالى فيه الانفجارات فى الطبقات العليا من الجو ... !

❁ ❁ ❁

تجاوزت عقارب الساعة السابعة صباحاً ... ودبت الحركة فى الشوارع غدواً ورواحاً ... إن الحياة فى مثل هذه البلاد لا تتوقف أبداً ، وقد أعدوا أنفسهم لمثل هذه الظواهر التى ألفوها نهاراً وليلاً ...

لقد تذكرت على الفور قصتى مع السيدة مارى صاحبة البيت الذى كنت أقيم فيه بمدينة كمبردج Cambridge حين رأتنى واقفاً وراء باب البيت فى انتظار توقف هطول المطر المنهمر خارج البيت ... ولم تكد تعرف ذلك

حتى استغرقت فى الضحك ، واستدارت إلى الداخل لتحضر مظلة تقينـى مـن المطر . ثم ودعتنى بعد أن قالت :

إذا كنت تنتظر توقف المطر فابق واقفـاً فـى مكـانك إلى الأبـد ، وإلى أن تنتهى حياة البشر فوق هذا الكوكـب ...

❁ ❁ ❁

كان بيتى فى شارع ألت Alt Street أحـد الشـوارع الهامـة فـى ضاحيـة أشـفليد ، وكـان هـذا الشـارع متفرعـاً مـن شـارع رئيسـى آخـر هـو شـارع إليزابيث Elizabeth st وفى الجانب المقابل من شارع إليزابيث يوجد محل بقالة أو «ملك بار» Milk Bar تعودت شراء حاجّياتى منه ، كانت تدير هذا المحـل سيدة تعودت رؤيتها صباح كل يوم . غير أنى فوجئت برجلين يحلان مكانهـا فى إدارة هذا المحل ... كانت سحنتهما غريبة ، ونظراتهما مريبة ، وشارباهما يذكرانك بشارب الجنرال جريفاس Grivas زعيـم منظمـة «أيوكـا» الإرهابيـة الشهيرة ...

لقد أحسست بنظرات هذين الرجلين وكأنها سهام موجهة ، وفطنت إلى ما يدور بخلدهما نحوى من أول نظرة .

لقد عرفت بعـد ذلـك أنهمـا قبرصيـان . ومـن فئـة متطرفـة فـى العـداوة للمسلمين والإسلام ... كنت أظن أنهما سيرحبان بى كمصرى ... فقد كان لمصر – فى الستينات – موقـف سياسـى مـن قضيـة قـبرص . تجـاوزت فيهـا السياسة – آنذاك – حقوق إخوة الإيمان والعقيدة ، وتناست فيها تـاريخ هـذه الجزيرة التى كانت إسلامية خالصة ...

ولا أنسـى حتـى هـذا اليـوم زيـارة الأسـقف «مكـاريوس» للقـاهرة ، واستقبال شيخ الأزهر الإمام محمود شلتوت لـه بحفـاوة . كمـا لم أنـس إنعـام القيادة السياسية عليه بأرفع وسام تنعم به علـى شـخصية أجنبيـة زائـرة . لقـد تواردت الخواطر فى ذهنى تـوارداً يشبه العاصفة ...

والعجيب أننى حين رجعت إلى القاهرة ، وبدأت أجمع أوراقى المبعثرة لأعيد صياغة هذا الكتاب فى صورته الحالية .

فوجئت بعاصفة خريفية صفقت باب المكتب فتناثرت الأوراق واختفت، أو توارت بين أكوام الكتب ، أو هرب بعضها بعيداً خارج حجرة المكتب...؟...

كيف نربط بين هذه الأحداث الصغيرة ، وبين موضوع هذا الكتاب الذى يتعرض لأخطر قضية تتصل بالإسلام عقيدة وشريعة. وتاريخاً وحضارة؟ ورسالة ودعوة ؟

❁ ❁ ❁

غادرت بيتى إلى محطة القطار القريبة من البيت ، وفى الطريق إلى المحطة اشتريت نسخة من صحيفة سيدنى مورنينج Sydney morning herald التى تعودت قراءتها صباح كل يوم . لقد لفت نظرى فى هذه الصحيفة مقال - كان الثالث - من سلسلة مقالات نشرت تحت عنوان Behhind the hatred أى - بعيداً عن الكراهية - كان المقال يتحدث عن الإسلام والمسلمين وتاريخهما الذى شوه عمداً فى أوكار الاستشراق والتبشير ، وإلصاق تهمة العنف والقسوة بهذا الدين ...

لقد اسغرقت فى قراءة المقال حتى وصولى إلى محطة القطار الرئيسية فى مدينة سيدنى Central station ، ومن هناك استأنفت رحلتى اليومية مشياً على الأقدام إلى منطقة سرى هيلز Surry hills حيث يقع المسجد والمركز الإسلامى فى شارع الكومونولث Commonwealth street ... فى مدخل المسجد كانت تجلس فتاة بجوار جهاز التلفون المثبت عند المدخل . كان اسم هذه الفتاة أو الانسة «فيكى» Vieki أو مس فيكى كما قدمت نفسها إلى .

- مرحبا بك هنا أيتها الآنسة ...

قلت ذلك وفى فمى ضحكة مكبوتة كتمتها قسراً . حتى لا تسئ بى الظن ... وحتى تشرح قصة مجيئها إلى المسجد فى هذا اليوم الردئ الطقس...

– هل قرأت ما كتب عن الإسلام فى صحيفة سيدنى مورنينج هيرالد ؟

– تقصدين سلسلة هذه المقالات التى نشر آخرها صباح هذا اليوم ؟

– هذا ما كنت أقصده بالضبط .

لقد قرأنا هذه المقالات التى كانت تنشر تباعاً فى هذه الصحيفة وتباحثنا عمن يمكن مراجعته حول ما نشر فى هذه المقالات من قضايا فكرية خطيرة ، وقد استقر رأينا على الحضور إليك وبخاصة بعد ما سمعناه عن لقاءات أخرى سابقة فى جامعتى سيدنى وسان دى فنست ، وفى الكنيسة المتحدة فى استراثفيلد[1] . قلت للآنسة فيكى Vieki :

– لكن متى تريدون إجراء هذا اللقاء ؟

– سوف أتصل بزملائى للاتفاق ، وإذا لم يكن لديك مانع فقد يكون يوم الخميس القادم مناسباً لإتمام هذا اللقاء .

❁ ❁ ❁

مرة ثانية ... هل يمكن تفسير هذه الأحداث والظواهر ؟ لقد قضيت ليلتى السابقة – كما قلت – مهموماً ومؤرقاً ، وتعرضت مدينة سيدنى الجميلة لعاصفة رعدية استمرت وقتاً طويلاً ... وقصة هؤلاء القبارصة ... ؟ هل يمكن إسقاطها عن تسلسل هذه الأحداث التى فرضت نفسها فرضاً ؟

هموم ورعد ، وحكايات قديمة عن التعصب والكراهية والحقد ، ثم هذا اللقاء مع هذه الفتاة التى جاءت تحدثنى عن المقالات الثلاث التى نشرتها

---

(١) راجع ما كتبناه حول هذه اللقاءات فى الكتب التالية : «التزوير المقدس» ، «لماذا يخافون الإسلام» ، «فى محكمة التاريخ» .

صحيفة سيدنى مورنينج هيرالد ... وأخيرا هذا الحوار عن «الإسلام والسيف» أو «الإسلام والقسوة والعنف» ...

❁ ❁ ❁

فى يوم الخميس .... وفى الساعة الواحدة بعد صلاة الظهر . دلفت الى ساحة المسجد طلائع هذا الهجوم المترقب . ثم توالى دخول « الفرسان « على صهوة جياد التبشير المذبـذب .!. فتيـان وفتيـات فـى مقتبـل العمـر ، ورجـال ونساء ممن تقدمت بهم الأعمار والسن .

الآنسة فيكى Vieki والآنسة مارى دى سوزا Mary de Susa والآنسة سيليفيا Sylivia والآنسة أريس Iris والآنسـة أليـس Alice والآنسـة كريسـتين Kristin والآنسـة كـارولين Carolyne والآنسـه روث Ruth والسـيدتان لينـدا أرنولـد Linda Arnold ونانسـى هـارولد Nancy Harold أى ثمـانى آنسـات وسيدتان .

أما عن الشباب والرجال فكان عددهم أثنى عشـر فتـى ورجـلاً . السـيد ماكفرلين Makfarlane والسيد فوكس Fox والسيد بولPaul والسـيد إدوارد Edward والسـيد جـون John والسـيد رتشـارد Richard والسـيد مـاكميلان Macmiland والسيد ديفيد David والسيد جوزيف Joseph –وهما يهوديان– والسـيد متشـيل Micheal والسـيد أنـدرو Andrew وأخـيراً السـيد جراهـام Graham .

❁ ❁ ❁

قلت للآنسه فيكى مازحاً :

– فى البدء "كان الكلمة" كما يقول المقدس ، فهل عندك ما تقولينـه إلى زملائك وزميلاتك فى هذا المجلس ؟ ...

وهنا أشارت الآنسة فيكى إلى السيد جراهام ... ليبدأ الكلام وليوجه أول سؤال فى هذا الحوار.

لقد قال جراهام Graham :

- نحن لا نعرف عن الإسلام شيئا كما يجب ، وحتى ما نعرفه قليل لا يصلح فى الحكم على ما نقرأه فى الصحف أو الكتب ، وقد تعرض الإسلام فى الآونه الأخيرة لحملات دعائية قاسية تتهمه بالقسوة والعنف والتعصب ، ومن بين ما نشر فى هذه الحملة هذه المقالات الثلاث التى نشرتها صحيفة سيدنى مورنينج هيرالد .

والسؤال هو :

هل الإسلام دين سلام أم حرب ؟ وهل السيف وسيلته الوحيدة أم هناك وسائل أخرى تقوم على الإقناع والحب ؟

قلت للسيد جراهام Graham :

إن الإسلام والسلام كلمتان مشتقتان من مادة واحدة فى الأصل ...إنه من الصعب تفسير ذلك فى اللغة الإنجليزية ، كما أنه من العبث وضياع الوقت أن نستمر فى هذا التفسير والتحليل حيث لا يعرف أحدكم من اللغة العربية كلمة واحدة ...-ضحك-

ومن ثم . كان ولا بد أن نلجأ إلى تقديم هذا الشرح وهذا التفسير فى صورة عملية توضح العلاقة والارتباط بين كلمة سلام ... وكلمة إسلام ...

- هل زار أحد من الحاضرين هنا أى بلد مسلم ... ؟

وهنا رفعت الآنسه سيليفيا Sylivia يدها قائلة : لقد زرت باكستان .
قلت للآنسه سيليفيا Sylivia :

إننا هنا فى أستراليا يحيى بعضنا بعضاً بكلمات محدودة لأوقات محددة حسب العرف والعادة ...

ففى الصباح نقول : جود مورنينج Good morning وبعد الظهر نقول جود أفترنون Good afternoon وفى المساء نقول جود إيفننج Good evening وعند الافتراق نقول جودى باى Good bye فإذا كان هذا الوداع فى المساء فإننا نقول للشخص الذى نفارقه جود نايت Good night .

أما فى الإسلام وفى الجماعات أو الشعوب التى تدين بهذا الإسلام ، فإن هناك تحية واحدة . لا تختلف من وقت إلى وقت ، ولا من فرد إلى فرد هذه التحية هى السلام عليكم ... يحيى بها المسلم من يعرف ومن لا يعرف ، ليس من الضرورى ألا يلقى هذه التحية إلا على المعارف والأصدقاء فقط كما هو الحال هنا أو فى أوروبا ... ذلك لأن المسلم مطالب بإلقاء هذه التحية على كل من يقابله وعلى كل من يصادفه أليس كذلك يا آنسة سيليفيا Sylivia ؟

- بلى ... وقد حدث أثناء زيارتى لباكستان . وفى مدينة «لاهور» بالذات أن ذهبت إلى حى تجارى شهير هناك اسمه «أناركلى» Anarkly وما كدت أدخل المحل وألقى هذه التحية على صاحب هذا المحل ... حتى نهض واقفاً ... وباعنى السلعة بسعر أقل مما اشتريت به سابقاً ..!

ومنذ هذه اللحظة بدأت أنا وزميلاتى نردد هذه التحية ، ونلقيها بطريقة توحى بأنى مسلمة ... !

قلت للآنسة سيليفيا : إنه استثمار طيب على أية حال ... ولكن أتعرفين معنى هذه التحية ؟ إنها دعوة إلى السلام والحب ، وميثاق بين الناس بنبذ أسباب العداوة والتعصب ... وفى هذا يقول النبى محمد :

- ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ... أفشوا السلام بينكم ...

وقد بلغ من التزام المسلمين بهذا التوجيه النبوى ... أن الرجلين كانا يسيران جنباً إلى جنب ... فإذا فرقت بينهما شجرة ، أو فصل بينهما جدار ثم التقيا بعد ذلك ألقى أحدهما السلام على الآخر ...

- مستر رونالد Ronald إنها لبداية شيقة ومثيرة ...

- صبراً ... أيها السيد رونالد ... فنحن لا نزال وقوفاً أمـام المدخـل ... والذى أقوله الآن ليس إلا نقطة فى محيط خضم ...

❁ ❁ ❁

إن السلام - عندنا نحن المسلمين - اسم من أسماء ا لله عز وجل ، وإن المسلمين - دون غيرهم من البشر - يتقربون إلى ا لله بعبوديتهم بهذا الاسـم . هناك من يسمى ابنه «عبدا لله» أو «عبد الرحمن» وكذلـك هنـاك مـن يسـمى «عبد السلام» فهل سمع أحدكم بمثل هذا الاسم من قبل؟

- السيد جراهام Graham :

ربما كنت الوحيد الذى سمع بمثل هذا الاسم بحكم عملى السابق كصحفى فقد زرت كثيراً من بلاد الشرق الأوسط ، وأذكر أن رئيس العـراق - فى الستينات - كان اسمه عبد السلام ...

- تقصد الرئيس عبد السلام عارف - رحمه ا لله - ..

ثم قلت :

هل رأيتم مسلماً يصلى ... انظروا إلى هذا الرجل الجالس بجوار المنبر ثـم اسمعوا ما سوف يقول قبل أن يخرج من صلاته .

ستسمعون كلمة السلام يرددها بعد أن يلتفت إلى يمينه ثـم يكررهـا بعـد أن يلتفت إلى يسـاره ، إنهـا إشـارة للعـودة إلى الأرض ... بعـد أن حلـق فـى صلاته إلى الملأ الأعلى فوق !

وبما أنه عاد إلى الأرض ... فإن أول ما يستقبل به أهل هـذه الأرض هـو السلام ... إن هذا يذكرنا بما قالته الملائكة يوم مولد المسيح لتبشر أهل الأرض بهذا السلام ...

وإذا كان السلام على الأرض هو أغلى ما يحرص عليه إنسان فإن السلام فى الآخرة أيضًا له مقام وأى مقام ... فالجنة سماها القرآن «دار السلام» وتحية الله لأهل الجنة «سلام» وكذلك الملائكة تستقبل الفائزين بدخول هذه الجنة «بالسلام» ...

إن السلام فى الإسلام ضرورة لاستمرار الحياة فوق هذه الأرض وضرورة لاستقرار القيم والمثل فى ضمير كل فرد ... سلام لا تفرضه القوة بل سلام ينبع من داخل النفس ... النفس المؤمنة التى تؤثر غيرها فى مواطن الشدة واليأس ...

- سؤال من السيد أندور Andrew :

هل يعنى ذلك أن الإسلام ضد الحرب ؟ وإذا كان الجواب نعم . فلماذا حارب النبى محمد ؟ إننى أعلم أنه قد خاض معارك كثيرة . وأن الجهاد أو الحرب المقدسة عقيدة راسخة فى قلب كل مسلم ومسلمة ؟

❁ ❁ ❁

نعم . الإسلام ضد الحرب ... ولكن حين تفرض عليك هذه الحرب فلا مناص إذن من هذه الحرب . ولا مفر من القضاء على قوى الطغيان والشر . ولنستمع معاً إلى ما يقوله القرآن

الكريم فى هذا الشأن :

﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[١] .

إن الفطرة السوية عند أى إنسان تكره إراقة الدماء ... ولكن الأسوياء من لدن آدم إلى اليوم قلة ... ألم يقتل قابيل أخاه من أجل امرأة ؟ ومتى ؟

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦ .

حين كان عدد أفراد البشرية فى مهدها الأول لا يزيد عن عدد أفراد أسرة واحدة ؟

فالخير والشر وجدا مع أول إنسان عرفته هذه الأرض وما بقى الخير والشر فسيبقى الصراع بينهما إلى آخر العمر .

فإذا كان النبى محمد قد حارب فلنسأل أولاً لماذا حارب ؟ ومتى حارب؟ والأنبياء والرسل الذين جاءوا قبل النبى محمد ... هل حاربوا أيضًا ؟ أم تركوا للشيطان ومملكته الحبل على الغارب ... ؟ !

لقد سجل المؤرخ والفيلسوف الأمريكى «ول ديورانت» عدد سنوات الحرب التى خاضتها البشرية فوق هذه الأرض فوجدها ٣٤٢١ ثلاثة آلاف وأربعمائة وواحداً وعشرين عاماً . بينما لم تزد سنوات السلام والهدنة عن ٢٦٨ مائتين وثمانية وستين عاماً ...

أرأيتم إلى أى مدى بلغت قوة الشر ؟

إنها لكارثة أن تمضى الحياة على هذا النحو ...

وأعود إلى سؤال السيد أندرو Andrew

إنه يريد أن يعرف لماذا حارب النبى ... فليكن ما يشاء الصديق «أندرو» غير أنى أترك الإجابة على سؤاله إلى رجل آخر غير متهم ... ذلك لأنى مسلم ... أما الرجل الآخر فهو مسيحى مؤمن ... أما من يكون هذا الرجل فهو «توماس كارليل» Thomas Carlyl .

فماذا قال كاركيل[1] Carlyle :

كانت نية هذا النبى قبل عام سنة ٦٢٢ ميلادية أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة وقد بذل فى سبيل ذلك كل جهد جهيد ، ولكنه وجد الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته ودعوته وعدم الإصغاء إليها ، بل عمدوا إلى

---

(١) كتاب الأبطال : تأليف توماس كارليل .

إسكاته بشتى الطرق من تهديد ووعيد واضطهاد حتى لا ينشر دعوته أو يصور رسالته . وهذا ما دفعه إلى الدفاع عن نفسه والدفاع عن دعوته وكأن لسان حاله يقول: أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلتنظروا إذن أى قوم نحن...

لقد أصاب هذا الرسول فى رأيه ، فإن أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق والصدق وأبوا إلا التمادى فى الباطل ، فاستباحوا الحرمات ونهبوا الممتلكات ، وقتلوا الأنفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق .

واستطرد توماس كارليل يرد على القائلين بأن هذا النبى نشر دينه بحد السيف فيقول :

أرى أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال ... ألم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف ان تستخدم السيف أحياناً ، وحسبكم ما فعله شارلمان بقبائل السكسون ... وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان ، أم بأية طريقة أخرى ، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ... لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرها فإنها لن تهزم أبداً ... ولن يهزم منها إلا ما يستحق أن يهزم ... ولا يفنى منها إلا ما يستحق الفناء ... فالحقائق فى حرب لا حكم فيها إلا للطبيعة التى لا تحترم منها إلا القوى الصحيح .

فحبوب القمح عندما نأخذهاإلى باطن الأرض ، وكثيراً ما تكون مخلوطة بقشور وتبن وقمامة وتراب ، فإذا ألقيتها وهى مختلطة بكل هذه الشوائب فى جوف الأرض العادلة البارة ، فإنها لا تعطيك إلا قمحاً خالصاً نقياً ، أما الشوائب والقذى فإنها تبتلعه فى سكون وتدفنه فى باطنها دون أن تذكر عنه شيئاً ... وما هى إلا فترة حتى نرى القمح نامياً يهتز كأنه سبائك الذهب .

هكذا الطبيعة فى جميع شؤونها ، فهى حق لا باطل ، ولا تشترط فى الشئ إلا أن يكون صادقاً حراً ... فإذا كان كذلك حمته وحرسته وصانته وقوته وإذا كان غير ذلك تنكرت له وتركته بلا حماية وبلا صيانة .

لهذا نرى لكل شئ تحميه الطبيعة روحاً من الحق والصدق ، أليس شأن حبوب القمح هذه شأن كل حقيقة كبرى جاءت إلى هذا الوجود أو ستجئ إلى هذا الوجود ؟ ...

فالحقائق تأتى إلى معترك الحياة ، ثم يجئ يوم يظهر فيه نقصها وخطؤها فتموت وتذهب ... نعم يموت جسم كل حقيقة ويذهب ، ولكن الروح تبقى أبداً ، كل ما هنالك أن الروح يتخذ ثوباً وبدناً أشرف .

ويظل روح الحقيقة وجوهرها يتنقل من الأثواب والأبدان ، أى أن جوهر الحقيقة لا يموت .

الأمر المهم فى الموضوع ليس فى نوع الثوب الذى لبسه الروح ، إنما فى الروح ذاتها ... وهل هى حق ؟ وهل هى منبعثة من أعماق الطبيعة ، دون أن تهتم ببقاء الشئ أو عدم بقائها فالطبيعة عندما تحكم لا تقول أفيك شوائب وأكدار ؟ ...

إنما تقول أفيك جوهر حق وروح صدق أم لا ...

سؤال من السيدة ليندا هارولد Linda harold :

- واضح من كلام كارليل Carlyle أنه يعنى بكلامه خصوم النبى وأعدائه من العرب . والذى نعرفه جميعاً أن المسلمين حاربوا خارج ديارهم فى بلاد أخرى ، وأنهم اشتبكوا مع الفرس والروم فى معارك كبرى ... أليس ذلك خروجاً على المألوف والعرف ، ودليلاً على اتهام الإسلام بالميل إلى العنف ، والاعتماد فى دعوته على القوة والسيف ؟

❁ ❁ ❁

شكراً للسيدة ليندا ..

لقد فهمت من سؤالك - وأعتقد أن الحاضرين يشاركونك هذا الفهم - أن الإسلام خاص بالعرب ، وأنه - أى الإسلام - دين «قومى» خاص بقومه

فقط . وبالتالى فإن مجاله ونطاقه . مجال ونطاق « إقليمى» بحت ... فإذا خرج عن هذا النطاق أو هذا المجال . اعتبر معتدياً بغير وجه حق ..

– أليس هذا ما تقصدينه يامسز هارولد .. ؟

– هذا ما قصدته بالضبط .:

إن الأمر ليس كذلك .. وما بنى على خطأ لا يؤدى إلا إلى خطأ فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية منذ يومها الأول .. لم تكن كدعوة المسيح الذى أعلن أنه لم يرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة .. و لم تتحول المسيحية إلى دعوة عالمية إلا بعد أن رفضها اليهود وحاربوها بعنف وقسوة .

وقد ضرب المسيح لذلك مثلا لصاحب الدار الذى أقام حفلة عرس فى داره ثم دعا إليها أقاربه وجيرانه . فرفض هؤلاء الأقارب والجيران تلبية هذه الدعوة .. حينئذ طلب صاحب الدار من خدمه وغلمانه أن يخرجوا إلى الطريق ويدعوا كل من يصادفهم فيه من الغرباء وعابرى السبيل . ففعلوا حتى امتلأت بهم الدار ، و لم يبق مكان لمن اختصهم بالدعوة من الأقارب والجيران .

وقد جاء فى الإصحاح السابع من إنجيل مرقص : أن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت عند قدميه وكانت المرأة أممية (غير يهودية) فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها ... وأما يسوع فقال لها : دعى البنين أى (اليهود) أولاً يشبعون . لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب... !

فأجابته وقالت : نعم يا سيد والكلاب أيضًا تحت المائدة تأكل من فتات البنين .. فقال لها : لأجل هذه الكلمة اذهبى .. قد خرج الشيطان من ابنتك

❁ ❁ ❁

أما الإسلام .. فكانت دعوته عالمية منذ اليوم الأول ، وفى هذا يقول الله مخاطباً النبى محمد :

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[1] .

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2] .

فالقول بخروج الفرس أو الروم أو غيرهم من نطاق هذه الرسالة أو الدعوة يتعارض مع الحكمة الإلهية فى ابتعاث الأنبياء والرسل ، وفهم عنصرى بغيض لا يتفق والمعنى الواسع لرحمة الله التى تشمل جميع الخلق والأمم .

أليس كذلك يا سيد ديفيد David؟..

إن السيد ديفيد يهودى كما سبق أن قلت .. ولهذا حين وجهت سؤالى هذا . سكت ولاذ بالصمت ..!

❁ ❁ ❁

- سؤال من السيد إدوارد Edward .

لو سلمنا بما قلته من شمول الدعوة الإسلامية للعرب والروم والفرس ولكل شعب وجنس .

ألم يكن من الأليق عرض هذه الدعوة بالتفاهم والحب بدلاً من اللجوء إلى القتال والحرب ؟

❁ ❁ ❁

شكراً للسيد إدوارد :

إن ما قلته هو الحق .. وهو ما حدث بالفعل ..

لقد بدأ الاتصال بدولة الروم ودولة الفرس وغيرهما من الدول عن طريق سفراء اختارهم النبى ، و لم تكن مهمة هؤلاء السفراء تتجاوز التقاليد والأعراف المتفق عليها فى هذا العصر .. من ناحية الشكل على الأقل أما

---

(١) سورة سبأ ٢٨

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧

من حيث الموضوع والمضمون فلم يكن هؤلاء السفراء حاملى حقائب .. أو ناقلى رسائل فقط . بل كانوا دعاة على أعلى درجة من الفهم والنضج والالتزام بأقصى درجات الصدق والأمانة فى النقل ..

كان من أهم هؤلاء السفراء «دحية الكلبى» الذى بعث به النبى إلى قيصر كما كان «عبد الله بن حذامة السهمى» هو سفير النبى إلى كسرى ملك الفرس .

❁ ❁ ❁

لقد كتب النبى إلى كسرى يقول له : من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ... سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . وأدعوك بدعاية الله عز وجل . فإنى رسول الله إلى الناس كلهم لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ..

أسلم . تسلم فإن توليت فإنما عليك إثم المجوس ...

❁ ❁ ❁

لقد جن جنون كسرى بعد قراءة هذه الرسالة . ثم مزقها .. وهل اكتفى بذلك .. كلا .. لقد كتب إلى أمير اليمن – وكانت اليمن خاضعة له – كتب يقول لعامله فى اليمن :

بلغنى أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى .. فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلى برأسه ... ثم ختم رسالته بقوله :

أيكتب إلى هذا الكتاب وهو عبدى ... ؟

ثم أرسل أمير اليمن فارسين إلى النبى ومعهما كتاب كسرى فقدما إليه وقالا له : شاهنشاه بعث إلى الملك «بازان» يأمره أن يبعث إليك من يأتى بك.. فإن أبيت .. هلكت .. وأهلكت قومك .. وخسرت بلادك ..

- سؤال من السيد مكميلان Mackmillan

- لكن ماذا فعل قيصر ؟ وهل اتسم رده بالطيش والحمق على نحو ما فعل ملك الفرس ؟

❁ ❁ ❁

كلا .. لقد كان قيصر رجلاً عاقلاً ، وقد اتسم رده بالأناة والحلم . فقد كانت عند قيصر دراية بما جاء في الكتب[1] كما كان يعلم بقرب ظهور نبي جديد في جزيرة العرب .

وتقول الروايات الإسلامية : إن قيصر حين تسلم رسالة النبي بحث عن رجال من أهل مكة ليسألهم عن النبي .. فلم يجدوا غير أبي سفيان . العدو الأكبر للنبي - في هذا الوقت - وجماعة معه . وحين جلسوا بين يدى هرقل قال - أي قيصر - لترجمانه :

سلهم : أيهم أقرب نسباً من هذا الرجل :

يعني النبي «صلى الله عليه وسلم» .

قلت : أنا .

قال : وما قرابتك منه ؟

قلت : ابن عمي .

فقال قيصر أدن مني .

ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري : ثم قال لترجمانه : قل لأصحابه: إني سائل هذا عن الرجل (يعني رسول الله «صلى الله عليه وسلم») فإن كذبني فكذبوه ..

---

[1] كان هناك تنبؤات كثيرة في كتب اليهود والنصارى ـــ بقرب ظهور النبي محمد

قال أبو سفيان فو الله ، لولا الحياء يومئذ أن يؤثر عنى الكذب لكذبته حين سألنى ، ولكنى استحييت أن يؤثروا عنى الكذب، فصدقته عنه .

ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟

قلت : هوفينا ذو نسب ..

قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟

قلت : لا..

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قلت : لا .

قال : فهل كان من ابائه من ملك ؟

قلت : لا .

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

قلت : بل ضعفاؤهم ..

قال : فيزيدون أم ينقصون ؟

قلت : بل يزيدون ..

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطاً على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

قلت : لا .

قال : فهل يغدر ؟

قلت : لا ، ونحن منه الآن على خلاف ونحن نخاف ذلك .

قال : فهل قاتلتموه وقاتلكم ؟

قلت : نعم

قال : فكيف كانت حربه وحربكم ؟

قلت : كانت دولاً سجالاً ، يدال علينا المرة ويدال عليه الأخرى .

قال فبم يأمركم ؟

قلت يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة والوفاء

بالعهد وأداء الأمانة ..

قال أبو سفيان :

فقال قيصر لترجمانه

قل له : إنى سألتك عن نسبه فيكم ، فزعمت أنه ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها .

وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ، فزعمت : أن لا :

قلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يتأسى بقول قيل قبله ..

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فزعمت أن لا .. فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ..

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟

فزعمت : أن لا . فقلت لو كان من آبائه من ملك لقلت : رجل يطلب ملك آبائه .

وسألتك : أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه ، والضعفاء هم أتباع الرسل ..

وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون ؟

فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم ..

وسألتك : أيرتد أحد سخطاً على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

فزعمت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل قاتلتموه وقاتلكم ؟

فزعمت أن قد فعل ، وأن حربه وحربكم تكون دولاً : يدال عليكم مرة ، وتدالون عليه الأخرى .

وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لها العاقبة ..

وسألتك : بماذا يأمركم ؟

فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا بـه شيئاً وينهـاكم عما كان يعبـد آبـاؤكم ، ويـأمركم بـالصدق والوفـاء بـالعهد وأداء الأمانـة ، وهذه صفات نبى قد كنت أعلم أنه خارج .

ولكن لم أظن أنه منكم .. وإن يكن حقاً ما قلت فيوشك هذا الرجل أن يملك موضع قدمى هاتين ..

.. والله لو أعلم أنـى أخلـص إليـه لتجشـمت لقـاءه ، ولـو كنـت عنـده لغسلت عن قدميه .

قال أبو سفيان :

ثم دعا قيصر بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وسـلم» فـأمر فقـرئ ، فإذا به :

«بسم الله الرحمن الرحيم» .

من محمد بن عبدالله ورسوله

إلى هرقل عظيم الروم ،

سلام على من اتبع الهدى ...

أما بعد ..

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسـلم تسـلم ، يؤتـك الله أجـرك مرتـين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين (الفلاحين) .

﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكـم ألا نعبـد إلا الله ولا نشرك به شئياً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فـإن تولـوا فقولوا اشهدو بأنا مسلمون ﴾[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) آل عمران : ٦٤ .

هذا ما كان من أمر قيصر ..

لكن ماذا كان موقف رجال قيصر وحاشيته ؟

لقد دعا قيصر عظماء مملكته وبطارقته للاجتماع به ، ثم أمر بأبواب القصر الذى اجتمعوا فيه فغلقت أبوابه ثم وقف بينهم وقال :

يا معشر الروم .. هل لكم فى الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم .. وتبايعوا هذا النبى ؟

فنفروا وبادوروا إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت . فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم عنى وقال :

إنى قلت مقالتى آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم . فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه»[1] .

لقد أصرت حاشية الملك من الوزراء والبطارقة على الرفض وإعلان الحرب ، فبدءوا يحرضون القبائل العربية فى العراق والشام على حرب المسلمين والنبى وعلم المسلمون بإصرار الروم على الحرب ، فبدءوا يستعدون لهذا اليوم . غير أن الفتن الداخلية شغلت كسرى وهرقل عن الهجوم لفترة من الوقت .

❁ ❁ ❁

سؤال من الآنسة مارى دى سوزا Mary De Susa :

– هذا كلام نسمعه لأول مرة ... ؟

قلت للآنسة مارى : إننى لم أقل شيئاً بعد .. إن كل ما قيل حتى الآن هوامش حول هذه القضية التى شوهت عمداً فى أوكار الكراهية والحقد ..

---

(١) السيرة النبوية : العلامة الندوى – ص٢٥٣ .

ثم إن الأسئلة التى دارت حول موقف الإسلام من الإمبراطوريتين فى هذا العهد وهما إمبراطورية الروم وإمبراطورية الفرس لم تتعرض للواقع الذى كان عليه الحال فى هاتين الامبراطوريتين فى ذلك الوقت .

لقد كان من الضرورى أن تنتهى هذه الامبراطوريات التى فسدت وتعفنت ، وتحول الناس فيها إلى أشباح فقدت الأمل فى الحياة والعيش ، وتحول الدين فيها إلى خرافات تتقزز منها النفس .

هل قرأ أحد منكم كتاب العلامة جيبون عن «قيام وسقوط الامبراطورية الرومانية» ? Decline And Fall Of The Roman Empire .

إننى أكرر سؤالى مرة ثانية وثالثة بحثاً عن واحد منكم يكون قد قرأ هذا الكتاب .. لا أجد من يجيب على هذا السؤال : لقد كان الواقع فى هذه الامبراطورية وغيرها من الامبراطوريات الأخرى أليماً ومراً .. لم يكن هناك أمل فى أى شئ و لم تكن هناك عدالة أو مساواة .. كانت الحرب بين المسيحيين واليهود سجالاً ، والمذابح بين الطائفتين فضيحة وعاراً .. كان الظلم والتفرقة هى السمة المميزة لنظام الحكم ، والقائمين على هذا الحكم ، لقد تحول الملوك إلى آلهة . كما تحول رجال الدين إلى عصابات مرتزقة . وإلى سفاحين وقتلة . كما تحول الفسق والدعارة إلى طقوس مقدسة .. وهل سمع أحدكم بقصة «ديورا» الغانية التى نصبها رجال الدين امبراطورة .. ؟ ..

- سؤال من الأنسة كارولين .

إن ما نسمعه أمر فى غاية البشاعة .

قلت للأنسة كارولين :

تستطعين التأكد من هذه الحقائق بعد ذهابك إلى مكتبة الجامعة ، أو إلى أية مكتبة عامة .. إن التاريخ لا يمكن تزويره بسهولة .. كما أن الواقع فى هذه الإمبراطوريات كان وصمة عار فى جبين الإنسانية .

- سؤال من الأنسة أليس Alice

وهل كان هذا الواقع عاماً فى كل امبراطورية ؟ أم كان خاصاً بالامبراطورية الرومانية ؟

لقد كان هذا الواقع عاماً فى كل هذه الامبراطوريات القديمة وسأحاول الإيجاز - ما أمكن - فى تناول هذا الواقع فى كل امبراطورية ..

فى الهند مثلاً : كان الرجال يعبدون النساء العاريات والنساء يعبدون الرجال العراة وكان كهنة المعابد من كبار الخونة والفساق الذين كانوا يرزءون الراهبات والزائرات فى أعز ما عندهن ، وقد أصبح كثير من المعابد مواخير يترصد فيها الفاسق لطلبته ، وينال فيها الفاجر بغيته ، وإذا كان هذا شأن البيوت التى رفعت للعبادة والدين .. فكيف ببلاط الملوك وقصور الأغنياء ؟ . فقد تنافس فيها رجالها فى إتيان كل منكر وركوب كل فاحشة ، وكان فيها مجالس مختلطة من سادة وسيدات ، فإذا لعبت الخمر برؤوسهم خلعوا جلباب الحياء والشرف وطرحوا الحشمة فتوارى الأدب وتبرقع الحياء... هكذا أخذت البلاد موجة طاغية من الشهوات الجنسية والخلاعة ، وأسفت أخلاق الجنسين إسفافاً كبيراً .

أما نظام الطبقات فلم يعرف فى تاريخ أمة من الأمم نظام طبقى أشد[1] قسوة وأعظم فصلاً بين طبقة وطبقة وأشد استهانة بشرف الإنسان من النظام الذى اعترفت به الهند دينياً ومدنياً ، وخضعت له آلافاً من السنين ولا تزال ، وقبل ميلاد المسيح بثلاثة قرون ازدهرت فى الهند الحضارة البرهمية ، ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندى ، وألف فيه قانون مدنى وسياسى اتفق عليه وأصبح قانوناً رسمياً ومرجعاً دينياً فى حياة البلاد ومدنيتها وهو المعروف الآن بـ «منوشاستر» .

---

(١) نقلا عن كتاب العلامة أبو الحسن الندوى «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» ص٤٩ وما بعدها

يقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقات ممتازة وهي: ١- البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين ٢- شترى رجال الحرب ٣- ويش رجال الزراعة والتجارة ٤- شودر رجال الخدمة ويقول (منو) مؤلف هذا القانون:

«إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم البراهمة من فمه ، وشترى من سواعده ، وويش من أفخاذه ، والشودر من أرجله ، ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم . فعلى البراهمة تعليم «ويد» أو تقديم النذور للآلهة وتعاطى الصدقات ، وعلى الشترى حراسة الناس والتصدق وتقديم النذور ودراسة «ويد» والعزوف عن الشهوات ، وعلى «ويش» رعى السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة «ويد» والتجارة والزراعة ، وليس «لشودر» إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث» .

وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقاً ألحقتهم بالآلهة فقد قال إن البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك الخلق ، وإن ما فى العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم «شودر» – من غير جريرة – ماشاءوا ، لأن العبد لا يملك شيئاً وكل ما له لسيده .

وإن البرهمى الذى يحفظ «رك ويد» «الكتاب المقدس» هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله ، ولا يجوز للملك حتى فى أشد ساعات الاضطرار والفاقه أن يجبى من البراهمة جباية أو يأخذ منهم أتاوة ، ولا يصح لبرهمى فى بلاده أن يموت جوعاً ، وإن استحق برهمى القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه ، أما غيره فيقتل .

أما الشترى فإن كانوا فوق الطبقتين «ويش وشودر» ولكنهم دون البراهمة بكثير فيقول : «منو» إن البرهمى الذى هو فى العاشرة من عمره يفوق الشترى الذى ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده

أما شودر «المنبوذون» فكانوا فى المجتمع الهندى - بنص هذا القانون المدنى الدينى - أحط من البهائم وأذل من الكلاب ، فيصرح القانون بأن من

سعادة «شودر» أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزاً فإن ذلك يؤذى البراهمة ، وإذا رفسه فى غضب فدعت رجله ، وإذا هم أحد من المنبوذين أن يجالس برهمياً فعلى الملك أن يكوى أسته وينفيه من البلاد ، وأما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، وإذا ادعى أنه يعلمه سقى زيتاً فاتراً ، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء ! .

❁ ❁ ❁

و لم يكن الحال فى الامبراطورية الفارسية مختلفاً عنه فى بلاد الهند ، وكما يقول البروفسور «أرتهرسين» مؤلف كتاب «تاريخ إيران فى عهد الدولة الساسانية» .

« كان المجتمع الإيرانى مؤسساً على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة ، وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقاراً لأمير أو كبير ، وكان من قواعد السياسة الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذى منحه نسبه ، ولا يستشرف لما فوقه ، و لم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التى خلقه الله لها ، وكان ملوك إيران لا يولون وضيعاً وظيفة من وظائفهم ، وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزاً واضحاً ، وكان لكل واحد مركز محدد فى المجتمع » .

وفى عام ٤٨٧ قبل الميلاد ظهر « مزدك » الذى أعلن أن الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم ، ولما كان المال والنساء مما حرصت النفوس على حفظه وحراسته كان ذلك عند مزدك أهم ما تجب فيه المساواة والاشتراك . ولهذا «أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ ، وحظيت هذه الدعوة بموافقة الشبان والأغنياء والمترفين وصادفت من قلوبهم هوى ، وسعدت كذلك بحماية البلاط فأخذ « قباد »

يناصرها ونشط فى نشرها وتأييدها حتى انغمست إيران بتأثيرها فى الفوضى الخلقية وطغيان الشهوات ، قال الطبرى : « افترص السفلة ذلك واغتنموا وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا « قباذ » على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده ولا المولود أباه ولا يملك شيئاً مما يتسع به[1] .

❁ ❁ ❁

أما بالنسبة للدولة الرومانية فقد كان القرن السادس والسابع (لميلاد المسيح) من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف ، كان الإنسان فى هذا القرن قد نسى خالقه ، فنسى نفسه ومصيره ، وفقد قوة التمييز بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، وقد خفتت دعوة الأنبياء من زمن ، والمصابيح التى أوقدوها قد انطفأت من العواصف التى هبت بعدهم ، أو بقيت ونورها ضعيف ضيئل لا ينير إلا بعض القلوب فضلاً عن البيوت فضلاً عن البلاد ، وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة ، ولاذوا إلى الأديرة والكنائس والخلوات ، فراراً بدينهم من الفتن ، وضناً بأنفسهم ، أو رغبة إلى الدعة والسكون ، وفراراً من تكاليف الحياة ، ومن بقى منهم فى تيار الحياة اصطلح مع الملوك وأهل الدنيا ، وعاونهم على إثمهم وعدوانهم ، وأكل أموال الناس بالباطل ...

ثم ثارت حول الديانة المسيحية وفى صميمها مجادلات كلامية ، وسفسطة من الجدل العقيم شغلت فكر الأمة ، واستهلكت ذكاءها ، وابتلعت قدرتها العملية ، وتحولت فى كثير من الأحيان حروباً دامية ، وقتلاً وتدميراً

---

(١) المصدر السابق ص٣٩

وتعذيباً ، وإغارة وانتهاباً واغتيالاً ، وحولت المدارس والكنائس والبيوت معسكرات دينية منافسة ، وأقحمت البلاد فى حرب أهلية .

وقد بلغ الانحلال الاجتماعى غايته فى الدولة الرومية والشرقية ، وعلى كثرة مصائب الرعية ازدادت الإتاوات ، وتضاعفت الضرائب ، حتى أصبح أهل البلاد يتذمرون من الحكومات ، ويمقتونها مقتاً شديداً ، ويفضلون عليها كل حكومة أجنبية ، وكانت الإيجارات والمصادات ضغثاً على إبالة ، وقد حدثت لذلك اضطرابات عظيمة وثورات ، وقد هلك عام ٥٣٢ فى الاضطراب ثلاثون ألف شخص فى العاصمة[١] ، وعلى شدة الحاجة إلى الاقتصاد فى الحياة أسرف الناس فيه ، ووصلوا فى اا‌التبذل إلى أحط الدركات، وأصبح الهم الوحيد اكتساب المال من أى وجه ، ثم إنفاقه فى التظرف والترف وإرضاء الشهوات .

ذابت أسس الفضيلة ، وانهارت دعائم الأخلاق ، حتى صار الناس يفضلون العزوبة على الحياة الزوجية ليقضوا مآربهم فى حرية ، وكان العدل كما يقول (سيل) يباع ويساوم مثل السلع ، وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة التشجيع .

يقول (جيبون)[٢] و « فى آخر القرن السادس وصلت الدولة فى ترديها وهبوطها الى آخر نقطة ، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة كانت أمم العالم فى حين من الأحيان تستظل بظلها الوارف ، و لم يبق منها إلا الجذع الذى لا يزداد كل يوم إلا ذبولاً » .

ويقول مؤلفو تاريخ العالم للمؤرخين : « إن المدن العظيمة التى أسرع إليها الخراب ، و لم تسترد مجدها وزهرتها أبداً ، تشهد بما أصيبت به الدولة البيزنطية فى هذا العهد من الانحطاط الهائل الذى كانت نتيجته المغالاة فى

---

(١) المصدر السابق .

(٢) قيام الإمبراطورية الرومانية وسقوطها

المكوس والضرائب والانحطاط فى التجارة ، وإهمال الزراعة ، وتناقص العمران فى البلدان » .

أما عن الخلاف بين اليهود والنصارى فقد بلغ أشده ، وقد تجدد فى أوائل القرن السابع من الحوادث ما بغضهم إلى المسيحين ، وبغض المسيحيين إليهم وشوه سمعتهم ، ففى السنة الأخيرة من حكم فوكاس (٦١٠م) أوقع اليهود بالمسيحيين فى أنطاكية ، فأرسل الامبراطور قائده « أبنوسوس » ليقضى على ثورتهم ، فذهب وأنفذ عمله بقسوة نادرة ، فقتل الناس جميعاً ، قتلاً بالسيف وشنقاً وإغراقاً وتعذيباً ، ورمياً للوحوش الكاسرة .

وكان ذلك بين اليهود والنصارى مرة بعد مرة . قال المقريزى فى كتاب الخطط : « وفى أيام فوقا ملك الروم ، بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام ، وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا إلى مصر فى طلبهم ، وقتلوا منهم أمة كبيرة ، وسبوا منهم سبياً لا يدخل تحت حصر وساعدهم اليهود فى محاربة النصارى وتخريب كنائسهم . وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل ، وقرية الناصرة وصور، وبلاد القدس ، فنالوا من النصارى كل منال ، وأعظموا النكاية فيهم ، وخربوا لهم كنيستين بالقدس ، وأحرقوا اماكنهم ، وأخذوا قطعة من عود الصليب ، وأسروا بطرك القدس وكثيراً من أصحابه »[1] .

إلى أن قال بعد أن ذكر فتح الفرس لمصر :

« فثارت اليهود فى أثناء ذلك بمدينة صور وأرسلوا بقيتهم فى بلادهم وتواعدوا على الإيقاع بالنصارى وقتلهم ، فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفاً وهدموا كنائس النصارى خارج صور فقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم كثير ، وكان

---

[1] كتاب الخطط المقريزية جـ٤ ص٣٩٢

وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة الندوى

هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية ، وغلب الفرس بحيلة دبرها على كسرى حتى رحل عنهم ، ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ، ويجدد ما خربه الفرس ، فخرج إليه اليهود من طبرية وغيرها ، وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم ، ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالأناجيل والصلبان والبخور والشموع المشتعلة ، فوجد المدينة وكنائسها خراباً ، فساءه ذلك وتوجع له ، وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وإيقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس ، وانهم أشد نكاية لهم من الفرس وقاموا قياماً كبيراً فى قتلهم من آخرهم ، وحثوا هرقل على الوقيعة بهم ، وحسنوا له ذلك فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه ، فأفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عليه فى قتلهم ، فإنهم عملوا حيلة حتى أمنهم من غير أن يعلم بما كان منهم ، وأنهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جمعة فى كل سنة عنه على ممر الزمان والدهور ، فمال إلى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعهم فيها ، حتى لم يبق فى ممالك الروم بمصر والشام منهم إلا من فر واختفى إلخ .. » .

وبهذه الروايات يعلم ما وصل إليه الفريقان ، اليهود والنصارى ، من القسوة والضراوة بالدم الإنسانى وتحين الفرص للنكاية فى العدو ، وعدم مراعاة الحدود فى ذلك ، وبهذه الأخلاق المنحطة والاستهانة بحياة الإنسان لا يمكن لطائفة أو أمة أن تؤدى رسالة الحق والعدل والسلام ، وتسعد البشرية فى ظلها وتحت حكمها .

وقد بلغ الأمر بأحد الأساقفة أن أوعز إلى أحد حكام الفرس بالإيقاع بأبناء طائفة أخرى مسيحية على غير مذهبه حتى قتل منها ألوفاً مؤلفة .

يقول توماس أرنولد Thomas Arnlod :

فى القرن الخامس الميلادى أغرى « برصوما » - وهو أسقف نسطورى - ملك الفرس بتدبير اضطهاد عنيف للكنيسة الأرثوذكسية ويقال : إن عدداً

يبلغ ٧٨٠٠ من رجال الكنيسة الأرثوذكسية مع عدد ضخم من العلمانيين قد ذبحوا بناءً على وصية هذا الأسقف ... وتمت محاولة أخرى أعدم فيها الألوف من أبناء هذه الطائفة أيضًا بتحريض أحد اليعاقبة الذى أقنع ملك الفرس بتنفيذ هذه المذبحة[١] .

أما فى مصر فقد قتل حوالى ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف مصرى لرفضهم اعتناق مذهب الدولة الرومانية التى حاولت فرضه على مسيحيى مصر وهو المذهب الملكانى .

أما الأمم الأوربية - المتوغلة فى الشمال والغرب - فكانت تعيش فى ظلام الجهل والأمية ، والحروب الدامية ، وكانت بعيدة عن جادة قافلة الحضارة الإنسانية ، والعلوم والآداب ، لا شأن للعالم بها ولا شأن لها بالعالم.

كانت أجسامهم قذرة ، ورؤوسهم مملؤة بالأوهام ، وكانوا يزهدون فى النظافة واستعمال الماء ، ويغالى الرهبان منهم فى تعذيب الأجسام ، والفرار من الإنسان ، وكانوا يبحثون فى أن المرأة حيوان أم انسان ، ولها روح خالدة أم ليست لها روح خالدة ، وأن لها حق الملكية ، والبيع ، والشراء ، أم ليس لها شئ من ذلك ؟

يقول روبرت بريفولت Robert Briffault [٢] :

« لقد أطبق على أوروبا ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً ، وقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولاً ، وأفظع من همجية العهد القديم ، لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة ، وقضى عليها بالزوال ، وقد

---

(١) الدعوة إلى الإسلام - توماس أرنولد .

(٢) فى كتابه بناء الإنسانية ص١٦٤ .
نقلاً عن العلامة الندوى .

كانت الأقطار الكبيرة التى ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها فى الماضى ، كإيطاليا ، وفرنسا ، فريسة الدمار والفوضى والخراب .

❁ ❁ ❁

إن المادة الأولى فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة[1] تنص على ضرورة «حفظ السلام والأمن الدوليين وتحقيقاً لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التى تهدد السلم ولإزالتها وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم» .

وقد جاء فى مقدمة ميثاق الهيئة تأكيد إيمان الشعوب الموقعة على هذا الميثاق : بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

كما جاء فى المادة الثالثة والأربعين من ميثاق هيئة الأمم ما يلى بالنص :

يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ما يلزم من القوات المسلحة الضرورية لحفظ السلم والأمن الدوليين وتشكل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها إسداء المشورة والنصح المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية ، ولاستخدام القوات الموضوعة تحت تصرفه - المادة ٤٧ - . كما يتضافر أعضاء الأمم المتحدة على تقديم المعونة المتبادلة لتنفيذ التدابير التى قررها مجلس الأمن - مادة ٤٩ - .

لو أردنا تبسيط هذه المواد فى عبارات موجزة فسنرى أنه من اختصاص هيئة الأمم لتدخل بالقوة للقضاء على مظاهر الظلم والعدوان والتفرقة فى أى مكان فى الدنيا .. كما أنه يبيح لهيئة الأمم التدخل للقضاء على الأنظمة التى تعتمد فى حكمها على القمع والقهر لشعوبها ..

---

(١) نقلاً عن ميثاق الأمم المتحدة .

أليس هذا هو ما فعلته الأمم المتحدة وتذرعت به في حرب فيتنام وكوريا؟

صحيح كان القتال تحت علم الأمم المتحدة .. وإن كان لأميركا الدور الأكبر في هذه الحرب التي كلفتها الكثير من جيشها وعتادها ...

إن الإنسانية من وجهة نظر الإسلام أسرة واحدة .. فالناس سواسية كما يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم . والتفاوت بين الناس لا يقوم على هذه العنصرية البغيضة التي عرفها الناس قديماً وحديثاً . وهل كانت الحرب العالمية الثانية إلا ثمرة من ثمار هذه االعنصرية البغيضة ؟ فهتلر لم يكن يرى في العالم شعباً أرقى من الشعب الألماني .. وكانت النازية تجسيداً بشعاً لهذه الفلسفة التي خربت معظم أقطار الدنيا .

إن الامبراطورية الرومانية كانت تعتبر نفسها دون غيرها امبراطورية مقدسة .. وكل ما في العالم ليسوا سوى عبيد وبرابرة .. كذلك كانت نظرة الامبراطورية الفارسية ، وكذلك كان الحال في الهند وغيرها .

ترى ماذا كانت تفعل الأمم المتحدة – لو كانت قائمة – إبان هذه الفترة قبل أربعة عشر قرناً ؟ سؤال أوجهه إليكم جميعاً ...

– السيد جراهام :

– بالتأكيد . ما كانت لتسمح بهذه الهمجية والفوضى .

❁ ❁ ❁

سؤال آخر: وبم تسمى تدخل الأمم المتحدة لتغيير هذه الأوضاع بالقوة؟

السيد جراهام : لا شك أن مثل هذا التدخل يقابل من الجميع بالارتياح والرضا ..

وهذه هو ما فعلته قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. إنني لازلت أذكر هذا اليوم الذي أطلق عليه اسم «أطول يوم في التاريخ» The Longist Day وهو

يوم نزول قوات الحلفاء إلى أرض فرنسا فى منطقة « نورماندى » ، وقد شاهدت عمليات هذا الإنزال فى « فيلم » أطلق عليه اسم هذا اليوم نفسه، كما شاهدت فى بريطانيا أيضًا هذا المسلسل الذى أطلق عليه اسم «العالم فى حرب» The World At War .. إن الشئ الذى لفت نظرى فى الفيلم الأول ، وفى هذا المسلسل هو استقبال الشعب الفرنسى وشعوب أوروبا كلهاا لقوات الحلفاء استقبالاً مفعماً بصدق العاطفة .. كان الرجال والنساء والأطفال يلقون الزهور على الدبابات وعربات جر المدافع الثقيلة .. كما كانت الفتيات تصعدن إلى ظهور الدبابات ليعانقن جنودها فى فرح ونشوة .. لقد ذهبت إلى غير رجعة طغمة الشر ، وانحسرت موجة الطغيان والظلم ..

❁ ❁ ❁

والإسلام - كما قلت - ينظر الى الإنسانية كأسرة ... كركاب سفينة واحدة ... ومن ثم فأى عطب يصيب أى جزء فى هذه السفينة يعرض ركابها كلهم للخطر ...

وفى القرآن االكريم أية تقرر بأنه ﴿**... من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً .. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً..**﴾[1] .

ويقول النبى محمد صلى ا لله عليه وسلم فى حديث صحيح مروى عنه :

« انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » لقد تعجب أصحابه من ذلك وقالوا : « ننصره مظلوماً » ولكن كيف ننصره ظالماً » ؟

فشرح لهم ذلك موضحاً بأن « نصرة الظالم » ليس معناه أن تعينه على الظلم بل لتمنعه من الظلم ..

---

(١) سورة المائدة : ٣٢ .

فأعلى درجات النصر هو الانتصار على هوى النفس ، والتسامى بهذه النفس عن شهواتها المهلكة للحرث والنسل .. ولقد تضمنت مبادئ الإسلام الأساسية أكبر ثورة تحررية عرفتهخا البشرية . ثورة على الظلم بكل صنوفه وأنواعه ، وفى كل ميادينه ومجالاته ، وثورة على النظم والحكومات والأوضاع التى تسند هذا الظلم وتستبقيه لحساب فرد على جماعة فى صورة حاكم أو مستغل ، أو لحساب طبقة على طبقة فى صورة إقطاعيين ورأسماليين وصعاليك .. أو لحساب دولة على دولة فى صورة محتلين ومستعمرين .

و لم يكن بد أن يقاومه أفراد ، وأن تقاومه طبقات ، وأن تقاومه دول . و لم يكن بد كذلك أن يمضى الإسلام بثورته الكاملة الشاملة فى وجه هذه المقاومة ، واستنقاذ البشرية أفراداً وجماعات من جور الأرباب الأرضية الممثلة فى الأشخاص والحكومات والنظم والأوضاع . لكى يقيم السلام العالمى الأكبر على أسسه الأصلية ، لا بين الدول فحسب ، ولكن فى داخل هذه الدول كذلك فلا يسكت معها بأى ثمن . إن النظرة الإسلامية نظرة ربانية محيطها « العالم » وموضوعها « الإنسان » فليس همه أن يشترى السلم الكاذبة مع دولة من الدول ، بأن يدع هذه الدولة تقيم لرعاياها أرباباً من دون الله ، يدعون حق الربوبية فيها ، وتحرمهم العدل القضائى والعدل الاجتماعى . فهؤلاء الرعايا الذين تحكمهم تلك الدولة الظالمة ، أياً كان دينها وأياً كان شكلها ، هم ناس من البشر ، والأمة المسلمة مكلفة أن ترفع عنهم الظلم ، وتمتعهم بالعدل ، ولتقريب هذه الصورة .. أذكر لكم قصة جندى بسيط من جنود الإسلام . ففى موقعة « القادسية » التى انتصر فيها المسلمون على الفرس طلب القائد الفارسى رستم من القائد المسلم سعد بن أبى وقاص رجلاً يفاوضه فأرسل إليهم ربعى بن عامر ، فجاءه وقد جلس على سرير من ذهب ، وبسط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب ، فأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب .

فلما انتهى إلى البساط وطئه بفرسه ، ثم نزل وربطهـا بوسـادتين شـقهما وجعل الحبل فيهما ...

ثم أخذ عباءة بعيرة فاشتملها ، فأشاروا عليه بوضع سلاحه ،

فقال :

لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم ، وإنما دعوتموني ..

ثم أقبل يتوكأ على رمحه ، ويقارب خطوه ، حتى أفسد ما مـر عليـه مـن البسـط . ثـم دنـا مـن « رستم » وجلـس علـى الأرض ، وركـز رمحـه علـى البساط. وقال :

إنا لا نقعد على زينتكم ! ! .

فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ .

قال : « الله جاء بنا .. وهو بعثنا لنخرج من شـاء مـن عبـادة العبـاد إلى الله .. ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .. ومن جور الأديان إلى عـدل الإسـلام .. فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه ، فمـن قبلـه قبلنـا منـه ورجعنـا عنـه ، وتركنـاه وأرضه .. ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر .. »

فقال رستم : قد سمعنا قولكم ، فهل لكـم أن تؤخـروا هـذا الأمـر حتـى ننظر فيه ؟

فقال : « نعم . وإن مما سن لنا رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث .. فنحن مترددون عنكم ثلاثاً .. فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل .. الإسلام وندعـك وأرضـك ، أو الجزيـة فنقبل ونكف عنك وإن احتجت إلينا نصرناك ، أو المنابذة في اليـوم الرابـع إلا أن تبدأ بنا ، وأنا كفيل بذلك عن أصحابي »

فقال رستم : أسـيدهم أنـت ؟ قـال لا « ولكـن المسـلمين كالجسـد الواحد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم »

ثم انصرف ، فخلا رستم بأصحابه وقال : أرأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل ؟

فلما كان اليوم الثانى من نزول رستم ، أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا هذا الرجل .. فأرسل إليه حذيفة بن محصن الغطفانى .. فلم يختلف عن ربعى فى العمل والإجابة .

فقال له رستم : ما قعد بالأول عنا ؟ .

قال : «أميرنا يعدل بيننا فى الشدة والرخاء ، وهذه نوبتى».

فقال له رستم . والمواعيد إلى متى ؟.

قال · إلى ثلاث من أمس ..

وفى اليوم الثالث . أرسل إلى سعد : أن ابعث إلينا رجلا . فأرسل إليه المغيرة بن شعبة فتوجه إليه ، ولما كان بحضرته جلس معه على سريره .

فأقبلت إليه الأعوان يجذبونه ، فقال لهم :

قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قوماً أسفه منكم .

إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً .. - إلا أن يكون محارباً لصاحبه - فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ... وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض.. وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم.

وإنى لم آتكم ، ولكنكم دعوتمونى ، اليوم علمت أنكم مغلوبون ، وأن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول .

فقالت السوقة : صدق والله العربى .

وقالت الدهاقين - الزعماء - لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا تنزع إليه ، قاتل الله سابقينا حيث كانوا يصغرون أمر هذه الأمة . ثم تكلم رستم بكلام

عظم فيه شأن الفرس وصغر شأن العرب ، وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وضيق العيش .

فقال المغيرة : « أما الذى وصفتنا به من سوء الحال ، والضيق والاختلاف ، فنعرفه ولا ننكره ، والدنيا دول ، والشدة بعدها الرخاء ، ولو شكرتم ما آتاكم الله ، لكان شكركم قليلاً على ما أوتيتم .

وقد أسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال .

إن الله بعث فينا رسولاً .. ثم ذكر ما تقدم وختم كلامه بالتخيير بين الإسلام والجزية والمنابذة . ثم رجع .

❁ ❁ ❁

أرأيتم كيف كان الإسلام رسالة تحريرية وعقيدة دينية معاً .. وفى هذا المعنى يقول شاعر مسيحى عربى اسمه رشيد سليم الخورى :

إذا حاولت رفع الضيم فاضرب
بسيف محمد واهجر يسوعا
أحبوا بعضكم بعضاً وعظنا
بها ذئباً فما نجت قطيعا
فيا حملاً وديعاً لم يخلف
سوانا فى الورى حملاً وديعا
ألا أنزلت إنجيلاً جديداً
يعلمنا إباء لا خنوعا

❁ ❁ ❁

لكن .. هل كانت المسيحية سلاماً ومحبة كما يتردد هذا الكلام على ألسنة البعض ؟ .

إن الإجابة على هذا السؤال لم يحن وقتها بعد ..

سؤال : من السيدين جوزيف Joseph وديفيد David :

إننا يهود كما تعلم ، وتعرف جيداً ما حصل لليهود على يد النبى محمد.. فما تفسيرك لهذا الاضطهاد الذى تعرض له هؤلاء اليهود فى جزيرة العرب وفى مطاردتهم وتشريدهم من غير سبب ؟ ..

❁ ❁ ❁

قلت مبتسماً :

إن إثارة هذه القضية ليست فى صالح السيدين جوزيف وديفيد .. فهذه القضية ... قضية المسلمين مع اليهود لو عرضناها عرضاً فى ضوء القوانين الوضعية المعمول بها هنا فى استراليا أو فى أى مكان من الدنيا . فلسوف يكون الحكم عنيفاً وقاسياً .. وعاراً أيضًا ... !

ولمزيد من الإيضاح والتفصيل فإنى أوجه إليكم هذا السؤال جميعاً :

ماذا يكون موقف الحكومة الأسترالية عند اكتشاف مؤامرة دبرها استراليون ضد وطنهم بالتعاون مع أعداء هذا الوطن ، وبماذا نصف عمل هؤلاء المتآمرين بعد ثبوت تهمة تآمرهم مع الأعداء ضد هذا الوطن ؟

- الخيانة العظمى طبعاً ..

أعود بعد ذلك إلى سؤال السيدين جوزيف وديفيد . لقد كان اليهود جزءاً من المجتمع الإسلامى الذى أقامه الإسلام فى المدينة حيث كان يعيش هؤلاء اليهود مع المسلمين كأسرة واحدة ، وقد أعطاهم النبى كل حقوق المواطنة التى يتمتع بها أى مسلم ، بل اعتبر النبى اليهود « أمة من المؤمنين » بحكم أصل دينهم ... وفوق ذلك كله فقد وقع النبى معهم معاهدة دفاع ومواثيق آمن مشتركة يلتزم المسلمون فيها بالدفاع عن هؤلاء اليهود إذا

تعرضوا لأى خطر يتهددهم ، وبالتالى يلتزم اليهود بالدفـاع عـن المسـلمين إذا تعرضوا لمثل هذا الخطر من غيرهم ...

فماذا حدث بعد ذلك .. ؟

لقد اتصل هؤلاء اليهود - من وراء ظهر النبـى - بأعدائه ، وحرضوهـم على قتاله ، بل قدموا لهم العون المادى فى كل صورة وأشكاله ...

فماذا يقول السيدان جوزيف وديفيد بعد ذلك ؟

- صمت ... وهمس ... بين الحاضرين ...

ثم قلت : هذه واحدة .

أما ثانياً : فإن المسلمين واليهود يؤمنون معاً بإله واحد لا شريك له فالإله الواحد الذى لا شريك له هو جوهر العقيـدة عنـد المسـلمين واليهـود جميعـاً . كما أن محاربة الوثنية والشرك هدف مشترك للديانتين معاً ..

ولكننا سنفاجأ بموقف فى غاية الغرابة حين نعلم أن هؤلاء اليهود تنكـروا لديانتهم تنكراً صارخاً . فعندما سألهم مشركو مكة عن ديانة محمـد ، وعـن ديانة مشركى العرب ، قالوا : إن دينكم خير من دين محمد ..

وبهذا الجواب آثر هؤلاء اليهود عبـادة الأصنـام على عبـادة الله الواحـد الأحد ..

تـرى مـاذا يقـول السيدان جوزيـف وديفيـد ؟ إن جوهـر العقيـدة عنـد المسلمين واليهود واحد كمـا قلـت ... وهـو توحيـد الله المـنزه عـن الشـريك والولد والابن . فكيف يقرر هؤلاء اليهود - بعد ذلك - بـأن مشـركى مكـة على حق ؟ وإذا لم تكن هذه هى « الردة » فبماذا تسمى هذا العمـل الطـافح بالكفر والنفاق والحقد ؟

إن هذه وحدها تكفى لوصفهم بأقسى درجات الخيانة والكفر ...

أما ثالثاً : فأمر لا يتصوره عقل ، وجريمة يقشعر منها البـدن بـالرغم مـن مرور الزمن والوقت

إننا نحن المسلمين مطالبون بإكرم الضيف حتى لـو لم نـأكل ، ومطـالبون بإكرام الجار حتى وإن كان غير مسلم .

فكيف لو كان الجار نبياً من أولى العزم ، ورسولاً مختـاراً مـن ا لله لهدايـة البشر ؟

غير أن ما فعله اليهود - مع النبى - كان علـى عكـس هـذا كلـه .. فـى زيارة قام بها النبى إليهم . فكر رؤساهم وقالوا :

إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه .. - يقصـدون أنـه كـان بـين عدد قليل من أصحابه - فهل نجد منكم رجلاً يصعد إلى ظهر هـذا البيـت ثـم يلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ ! ..

مؤامرة بشعة ديست فيها كـل التقـاليد والقيـم ، ومـع مـن ؟ مـع نبـى ، وأين؟ وهو فى ضيافتهم التى توجب إكرام الضيف لا قتله على هذا النحو ..

لقد أرادوا أن يجعلوا من النبى محمد مسيحاً آخر ..

وكما نجى ا لله المسيح من محاولة الصلب . نجى محمـداً أيضًـا مـن محاولـة القتل ..

أرى بعضكـم يهمـس فـى أذن البعـض ... ربمـا كـان ذلـك بسـبب قـولى «محاولة الصلب» .. إننى هنا أتكلم بمنطق إيمانى فقط ... وفى ضوء هذا الايمان تم إجراء هذا الحوار فى ساحة هذا المسـجد . وقـد يتوهـم البعـض أننـى منحـاز بحكم الدين والعاطفة ... أقول قـد يتوهـم البعـض ذلـك .. لـذا .. فـإنى أتـرك الكلام لرجل لا تحوم حوله شبهة ، ولا يشك أى يهودى فى إخلاصه وصدقه..

إنه البروفسور اليهودى إسرائيل ولفنسون[1] : فماذا قال هذا الرجل :

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص١٢٣ .

« إن الذى يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء ، إنما هو تلك المحادثة التى جرت بين نفر من اليهود ، وبين بنى قريش الوثنيين ، حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية » .

إلى أن قال : « ثم إن ضرورات الحروب أباحت للأمم استعمال الحيل والأكاذيب ، والتوسل بالخدع والأضاليل للتغلب على العدو ، ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش ، بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامى ، ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ، لأن بنى إسرائيل الذين كانوا مدة قرون حاملى راية التوحيد فى العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين ، والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد فى عصور شتى الأدوار التاريخية ، كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم فى سبيل أن يخذلوا المشركين »[1] .

ولكنهم بدلاً من ذلك انحازوا إلى الكفر وأساءوا إلى أنفسهم قبل أن يسيئوا إلى الغير ، وأظهروا أنفسهم فى صورة ينفر منها الصديق قبل العدو . فهل بقى بعد ذلك عند السيدين جوزيف وديفيد أدنى شك .. إن فيما قاله «البروفسور اليهودى إسرائيل ولفنسون» إدانة شاملة ليهود هذا العهد .

❁ ❁ ❁

سؤال من السيدة ليندا Linda :

هل يعنى ذلك الحكم باضطهاد اليهود ومطاردتهم أبد الدهر ؟ .

قلت للسيدة ليندا :

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص٤٢ ، تأليف إسرائيل ولفنسون .

إنا نحن المسلمين نختلف عنكم - أى عن المسيحيين - فى تطبيق هذا الحكم وفى تصور أبعاد هذا الحكم ..

فالمسؤولية فى الإسلام مسؤولية فردية .. أى ﴿ .. لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[1] ثم إن اليهود كالنصارى - أهل كتاب وأهل ذمة - ومعنى ذلك ايضا ان الاسلام ضمن لهم الحرية فى عقائدهم.والحماية لاموالهم وأرواحهم . وأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ... إن الإسلام يختلف عن المسيحية فى هذه الفطرة المتسامحة ، وفى حصر « الخطيئة « أو « الجريمة » فى الزمان والمكان والشخص الذى فعل هذه الخطيئة أو ارتكب هذه الجريمة ... إن لعنة اليهود لعنة أبدية عند الطوائف المسيحية المختلفة ... والتغيير الذى حدث فى السنوات الأخيرة بالنسبة لهذه القضية تحيط به شكوك كثيرة ، وتغلفة مضامين سياسية غامضة .

إن الاضطهاد الذى لاحق اليهود فى رحلة حياتهم الطويلة . لم يكن للمسلمين فيه جمل ولا ناقة .. بل كان المسلمون بالنسبة لهؤلاء اليهود سفينة النجاة فى كل عصر تعرضوا فيه لأية محنة ..

وعلى سبيل المثال : فقد كان اليهود فى شبه جزيرة « أيبريا « أو ما يعرف باسم « البرتغال وإسبانيا » كتلة كبيرة عاملة ولكنهم كانوا موضع بغيض وتحامل من السلطة والكنيسة .

ففى عهد الملك سيزبوت فرض التنصر على اليهود أو النفى أو المصادرة ، فاعتنق النصرانية كثير منهم كرهاً ورياء (سنة ٦١٦ ميلادية) . ثم توالت عليهم بعد ذلك صنوف الاضطهاد والمحن ، حتى ركنوا مرة إلى التآمر وتدبير الثورة ، وتفاهموا مع يهود المغرب على المؤازرة والتعاون . ولكن المؤامرة اكتشفت قبل نضجها (٦٩٤ ميلادية) . وكان ذلك فى عهد الملك راجيكا ، فقرر أن يشتد فى معاقبتهم ، واجتمع مؤتمر الأحبار فى طليطلة للنظر فى

---

(١) سورة فاطر ١٨

ذلك. وأجاب الملك إلى ما طلبه ، وقرر معاقبة اليهود باعتبارهم خوارج على الدولة يتآمرون على سلامتها ، ولأنهم ارتدوا عن النصرانية التي اعتنقوها من قبل . وقرر أن ينزع أملاكهم في سائر الولايات الإسبانية وأن تحول إلى جانب العرش ، وأن يشردوا ويقضى عليهم بالرق الأبدى للنصارى ، وأن يهبهم الملك عبيداً لمن يشاء وألا يسمح لهم باسترداد حرياتهم ما بقوا على اليهودية ، وأن ينزع أبناؤهم منذ السابعة ويربون على دين النصرانية ، وألا يتزوج يهودى إلا بنصرانية ، ولا تتزوج يهودية إلا بنصرانى ، وهكذا عصفت يد البطش والمطاردة باليهود أيما عصف . فكانوا قبيل الفتح الإسلامى ضحية ظلم لا يطاق وكانوا يتوقون إلى الخلاص من هذا النير الجائر ، ويرون فى أولئك الفاتحين الذين يتركون للناس حرية الضمائر والشعائر مقابل جزية ضئيلة ، ملائكة منقذين » .

كانت هذه الصورة للواقع اليهودى فى المغرب والأندلس بين سنتى ٦١٦و ٦٩٤ ميلادية تقابل – فى المشرق – الفترة الواقعة بين الهجرة النبوية تقريباً وخلافه عمر وفتح الشام وفارس ومصر والعراق ، وخلافه على ، وقيام الدولة الأموية ، ثم أول اصطدامات ضد البيزنطيين فى ديارهم ذاتها وأول حصار للقسطنطينية سنة ٦٧٩ ميلادية ، و لم يتأخر فتح الأندلس (٧١١) كثيراً .

ولذلك لم يكن غريباً ، حين عبر طارق بن زياد بجيوشه إلى أسبانيا ، إن « اليهود كانوا يعاونون المسلمين فى تلك الفتوح .. وعندما وصل طارق بن زياد بجيوشه إلى طليطلة مخترقاً هضاب الأندلس .. كان القوط قد فروا ، و لم يبق بها سوى اليهود وقليل من النصارى ، فاستولى طارق عليها ، وأبقى على ما بقى من سكانها ، وترك لأهلها الكنائس ، وترك لأحبارها حرية إقامة الشعائر الدينية » .

يقول المؤرخ الأمريكى سكوت « .. كان دفع الجزية يضمن الحماية لأقل الناس ، وكان يسمح للورع المتعصب أن يزاول شعائره دون تدخل ، كما يسمح للملحد أن يجاهر بآرائه دون خشية لمطاردة والأحبار يزاولون شؤونهم فى سلام » .

وقد عومل اليهود منذ الفتح بمنتهى الرفق والعناية ، وازدهرت أعمالهم التجارية والصناعية فى ظل ذلك التسامح الإسلامى المأثور ، ووصلوا فى قرطبة فى ظل الخلافة إلى ذروة النفوذ والرخاء . وفى أيام الناصر تولى أحدهم، وهو العلامة حسداى بن شبروت ، الإشراف على الخزانة العامة ، وكان قبل ذلك قد حظى برعاية الناصر لخدماته الدبلوماسية ، وترجمته لكتاب ديستوريدس عن الأعشاب الطبية ، من اليونانية إلى العربية ، وهو الكتاب الذى أهدى قيصر منه نسخة إلى الناصر ، وفى ظل هذه الرعاية ، وفد كثير من العلماء والأدباء اليهود إلى قرطبة ، أيام الناصر وولده الحكم ، وقامت فى ظل نشاطهم مدرسة قرطبة التلمودية ، ومؤسسها الرابى بن حنوش ، والتوجيه لهذه البحوث ، واستمرت الخلافة الأموية ، ومن بعدها حكومات الطوائف على رعاية الأقلية وتشجيعها ، وكان يهود قرطبة يرتدون الزى العربى ، ويتخلقون بالتقاليد والعادات العربية ، ويمتازون بثرائهم ومظاهرهم الفخمة»[١] .

ولكن ، هل شكروا لنا ذلك ؟

بالعكس ...

ما كادت كفة العرب تشل فى الأندلس ، حتى انقلب اليهود عليهم ، وأصبحوا عملاء لملوك قشتالة وليون وأكناد[٢] قطلونية وملوك أرغون .

---

(١) نقلاً عن كتاب «شرعية السلطة فى العالم العربى» أحمد بهاء الدين ص١١٨ وما بعدها

(٢) الأكناد جمع كند بضم الكاف وسكون النون وهو تعريب لفظ كونت Conte ولهذا يعرب أحيانًا على قمط (بضم القاف وسكون الميم) والجمع أقماط ولفظ Comte محرف عن اللاتينية Comes ومعناها الرفيق أو رفيق الملك

وبلغ من إصرارهم على عداوة العرب أن نصبوا أنفسهم جباة للأتاوات التى فرضها الملك الفونسو السادس على بعض أمراء الطوائف .

وكشفوا للإسبان عن أسرار المسلمين ومواضع الضعف فى دولهم ، ونسوا كل أيادى العرب البيضاء عليهم ..

وعندما اتخذ الموحدون سياسة حذر من اليهود فى الأندلس وبدءوا يضيقون عليهم هاجر الكثيرون منهم من الأندلس .

ولكن هل تظن أنهم هاجروا إلى أوروبا ؟

لا ، بل إلى بلاد عربية أخرى : إلى بلاد المغرب ومصر والشام ، لأن أوروبا ما كانت لترحب بهم أبداً ..

وموسى بن ميمون - الذى يعده اليهود من عظماء فلاسفتهم - دليل على نكران اليهود للخير .

فقد هاجر إلى مصر ولقى فيها إكراماً كبيراً ، حتى أصبح فى عداد أطباء الناصر صلاح الدين ولكنه كان - فى السر - يكتب رسائل سباب للعرب إلى صديق له فى الفيوم ، ولدينا جانب من هذه الرسائل :

ذلك أن اليهود - فى أعماق نفوسهم - لا يغفرون لأبناء عمومتهم العرب ما كتب الله لهم من التوفيق بفضل الإسلام ورسوله الكريم ..

هذا بعض ما فعله المسلمون لليهود ... اما ما فعله الميسحيون ضد اليهود فإليكم بعض ما فعل وقيل ضد هؤلاء اليهود :

يقول الأب بريساك[1] :

« إن الخيانة فى جوهرها يهودية : فإذا قلت : « خيانة » فإنك تعنى اليهود .. ويقول : إن أول خائن يعرفه تاريخ فرنسا يهودى ، ويقص حكايات كثيرة عن خيانات يهودية .

---

(١) نقلا عن كتاب «كيف نفهم اليهود» للدكتور حسين مؤنس ص٣٦ وما بعدها - سلسلة كتابك - دار المعارف .

ولكن هذا الأب يحمله الحماس إلى قول سخافات مثل زعمة أن اليهود أيدوا الإسلام ليحاربوا به المسيحية وقال : إن هذا المعنى قال به أب دومينيكى يسمى Thierry فى كتاب له عنوان « من موسى إلى محمد De Mohammad Mose ثم يضيف أن العلاقة بين المسيحية واليهودية مثل العلاقة بين أعلى درجات السلم وأدناها .. وأن طيبة قلب المسيحيين هى التى سمحت لبعض اليهود بالصعود فى السلم الاجتماعى عن طريق التنصر ، وأن اليهود لا يحترمون غير القوة ، والذين يتنصرون منهم إنما يبايعون القوة لا المسيح » ..

ويسخر هذا الأب من كل محاولة للتقريب بين المسيحية واليهودية قائلاً : إنها محاولات لخداع المسيحيين ، وينقد البابا بيوس الحادى عشر ، لأنه قال : إننا ساميون من الناحية الروحية .

وفى فقرة طويلة يذكر الأب بريساك مثالب اليهود وما اشتهروا به من ذميم الصفات : ومن ذلك قطعة من الشعر اللاتينى نظمها شاعر يسمى سيسا Sessa كانت شائعة فى العصور الوسطى كلها ، تقول :

جنس محتقر ، كريه الرائحة ، وقح ، حسود ...

ناشر أمراض بلا شرف ، مهمل ، بغيض ، خسيس .

قذر ، بخيل ، عنيد ، ملعون ، مشاكس ...

لا تقى فيه ، جحود ، جشع ، غير كريم ، شديد العداوة .

ومن ذلك ما قاله فكتور هيجو فى يهودى تنصر على يد البابا ، ثم عهدوا إليه بعد ذلك فى مرافقة الدوقة دوبيرى Du Berry لحمايتها فى السفر، فباعها بخمسة آلاف فرنك : !!!

الشرف والإيمان والقسم

ذلك ما باعه اليهودى دون ألم

ومن ذلك أيضًا ما قاله الفيلسوف الفرنسي بوسويه Bosswet :

« أيها الشعب الملعون ، هذا الدم سيتعقبكم إلى آخر وليد لكم « وما قاله البابا بولس الرابع : من أنهم شعب خلق للاستعباد ، وأنهم شعب فى غاية السخف ، وهو الذى أمر بأن يحبس يهود روما فى حواريهم ، أى أنه أنشأ « الجيتو » الرومانى .

وقد حرصت الكنيسة أجيالا متواليةً على إنكار أن السيد المسيح كان يهودياً ، ولو أنه ولد بين اليهود ، ولهذا قالت بأصله الإلهى ، وبقلبه المقدس ، واسمه المقدس ، والمسيح الملك ، وما إلى ذلك من العبارات التى تنفى نفياً باتاً أى صلة بين المسيح ويوسف النجار ، وتؤكد أنه ابن الله ...

واستمرت الكنيسة تنص على ذلك حتى آمن الناس فى أوروبا بأن السيدة العذراء ليست من آل هارون وإن كانت قد ولدت فيهم ... فكان المسيحيون وهم يقتلون اليهود فى مذابحهم الكثيرة فى أوروبا يهتفون : تحيا مارية ...

وقد أنكرت السيدة العذراء نفسها أى صلة باليهود عندما ظهرت - فى الأسطورة - لبرناديت وقالت : أنا الحمل (بفتح الحاء وسكون الميم) الطاهر .

ويقرر الكتاب ما كان اليهود فيه من ذل فى أوروبا طوال العصور الوسطى : فإلى جانب الاحتقار والمهانة والمقاطعة وإرغامهم على العيش فيما يسمى « بالجيتو » وهى حارات ضيقة قذرة ذات كهوف وسراديب تحت الأرض - كانوا يتعرضون لكل صنوف الأذى دون أن يتعرض من يؤذيهم لأى لوم ...

ففى عيد « أحد السعف » فى مدينة بيزييه فى جنوبى فرنسا ، كان الجمهور يتسلى بمطاردة اليهود ورميهم بالأحجار ، زاعمين أنهم بذلك ينتقمون منهم لما اقترفوه فى حق السيد المسيح ... !

وفى تولور كانت العادة أن يستدعى رئيس اليهود إلى بيت الحاكم يوم «أحد الفصح» حيث يتلقى أمام الناس صفعة عنيفة انتقاماً للمسيح ، وقد تعمد أحد الفرسان مرة أن يصفع اليهودى بيده فى قفاز حديد ، فضربه ضربة تناثر منها مخه !!!

وفى روما كانوا يرغمون اليهود على الرقص عرايا فى مهرجان الفصح أمام الناس أجمعين والسياط تلهب ظهورهم إذا تراخوا فى الرقص .

وكان أحد البابوات يأمر بوضعهم فى براميل تبرز من جدرانها المسامير ، تدحرج من أعلى تل تستشيانوا ! .

وفى إسبانيا والبرتغال كانوا يحرقون أحياء بالمئات ، وآخر يهودى أحرق فى إسبانيا كان سنة ١٨٢٥ .

وفى جنوا كانوا يحبسون فى أقفاص حديدية ويحرمون الطعام والماء إلى أن يقبلوا الصليب ، وقد مات الكثيرون منهم دون أن يقبلوا[١] ...

❁ ❁ ❁

سؤال من السيد Fox :

هناك سؤال يطاردنى منذ بدأت جلستنا هنا قبل ساعتين ... إن ما قيل حتى الآن لا يختلف فيه اثنان ... ولكن الذى يحيرنى ويحير غيرى أيضًا هو :

لماذا اقترن انتشار الإسلام بالسيف ؟: ولماذا ألصقت بالإسلام تهمة القسوة والعنف ؟

قلت للسيد فوكس Fox أو الثعلب ... كما هو معنى هذه الكلمة فى لغة العرب ... !!!

(١) المصدر السابق

إن عدد المسلمين فى العالم اليوم يتجاوز الألف مليون ، وهذه الألف مليون تنتشر فى أقطار مختلفة على شكل هلال يمتد من المحيط الأطلسى غرباً إلى المحيطين الهادئ والهندى شرقاً ، وإذا تعاملنا مع الأرقام والإحصائيات فسنجد أن مساحة العالم الإسلامى حوالى ١٨,٠٠٠,٠٠٠ ثمانية عشر مليون كيلو متراً مربعاً .

وإذا عدنا مرة ثانية إلى استعمال هذه الأرقام فسنجد أن عدد البلدان الإسلامية تجاوز خمسة وأربعين بلداً وقطراً ...

فإذا رجعنا إلى استخدام الأرقام مرة ثالثة فسنرى أن البلاد المفتوحة ، أو التى وقع فيها صدام بين المسلمين وبين امبراطوريتى الفرس والروم - للأسباب التى أشرنا إليها سابقاً - سنرى أن هذه البلاد المفتوحة لا يتجاوز عددها الربع من مجموع الدول الإسلامية التى أسلمت اقتناعاً وطوعاً ... هذا أولاً .

أما ثانياً : وبالنسبة للبلاد التى فتحت ، وكانت من أملاك الامبراطوريات السابقة ... فإن سكان هذه البلاد المفتوحة رحبوا بالفاتحين ترحيب السجين المكبل بالمنقذ المحرر ... ولم يكن لقوة هؤلاء الفاتحين أو سلطانهم أى أثر فى اعتناق أبناء هذه البلاد المفتوحة لدين القوة الغالبة ، بل اختار سكان هذه البلاد الإسلام كمثل أعلى للعدالة والمساواة والحرية .

فى مصر على سبيل المثال ... كان المصريون يعانون اضطهاداً رومانياً بشعاً ، وكانوا يعذبون بسبب مذهبهم الدينى المخالف لمذهب الدولة الرومانية عذاباً شديداً ... وكان الحرق أو الخنق أو الإغراق فى البحر من الوسائل المتبعة فى تعذيب هؤلاء المصريين جميعاً ...

وما كاد المسلمون يتجهون إلى مصر حتى سارع المسيحيون إلى مساعدتهم ، وبناء الجسور لجيشهم ، لما سمعوه من العدل الذى يحكم به المسلمون كل بلد فتحوه ، وما كاد الأمر يستقر للمسلمين حتى سارع

المسيحيون إلى الدخول فى دينهم بالملايين ، وحتى تحولت مصر إلى بلد إسلامى تبوأ مكان الزعامة واالريادة بين العرب والمسلمين ...

يقول المؤرخ الشهير (ولز) فى صدد بحثه عن تعاليم الإسلام :

« إنها أسست فى العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم ، وإنها لتنفخ فى الناس روح الكرم والسماحة ، كما أنها إنسانية السمة ، ممكنة التنفيذ ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعى عما فى أية جماعة أخرى سبقتها ... » إلى أن يقول عن الإسلام : (إنه ملئ بروح الرفق والسماحة والأخوة) .

ويقول السير (مارك سايس) فى وصف الامبراطورية الإسلامية فى عهد الرشيد : (وكان المسيحيون واليهود والمسلمون على السواء يعملون فى خدمة الحكومة) .

ويقول (ليفى بروتستال) فى كتابه إسبانيا الإسلامية فى القرن العاشر : (إن كاتب الذمم كثيراً ما كان نصرانياً أو يهودياً ، والوظائف مما يتقلده النصارى واليهود ، وقد كانوا ينوبون عن الخليفة بالسفارات إلى دول أوروبا الغربية ، وكانوا يتصرفون للدولة فى الأعمال الإدارية والحربية) .

ويقول (رينو) فى تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط : (إن المسلمين فى مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى ، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير) .

ويقول (أرنولد) وهو يتحدث عن المذاهب الدينية بين الطوائف المسيحية: (ولكن مبادئ التسامح الإسلامى حرمت مثل هذه الأعمال التى تنطوى على الظلم ، بل كان المسلمون على خلاف غيرهم إذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهداً فى أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس ، مثال ذلك : أنه بعد فتح مصر استغل اليعاقبة فرصة إقصاء السلطات البيزنطية ليسلبوا

الأرثوذكس كنائسهم ، ولكن المسلمين أعادوها أخيراً إلى أصحابها الشرعيين بعد أن دلل الأرثوذكس على ملكهم لها) ... وإذا نظرنا إلى التسامح الذى امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين فى صدر الحكم الإسلامى ظهر أن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة التصديق .

ونرى خير ما نختم به هذه الإجابة ... شهادة لحبر كبير من أحبار النصرانية ليس بمتهم فى شهادته : لقد تحدث بطريرك أنطاكية ميخائيل الأكبر وقد عاش فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر - بعد أن خضعت الكنائس الشرقية للحكم الإسلامى خمسة قرون - عن تسامح المسلمين واضطهاد الروم للكنائس الشرقية : (وهذا هو السبب فى أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت والذى يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء ويرفع الوضيع ، لما رأى شرور الروم ، الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا وسلبوا ديارنا فى كافة ممتلكاتهم وأنزلوا فينا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة ، أرسل أبناء إسماعيل (العرب) من الجنوب (الجزيرة العربية) ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم ، وفى الحق أننا إذا كنا قد تحملنا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا وإعطائها لأهل خلقيدونية فقد استمرت هذه الكنائس فى حوزتهم ، ولما أسلمت المدن للعرب خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التى وجدت فى حوزتها - وفى ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حوران - ومع ذلك لم يكن كسباً هيناً أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام) .

ألست ترى معى يا سيد فوكس أن قول غوستاف لوبون : (إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم) هو إنصاف للحق قبل أن يكون إنصافاً للمسلمين ؟

وأخيراً .. فهناك كلمة لابد منها ... كلمة أقولها للسيد فوكس Fox لو كان « السيف » هو وسيلة المسلمين فى إكراه غيرهم لاعتناق هذا الدين ... لما بقى مسيحى واحد يعيش فى مختلف أقطار الشرق ... ؟!

إن وجود هذه الأقليات المسيحية أو االيهودية التى ترفل فى حلل الرخاء والثراء والنعمة . وبدرجة أعلى مما تحصل عليه الأغلبية المسلمة ... لأكبر دليل على سقوط هذا الزعم ، وأصدق حجة تدفع هذا الاتهام القائم على التخرص والوهم . أليس كذلك أيها العزيز فوكس ... Fox ؟

❁ ❁ ❁

- سؤال من الآنسة روث Ruth :

لكن ما هى طبيعة العلاقات بين المسلمين وغيرهم فى حال إنهاء الحرب وجنوح كلا الفريقين إلى السلام والصلح ؟

إن فى عالمنا اليوم - كما تعرف - منظمات واتفاقيات تهتم بهذا الأمر كما أن هناك معاهدات وقعت عليها معظم الدول بخصوص هذا الشأن .

❁ ❁ ❁

- قلت للآنسة روث :

تقصدين اتفاقيات « جنيف » الخاصة بأسلوب التعامل بين الدول والجيوش فى حالة الحرب ؟

- هذا ما كنت أعنيه بالضبط .

❁ ❁ ❁

إن القاعدة الأولى فى الإسلام هى اعتبار الناس جميعاً إخوة ... وأن السلم هو الأساس والقاعدة ، والحرب ليس إلا علاجاً لحالة شاذة ، وإذا حافظ غير المسلمين على السلم فهم والمسلمون إخوان فى الإنسانية ،

يتعاونون على خيرها العام ولكل دينه يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ... دون إضرار بأحد أو إنقاص لحق أحد ... فهو - أى الإسلام - يحذر :

أ - أن تكون الحرب إذا وقعت حرب تنكيل أو تخريب .

ب - ولا يبيح الدخول فى الحرب إلا بعد إعلانها بمدة كافية لوصول خبرها إلى العدو .

جـ - ولا يبيح ثالثاً إساءة معاملة الأسرى ولا التنكيل بهم .

د - ثم هو رابعاً لا يرى توقف إنهاء الحرب على أن يسلم المحاربون ويدخلوا فى الإسلام . بل يكفى أن يكفوا شرهم ، وأن يتعهدوا بوقف الشر ، وما دام السلم هو الأصل فإن الإسلام يرحب بالمعاهدات التى تحافظ على السلم وتمنع أسباب القتال والحرب .

س : وهل فعل النبى ذلك مع أعدائه من قبل ؟

جـ : تذكر أيها الصديق أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين هاجر إلى المدينة وقع معاهدة مع اليهود الذين كانوا يقيمون فيها و لم يدخلوا فى الإسلام ... وتذكر أيضًا ... أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقع مع المشركين معاهدة الحديبية بالرغم من اعتراض بعض الصحابة الأجلاء .

س : حتى لو كان فى هذه المعاهدات حيف على المسلمين وظلم ؟

جـ : لا أيها الصديق ... إن الحرب لا تقوم إلا لدفع هذا الظلم وهذا الجور وما بقى هناك ظلم فسيبقى الحديث دائماً للسيف ، وما جاء الإسلام إلا لتخليص البشرية من طواغيت الشرك والظلم .

إن للمعاهدات فى الإسلام شروطاً واضحة ومبادئ إنسانية رفيعة ...

س : وما هى شروط توقيع أية معاهدة ؟

جـ : لقد اشترط الإسلام شروطاً ثلاثة لابد من توافرها فى توقيع أية معاهدة صلح مع العدو و لم يترك الأمر هكذا دون تحفظ أو لامبالاة بنوايا العدو .

أول هذه الشروط :

ألا تسئ هذه المعاهدة إلى الإسلام وشريعته العامة التى بها قوام الشخصية الإسلامية ، وقد أثر عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل - أى يرفضه الله ويأباه » ... ولهذا لا يعترف الإسلام بشرعية معاهدة تستباح بها الشخصية الإسلامية وتفتح للأعداء باباً يمكنهم من الإغارة على الأمة الإسلامية أو يضعف من شأن المسلمين وقوتهم.

وثانى هذه الشروط :

أن تكون مبنية على التراضى بين الجانبين ... ومن هنا لا يرى الإسلام قيمة للمعاهدة التى تنشأ على أساس من القهر والغلبة وأزيز (النفاثات) والصواريخ الموجهة ... !

وثالث هذه الشروط :

أن تكون هذه المعاهدة واضحة الأهداف واضحة المعالم تحدد الالتزامات والحقوق تحديداً لا يدع مجالاً للتأويل واللعب بالألفاظ ، وما أصيبت معاهدات الدول التى تزعم أنها تسعى إلى السلم بالإخفاق والفشل وكانت سبباً فى النكبات العالمية إلا عن هذا الطريق طريق الغموض والالتواء ...

ولعل أظهر مثل لذلك فى الوقت الحاضر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة . وهل الانسحاب من « أرض » Land أو من الأرض The Land إن حرف « أل » أو حرف The خلق مشكلات كثيرة لا تزال قائمة ، وجعل السلام أملاً بعيداً حتى هذه اللحظة .

❁ ❁ ❁

- سؤال من السيد هارولد Harold

- ما القواعد أو المبادئ التى وضعها الإسلام للمحاربين أثناء الحرب ؟

لقـد أشـارت الآنسـة روث Ruth إلى اتفاقيـات « جنيـف « الخاصـة بسلوكيات المحاربين فى الحرب فهل لدى المسلمين مثل هـذه الاتفاقيـات التـى تلزم المحارب بمثل هذا السلوك أثناء الحرب ؟

✿ ✿ ✿

قلت للسيد هارولد :

إن اتفقيات « جنيف » لا يزيد عمرها عن أربعين عاماً ... ومتـى ؟ فـى نهاية النصف الأول من القرن العشرين الذى لفظ إلى غير رجعة تقاليد القرون الوسطى ... هذه القرون التى كابدت فيها الإنسانية من الويلات والمحن أهوالاً كبرى ...

أما الإسلام ... – وفى هذه العصور الهمجية التـى مـرت بهـا أوروبـا – فقد كانت شرائعه ومبادئه غرة فى جبين الدنيا .

لقد تجاوز الإسلام هـذه المحنة منذ أربعة عشـر قرنـاً ، وتفوقـت عدالتـه وإنسانيته على كل هذه المواثيق والاتفاقيات التى تتحدثون عنها هنا ...

أتدرون بماذا كان يوصى النبى الجيش عندما يتحرك ؟

« انطلقوا باسم الله ... وعلى بركة رسـوله ... لا تقتلـوا شـيخاً فانيـاً ، ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ، وإلا تغلوا ، وأحسـنوا إن الله يحـب المحسـنين ... إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ... » .

وفى غزوة أحد – عندما هزم المسلمون – بسبب مخالفتهم للنبى دافع عنه أصحابه دفاعاً مستميتاً ، وخرج من المعركة جريحاً ، وقـد كسـرت رباعيتـه ، وشج وجهه ، ودخلت حلقتان من حلقات المغفر فى وجنته .

فقال له بعض الصحابة : لو دعوت عليهم يا رسول الله ، فقال لهم :

« إنى لم أبعث لعاناً ، ولكنى بعثت داعية ورحمـة ... اللهـم اهـد قومـى فإنهم لا يعلمون » .

وفى معركة أحد قتل أسد الله حمزة ، عم النبى ، قتله رجل يقال له وحشى ، بتحريض من هند زوج أبى سفيان ، ولما خر البطل ، أخذت هند تفتش عن قلب حمزة حتى احتزته ، ثم مضغته مبالغة فى التشفى والانتقام ... ثم أسلمت هند وأسلم وحشى . فماذا كان من رسول الله ؟ لم يزد على أن استغفر لهند ، وقبل إسلام وحشى وقال له : إن استطعت أن تعيش بعيداً عنا فافعل . هذا كل ما كان من رسول الله مع قاتل عمه حمزة ومع ماضغة قلبه...

ورأى فى بعض حروبه امرأة من الأعداء مقتولة ، فغضب وأنكر وقال : ألم أنهكم عن قتل النساء ؟ ما كانت هذه لتقاتل .

ولما فتح مكة ودخلها الرسول ظافراً على رأس عشرة آلاف من أبطاله وجنوده ، واستسلمت قريش ، ووقفت تحت قدميه أمام باب الكعبة ، تنتظر حكم الرسول عليها بعد أن قاومته إحدى وعشرين سنة ... ما زاد صلى الله عليه وسلم على أن قال : يا معشر قريش . ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ ... قالوا خيراً : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اليوم أقول لكم ما قال أخى يوسف من قبل : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء .

إنه محمد الرسول معلم الإنسانية الخير ، لا القائد السفاح الذى يسعى لمجده وسلطانه فتسكره نشوة النصر[1] .

ومن وصايا أبى بكر الصديق رضى الله عنه لقائد جيشه : « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة وسوف تمرون على قوم فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له» وفى هذه الوصية نهى صريح عن تخريب كل ما فيه فائدة وثمرة.

---

[1] نقلاً عن كتاب «من معالم حضارتنا» ص ١٠

وكان عمر رضى الله عنه يقول عند عقد اللواء لأمير الجند :

« باسم الله على عون الله امضوا بتأييد الله ولكم النصر بلزوم الحرب والصبر . قاتلوا ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً وتوقوا قتلهم إذا التقى الفرسان وعند حمة النبضات وفى شن الغارات نزهوا الجهاد عن عرض الدنيا ، وابشروا بالرباح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

إن « عمر » هذا الذى أصر أسقف «إيلياء» أو بيت المقدس أن يحضر بنفسه لتسلم مفاتيح المدينة بعد أن فر جيش الروم هارباً ... وقد استجاب «عمر» لرغبة هذا الأسقف وكان اسمه «سيفرنوص» ، وذهب لزيارته فى «كنيسة القيامة» ، وعندما حان وقت الصلاة ... صلاة «عمر» لا صلاة «الأسقف» ... خرج عمر من الكنيسة ليصلى خارجها .... وحين أصر الأسقف أن يصلى عمر فى الكنيسة رفض عمر حتى لا يتوهم المسلمون بصلاته فى الكنيسة حقاً يؤدى إلى طرد المسيحيين منها ...

هل تريد مزيداً أيها السيد هارولد ... ؟

إليكم جميعاً نص المعاهدة أو الاتفاقية الى وقعها عمر مع الأسقف «سيفرنوص» .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم ، وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صليبهم ، ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وأن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم

ومس أقام منهم فهو آمس وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب مس أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم ، فإنهم على أنفسهم وبيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء يرجع إلى أهله وأنه لا يؤخذ منهم من شئ حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية » .

❁ ❁ ❁

ولما فتحت جيوشنا الظافرة دمشق وحمص وبقية المدن السورية ، وأخذوا من أهلها مبالغ من المال صلحاً لقاء حمايتهم والدفاع عنهم ، رأى قادتنا بعد أن جمع هرقل لهم الجموع لينازلهم فى معركة فاصلة ، أن يخلوا المدن المفتوحة ويتجمعوا فى مكان واحد ينازلون به الروم مجتمعين . وخرج جيشنا من حمص ودمشق والمدن الأخرى ، وجمع خالد أهل حمص وأبو عبيدة أهل دمشق ، وغيرهما من القادة أهل المدن الأخرى وقالوا لهم : إنا كنا قد أخذنا منكم أموالاً على أن نحميكم وندافع عنكم ، ونحن الآن خارجون عنكم لا نملك حمايتكم ، فهذه أموالكم نردها إليكم ... فقال أهل المدن : ردكم الله ونصركم . والله لحكمكم وعدلكم أحب إلينا من جور الروم وظلمهم . والله لو كانوا مكانكم لما دفعوا إلينا شيئاً أخذوه ، بل كانوا يأخذون معهم كل شئ يستطيعون حمله ... نعم كما تفعل الجيوش فى العصر الحاضر اليوم حين تضطر للجلاء عن مدينة لا تترك فيها أثراً ينتفع منه العدو . فهل سمعتم بمثل هذا ؟

❁ ❁ ❁

وعندما ثار بعض سكان لبنان على عاملها على بن عبد الله بن عباس ، فحاربهم وانتصر عليهم ، ورأى مس الحكمة أن يفرقهم ويجلى فريقاً منهم عن

ديارهم إلى أماكن أخرى ، وهذا أقل ما يمكن أن يفعله اليوم حاكم فى أرقى الأمم ، فما كان من الإمام الأوزاعى ، إمام الشام ومجتهدها وعالمها ، إلا أن كتب إلى والى لبنان رسالة ينكر عليه ما فعل ، من إجلاء بعض اللبنانيين عن قراهم ، ومعاقبة من لم يشترك فى الثورة كمن اشترك فيها ، وكان مما كتب إليه فى ذلك :

« وقد كان من إجلاء أهل الذمة فى جبل لبنان ، ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ، ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم، وحكم الله تعالى أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به ، واحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال : « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة» .

❁ ❁ ❁

هل تعرفون لماذا أسلم المفكر العالمى الفرنسى روجيه جاودى ؟ ...

تعالوا نستمع إليه وهو يروى قصته ...

قضيت فى السجن ثلاث سنوات ، حيث اعتقلت فى سبتمبر (أيلول) ١٩٤٠م بواسطة مارشال بيتان وحكومة « فيشي« . وبقيت رهن الاعتقال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فى معسكر بمنطقة جلفا بالصحراء الجزائرية ، وهناك وقع حادث عجيب فعلاً ، فقد تزعمت تمرداً فى معسكر الاعتقال ، وأجرى الكوماندور الفرنسى قائد المعسكر محاكمة سريعة ، وأصدر حكماً بإعدامى رمياً بالرصاص ، وأصدر أوامره بتنفيذ ذلك إلى الجنود الجزائريين المسلمين ، وكانت المفاجأة عندما رفض هؤلاء تنفيذ إطلاق النار ، و لم أفهم السبب لأول وهلة لأننى لا أعرف اللغة العربية ، وبعد ذلك علمت من «مساعد» جزائرى بالجيش الفرنسى كان يعمل فى المعسكر أن شرف المحارب

المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسان أعزل وكانت أول مـرة أتعـرف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث الهام في حيـاتي ، وقـد علمنـي أكـثر من دراسة عشر سنوات في السوربون

هل سمعتم بجيش منتصر يخرج من البلد الذى فتحه ؟ وبأمر من ؟ بـأمر الخليفة القائد الأعلى لهذا الجيش . . ولمـاذا ؟ إليكـم هـذه القصـة التى تـروى أغرب حادثة فى تاريخ الدنيا

لما ولى الخلافة عمر بن عبـد العزيـز ، وفـد إليـه قـوم مـن أهـل سمرقنـد ، فرفعـوا إليـه أن قتيبـة قـائد الجيـش الإسـلامى فيهـا دخـل مدينتهـم وأسـكنها المسلمين غدراً بغير حق فكتب عمر إلى عاملـه هنـاك أن ينصـب لهـم قاضيـاً ينظر فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين من سمرقند أخرجوا . !

فنصب لهم الوالى (جميع بن حاضر الباجى) قاضياً ينظر شكواهم ، فحكم القـاضى وهـو مسـلم ، بـإخراج المسـلمين ... على أن ينذرهـم قـائد الجيـش الإسلامى بعد ذلك ، وينابذهم وفقاً لمبادئ الحـرب الإسـلامية ، حتى يكـون أهل سمرقند على استعداد لقتال المسلمين فلا يؤخذوا بغتة .

فلما رأى ذلك أهل سمرقند ، رأوا ما لا مثيل لـه فـى التـاريخ مـن عدالـة تنفذها الدولة على جيشـها وقائدهـا . قـالوا : هـذه أمـة لا تحـارب ، وإنما حكمهـا رحمـة ونعمـة ، فرضـوا ببقـاء الجيـش الإسـلامى ، وأقـروا أن يقيـم المسلمون بين أظهرهم . أرأيتـم .. جيش يفتـح مدينـة ويدخلهـا ، فيشـتكى المغلوبـون للدولـة المنتصـرة ، فيحكـم قضاؤهـا علـى الجيـش الظـافر ويـأمر بإخراجه، ولا يدخلها بعد ذلك إلا أن يرضى أهلها ... ؟

أرأيتم فى التاريخ القديم والحديث حرباً يتقيد أصحابها بمبـادئ الأخـلاق والحق كما تقيد به جيش المسلمين ؟ إنى لا اعلـم فـى الدنيـا كلهـا مثـل هـذا الموقف لأمة من أمم الأرض

❁ ❁ ❁

دقت ساعة المسجد لتعلن تمام الساعة الرابعة بعد الظهر . لقد حان وقت صلاة العصر ، ولم يكن بد من توقف الحوار عند هذا الحد

كان مفروضاً أن أنصرف قبل هذا الوقت ... فقد كنت على موعد لتناول الغذاء فى « بنكزتاون » Bankstown وهى ضاحية تبعد عن مدينة سيدنى Sydney بأميال كثيرة ويقطعها القطار فى حوالى نصف ساعة ...

وفجأة قالت الآنسة أليس Alice :

إن الحوار لما ينته بعد ..

نعم يا آنسة أليس ... وموعدنا القادم - بمشيئة الله - يوم السبت

وقال السيد جراهام Graham لم يبق لدينا أى شك حول نظرية الإسلام وفلسفته فى السلام والحرب . وأن ما سمعناه فى هذا الحوار شئ فوق التصور والعقل ...

ولكن ... أليست المسيحية أقرب إلى التسامح والحب ، وأبعد من اللجوء إلى استعمال القوة والعنف ... ؟

- قلت للسيد جراهام :

هذا هو السؤال الصعب ، وحين نلتقى مرة ثانية - بعد غد - فلسوف يتملككم الرعب من هول ما تسمعون عن الجرائم والأفاعيل التى ارتكبت فى « مملكة الرب » ... ولعبت فيها النصوص « المقدسة « دوراً يشمئز منه ضمير أى مسيحى فى الشرق أو الغرب ...

✿ ✿ ✿

والآن إلى بانكزتاون Bankstown ... لقد تتابع مرور القطار فى سرعة خاطفة لم أتبين خلالها موقعى على خريطة سير القطار المثبتة فوق الرأس ... كل ما وعيته من أسماء لم يزد على بضع محطات قليلة توقف عندها القطار فى انتظار التعليمات الخاصة بتأمين حركة السير

رد فرن Redfern

أرسكين فيلErskine Vill

سانت بيترST peter .

سيدن هام Syden ham .

ماركفيل Marrick Vill .

دلويتش هل Dulwich hill .

كنتربرى Canterbury .

لاكمبا Lakemba .

بانشى بول Punch bowl .

وأخيراً ... بانكزتاون ...

فى « بانكزتاون » كان صاحب الدعوة ينتظرنى فى قلق واضح ...

- لماذا تأخرت هذا الوقت كله ؟

لقد كنت فى حرب يا صاحبى ... هذه الحرب التى لن تتوقف ما بقى فى الدنيا باطل وحق ، وحقيقة وزيف ، وما بقى الغرب ينظر إلى الشرق المسلم هذه النظرة القاصرة عن رؤية الحقائق الناصعة نصوع الشمس ...





الحوار الثانى

- مفاجأة على الطريق ...
- مع الشيخ رفعت ... من درب الجماميز إلى لنـــدن London وكمبردج Cambridg.
- الكتاب المقدس .. والإبادة الجماعية لكل المخالفين...
- وهذا ما قاله السيد المسيح ...
- كن مسيحيا ... وإلا ... فمصيرك القتل !
- مذبحة باريس ... والسلام الكاذب ...
- إبليس يتقمص روح البابا أوربانوس الثانى ... !
- ثلاثة قرون من الحرب ضد «الكفار» المسلمين ... !
- تاريخ أسود ... وأعمال ... أشد سوادا ...
- القضاة السفاحون ... ومحاكم التفتيش .
- صورة ... من المسرح الدموى .
- حوار فى جهنم ... ! ! !



خرجت مبكرا لألحق بقطار الساعة التاسعة المتجه إلى محطة القطار الرئيسية فى مدينة سيدنى ... لقد قطع القطار هذه المسافة فى حوالى ثلاث عشرة دقيقة ... وبدون قصد ... مشيت متجها إلى مخرج قديم تفوح من بين جدرانه رائحة الموت وتنضح واجهته بالوحشة والكآبة التى ينقبض منها الصدر ...

وفجأة ... وقعت عيناى على رجل تكور حول نفسه بجوار جذع شجرة لم يبق من أوراقها سوى القليل اليابس ، وشاخت جذورها بمضى الزمن فى هذا المكان الموحش ...

كان الرجل ممسكا بزجاجة لصنف رخيص من الكحول الذى اعتاده الفقراء من مدمنى الخمر ... لم يكن ممكنا أن تحكم على هذا الرجل بالحياة أو الموت ... فقد كانت أسراب الحشرات والنمل تتخذ منه هدفا دون أن يصدر عنه صوت أو تتحرك - بإشارة منه - يد... !

أهذا هو إنسان الحضارة التى تريد أوربا أن تتخذه لنا مثلا وقدرة ... ؟

لقد تذكرت - على الفور - ما قاله العلامة «محمد إقبال» فى نقضه لهذه الحضارة ...

» .. إن أوربا تنتحر ... والروح تموت عطشا فى سرابها الخادع ... فيها حضارة ... ؟ نعم ... ولكنها حضارة تحتضر ، وإن لم تمت حتف أنفها ... فلسوف تنتحر غدا وتذهب ... فأساس هذه الحضارة منهار لا يحتمل صدمة ... لقد ذهبت هذه الحضارة تبحث عن الروح فى المعدة ... تفعل هذا الرأسمالية ... كما تفعل هذا الشيوعية .

إن هذه وتلك تقومان على الشره والنهامة ... فالرأسمالية تقضى على الروح ... والشيوعية تقضى على الدين ... وكلاهما موت للإنسان الذى استخلفه الله فى هذه الأرض ... » .

✿ ✿ ✿

ولست أدرى ... لماذا خطر ببالى - فى هذه اللحظة - المرحوم الشيخ محمد رفعت وترتيله الملائكى لآيات التنزيل المحكم . لقد تعرفت على هذا الشيخ وقراءته فى وقت مبكر من حياتى فى القرية ، ومن خلال جهاز الراديو الذى ظهر فى «دوار» العمدة لأول مرة ، وحين تركت هذه القرية إلى القاهرة كان أول ما حرصت عليه معرفة المسجد الذى يقرأ فيه الشيخ رفعت قبل صلاة الجمعة .

ولأول مرة أسمع عن «درب الجماميز» الذى يقع فيه هذا المسجد .. وعن «فاضل باشا» الرجل الذى أقام على نفقته الخاصة هذا المسجد .. لم يكن الشيخ رفعت قارئا كغيره من القراء .. ولم تكن قراءته كغيرها من القراءات.. إن صوته يحملك إلى آفاق قدسيه تقترب بك من الملأ الأعلى ، ويحلق بروحك ووجدانك إلى السموات العلى ... وفى بلاد كأوروبا وأستراليا تجذبك نشوة هذا الصوت وعذوبته إلى خارج هذه الدنيا ..

فى حى هامبستيد Hampstead فى مدينة لندن وفى شارع هينتون أفينيو Hinton Avinur بمدينة كمبردج ، وفى حى أشفيلد Ashfield بمدينة سيدنى Sudney كنت أحتفظ معى بتسجيلات لقراءة الشيخ رفعت .. وكان من بين هذه التسجيلات تسجيل الربع الأول من سورة مريم .

❁ ❁ ❁

فى صباح أحد الأيام .. تهيأت لتناول طعام الإفطار فى الطابق الأول بالبيت الذى كنت أقيم فيه آنذاك بحى هامبستيد Hampstead لقد نسيت أن أوقف جهاز التسجيل قبل أن أنزل .. ففرض الشيخ رفعت - بصوته المؤثر - وجوده على كل من فى المنزل .

وفجأة سألنى المستر بيتر Peter :

أعتقد أن هذا صوت أعظم مغن عندكم فى مصر ؟ !

قلت للسيد بيتر Peter مازحا :

إن هذا ليس مغنيا ... بل هو أشهر شيخ - عرفته مصر - للقرآن الكريم قارئا ومرتلا ..

وهنا قال السيد بيتر :

إن فى صوته عمقـا يجذبك إلى سماعه ... وكأنى بطبقات الأثير وقد تحولت كلها فى خدمة صوته ... ؟ !

❁ ❁ ❁

ووجدتها فرصة لا يجب أن تفلت .. لقد كان الشيخ رفعت يقرأ من سورة مريم.. وكان التأثير النفسى فى قمة سيطرته على مشاعر السيد بيتر ...

لقد بهت السيد بيتر - بعد تفسيرى - لما يقرأه الشيخ رفعت ... واعترف وزوجته بأن هذه أول مرة يتعرفان فيها على الإسلام وموقفه من المسيح عيسى بن مريم .. وحتى هذه اللحظة التى نحدثك فيها كنا نعتبر محمدا ودينه عدو المسيح الأول ..... !!!!

هذا الفهم المغلوط لرسالة الإسلام وعلاقته بالمسيحية ظاهرة شائعة فى المجتمع الغربى كله .. وهى ظاهرة تدين معظم المؤسسات العاملة فى مجال العمل الإسلامى - بغير استثناء - لمؤسسة دون أخرى ...

وقد نشأ عن هذا التقصير أو الجهل فجوة ... استغلها الآخرون فأقاموا من حولها سورا أحاطوه بالديناميت والقنابل ... وإلا .... فما السبب الحقيقى وراء - حملات الكراهة والعداء للإسلام والمسلمين فى كل مكان من العالم ؟

❁ ❁ ❁

فى منتصف القرن التاسع فوجئ أهل لبنان برجل اسمه الأب ماكسمليان رجل دين جاء من لتوانيا .. لم يكد هذا الرجل ينزل إلى شاطئ لبنان حتى

صرخ فى الناس كأنه «يوحنا المعمدان» «الصارخ فى البرية» كما تقول التوراة.

لقد التفت حوله الناس وسألوه ماذا تريد أيها الأب الطيب؟

فإذا بهذا الرجل «الطيب» .. يطلب من المسيحيين إبادة كل مسلم ومسلمة ، وإخلاء لبنان من هذه الجماعة المسلمة المسالمة ..

وفى أوائل القرن العشرين جاءت سيدة كاثوليكية من مدينة «تورنتو» الإيطالية .. لقد زعمت هذه السيدة أنها رأت «العذراء» وقالت لها : قومى الآن .. وسافرى إلى مدينة «صور» وسوف تجدين فى الشارع الواسع بيتا أبيض .. أمامه شجرة عنب أحمر ... ادخلى البيت ، أطلقى الرصاص على الذى يفتح الباب ولا تتأسفى على ذلك .فهذا أمر من السماء .. وقد اختارتك السماء لنشر دين المسيح ... !

وسافرت السيدة «أميليا كالا بريزة» إلى مدينة صور ، ودقت الباب وانطلق الرصاص على طفل مسلم فى الخامسة من عمره ! .

وعادت القاتلة «أميليا» إلى إيطاليا سعيدة ... فقد أدت واجبها ، وأراحت ضميرها عندما قتلت طفلا بريئا لا يزيد عمره عن الخامسة ...!

۞ ۞ ۞

ما هذا .. ؟

لقد أعلنت دقات ساعة المحطة الرئيسية الحادية عشرة إلا ربعا ...

إن الناس هناك ينتظرون قدومى لاستئناف الحوار الذى أعلن عنه يوم الخميس الماضى ... لقد شغلتنى حالة الرجل عن الموعد الذى خرجت من أجله .. ولولا دقات الساعة لبقيت مكانى إلى أن يأذن الله ، وأفيق من هذه الغفلة ..

۞ ۞ ۞

لقد اندفعت بخطى سريعة تجاه شارع إليزابيث Elizbeth .... ومن هناك قطعت الطريق إلى سرى هيلز Surry Hills .. بـارات Pubs ونـوادى قمـار .. ومصانع خمور ... ترى كل هذه الموبقات فـى منطقـة لا تزيـد مسـاحتها عـن نصف كيلو متر ... وأخيرا ينتهى بك المطاف إلى المسجد والمركـز الإسـلامى فى شارع الكومونولث .. Commonwealth.

* * *

كانت الآنسة فيكى Vieki واقفة فى انتظارى على باب المسجد ... وما كادت ترانى حتى اسـتدارت بوجهها إلى الداخـل لتصـدر الأمـر بالاسـتعداد والتحفز .. !

وما كدت أجلس فوق المقعد ، وأسترجع وجوه الحـاضرين فـى المسـجد حتى لفت نظرى غياب اليهودين جوزيف Joseph وديفيد David إذن فقـد كسبت الجولة الأولى فى هذه المعركة .. ؟ ، وانسحبت «يهود» قبل أن تلحق بها هزيمة ساحقة .. ؟

وجاء السؤال الأول من السيد جراهام Graham :

... تعلم أن المسيح لم يقاتل أحدا فى حياته وكان يقابل الإساءة بـالصفح حتى من أشد خصومه وأعدائه .

أى الأسلوبين فى نظرك أعـدل ، وأكمـل . الدعـوة بالجهـاد والحـرب أم الدعوة بالتسامح والحب ؟

لا يختلف اثنان فى الإجابة على هذا السؤال .. لأن الحـرب شـر . لا بـد من تجنبه والقضاء على دوافعه وأسبابه .

والإسلام – كما سمعتم – لم يلجأ إلى الحرب إلا بعد استنفاد كل أسباب الحكمة والمنطق ، واستنفاد كل الهمم لحقن الدماء ومنع وقـوع الحـرب . فـإذا

لم يكن من الحرب بد . فلا مناص من هذه الحرب ، ولا مفر من القتال ضد الطغاة والمفسدين فى الأرض .

والزعم ... بأن المسيحية قامت على التسامح والحب أكذوبة فاحشة لا سند لها فى قول أو فعل . وسترون حين تتعرف لهذه الخرافة التاريخية .كم كان الإسلام رحيما وكريما ومتسامحا أمام تلك المجازر والمذابح . التى وقعت ودبرت . ونفذت باسم المسيح والمسيحية والتى لم يشهد التاريخ مثيلها فى أشد عصوره ظلاما وهمجية ..

وستعلمون أيضا .. أن الدين الوحيد الذى استعمل الإكراه والضغط لإرغام الآخرين على اعتناقه . إنما هو الدين المسيحى فقط ... وأن الإسلام وليس المسيحية هو الدين الذى لم يرغم أحدا على اعتناقه قط ...

وهنا ... أشرت بيدى إلى نسخة من الكتاب المقدس ... وبدأت أقرا من سفر «التثنية» وأستعيد – على الحاضرين – مرة أو مرتين ما جاء فى هذه الملحمة .

» .. حين تقترب من مدينة كى تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها فكل الشعب المولود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك – هذا إذا سلمت المدينة و لم تحارب ..

وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها .. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك .. فاضرب جميع ذكورها بحد السيف .

وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك .. هكذا تفعل . بجميع المدن البعيدة عنك جدا ...

وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة .. فضربا تضرب بحد السيف .. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار . فتكون تلا إلى الأبد ولا تبنى بعدى . !

إن العهد القديم يوصى بحرب الإبادة ، الإبادة التى لا تبقى فى ديار الأعداء إنسانا ولا حيوانا .

والنصارى الذين حكموا نفذوا هذه الوصاية بدقة ، واستوحوا منها مسالكهم تجاه خصومهم فى العقيدة .

إنهم يسفكون هذه الدماء ، لا على أنها جرائم ، بل على أنها قربات يطلبون بها رضوان الرب .

فى الإصحاح السادس من سفر يشوع «وكان فى المرة السابعة ، عندما ضرب الكهنة بالأبواق ، أن يشوع قال للشعب : اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة[1] ، فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب ...

وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما ، فسقط السور فى مكانه ، وصعد الشعب إلى المدينة ، كل رجل مع وجهه.

وأخذوا المدينة ، وحرموا[2] كل ما فى المدينة من رجل ، وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها» .

وفى الإصحاح الثامن «فقال الرب ليشوع : مد المزراق الذى بيدك نحو «عاى» لأنى بيدك أدفعه ..

فمد يشوع المزراق الذى بيده نحو المدينة .

فقام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا عندما مد يده ، ودخلوا وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار .

ولما رأى يشوع وجميع إسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة ، وأن دخان المدينة قد صعد ، انثنوا وضربوا رجال عاى .

---

(١) أريحا

(٢) قتلو

وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم فكانوا فى وسط إسرائيل ، هؤلاء من هنا ، وأولئك من هناك ، وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت !

وأما ملك عاى فأمسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع .

وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان «عاى» فى الحقل ، فى البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا ، إن جميع إسرائيل رجع إلى «عاى» وضربوها بحد السيف .

فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا، جميع أهل «عاى» .

وفى الإصحاح العاشر «ثم اجتاز يشوع ، وكل إسرائيل معه ، من «لخيشا» إلى «عجلونا» فنزلوا عليها وحاربوها ، وأخذوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها فى ذلك اليوم ..

«فضرب يشوع كل أرض الجبل ، والجنوب والسهل والسفوح ، وكل ملوكها ، لم يبق شاردا بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل»

وفى الإصحاح الحادى عشر « .. ثم رجع يشوع فى ذلك الوقت ، وأخذ «حاصور» «وضرب ملكها بالسيف ، لأن «حاصور» كانت قبلا رأس جميع تلك الممالك وضربوا كل نفس بها بحد السيف ، حرموهم[1] ، ولم تبق نسمة ، وأحرق «حاصور» بالنار .

فأخذ «يشوع» كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف ، حرمهم كما أمر موسى عبد الرب .

... لم تكن مدينة صالحت بنى إسرائيل إلا «الحويين» سكان «جبعون» بل أخذوا الجميع بالحرب ، لأنه كان قبل الرب أن يشدد قلوبهم ، حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة ، فيحرموا ، فلا تكون عليهم رأفة ، بل يبادروا كما أمر الرب موسى .

---

(١) أى قتلوهم

إن هذه التعاليم الإلهية فى نظر اليهود والنصارى هى أساس الصلات بين المؤمنين وخصومهم .. هى التدمير للذى يسقط جثة الأب ، إلى جوار ولده ، إلى جوار امرأته ... ثم يهدم البيت فوق الجميع .

هذه هى المبادئ ، والأسس التى يصدر عنها رجال لا يستحيون من اتهام الإسلام بأنه انتشر بالسيف ؟ ؟

فالحقود الذى يتشهى سفك الدماء لا يستكثر عليه الافتراء .

إنهم إن كانوا أبادوا خصومهم وإن كانوا قلة مكروا وتربصوا وجحدوا، ثم لا يعوز أحدهم الوجه الذى يتهم به الإسلام بأنه قام على السيف[1] ...

سؤال من الآنستين أليس Alice وكريستين Kristain :

إن ما ذكرته خاص بأنبياء العهد القديم فما شأن المسيحية أو المسيح بسفك الدماء على هذا النحو الأليم ؟

قلت للآنستين «أليس» ... و .... «كريستين» :

نحن المسلمين لا نسلم لكم بهذا الرأى ... فالكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد كل لا يتجزأ ، والأيمان المسيحى كما تعلمون لا يفرق بين سابق ولاحق ... والمسيح عليه السلام يقرر أنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمل .. والمسيحيون بمختلف مذاهبهم يجمعون العهدين القديم والجديد فى مجلد واحد ... ولو ذهبت إحداكما الآن إلى آية كنيسة ... وسألتا أى راهب أو قس عن العلاقة بين العهدين ما اختلفت الإجابة فى أنهما شىء واحد مقدس ، وإنكار ما جاء فى العهد القديم أى التوراة هرطقة مرفوضة من أى مجمع مقدس ...

---

(١) التعصب والتسامح للأستاذ الشيخ محمد الغزالى .

إننى لست مفوضا من الكنيسة لتعريفكم بالوصايا العشر ، وليست لى صلاحية الكاهن كى أعيد على مسامعكم عظة المسيح من فوق الجبل إننى مسلم أعرف دينى الذى به أتكلم

وإذا كانت الآنستان أليس ، وكريستين مصرتين على موقفهما من الرفض.. فأرجو أن يتسع صدرهما لما جاء فى العهد الجديد أو الإنجيل من الدعوة إلى السيف . وعن المسيحية وتاريخها الملىء بالقتل وإراقة الدماء والعنف ..... !!

وفى هذا يقول المسيح عليه السلام بالنص :

«لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض .. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا .... فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ... وأعداء الإنسان أهل بيته ... من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى .. ومن أحب ابنا أو ابنه أكثر منى يستحقنى .... ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ... ومن وجد حياته يضعيها ... ومن أضاع حياته من أجلى يجدها ... من يقبلكم يقبلنى ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى» (متى ١٠ : ٣٤ - ٤٠).

وهذا المعنى يفسره بولس قائلا :

لا تكونوا تحت نير مع المؤمنين . لأنه أية خلطة للبر والإثم ... وأية شركة للنور مع الظلمة وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ... وأى نصيب للمؤمنين مع غير المؤمنين ... وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ... فإنكم أنتم هيكل الله الحى (كوزمثوس الثانية ٦ : ١٤ - ١٦).

ثم قال لهم أى المسيح حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شىء . فقالوا لا . فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومرود كذلك . زمن ليس له فليبع ثوبه ويشترى سيفا لأنى أقول لكم إنه ينبعى أن يتم فى أيضا هذا المكتوب وأحصى مع أثمه لأن ما هو من جهتى له انقضاء فقالوا يا رب هوذا هنا سيفان فقال هم يكفى (لوقا ٢٢ ٣٥-٣٨)

«لأنى أقول لكم»[1] ....

أن كل من له يعطى ...

ومن ليس له ... فالذى عنده يؤخذ منه :

أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى ... » (لوقا الإصحاح الحادى عشر)

- وجوم ... وصمت ...! ! !

۞ ۞ ۞

سؤال من السيد جون John :

ولكنك تعلم أن المسيح لم يحارب ، وكان يدعو تلاميذه وحوارييه إلى الصفح والعفو فى كل جانب ؟

۞ ۞ ۞

قلت للسيد جون :

أما أن السيد المسيح لم يحارب فهذا حق . وإما أنه كان يدعو إلى الصفح والعفو فهذا أيضا حق . ولكن المسيح عليه السلام لم يكن منفردا بهذه المزايا التى دعا إليها كل رسول ونبى ... لقد فعل كل الأنبياء ذلك وما من نبى ولا رسول إلا سلك مسلك العفو والتسامح ..... ثم فى النهاية .... كانت المواجهة ... وكان الصراع بين الحق والباطل ... وإذا كان المسيح عليه السلام لم يفعل ذلك ... فلأن حياته فى هذه الدنيا كانت قصيرة ... ولم يعش حتى يرى للمسيحية فى هذه الدنيا دولة وإمارة .

---

(١) لقد ورد هذا النص على لسان المسيح عليه السلام فى مجال ضرب الأمثال للذين لا يلتزمون قواعد الإيمان والأخلاق . وضرب المثل لا يكون إلا فى حال الاستشهاد بالمعنى الوارد فى هذا المثل .

فالدعوة إلى التسامح كانت وليدة ظروف الضعف والقلة ولو عاش المسيح عليه السلام عمرا أطول ، لما ترك الباطل يمتهن أهل الحق وما سمح بظلم يقع على أى فرد .

يقول المؤرخون لتاريخ المسيحية[1]

«منذ اللحظة الأولى لظفر الكنيسة بسلطة مدنية - فى عهد قسطنطين - دخل مبدأ الكبح العام ، واستمر عشرة قرون شداد ، رسف فيها العقل والقلب فى الأغلال ، وعانى من قسوته اليهود والوثنيون كثيرا»

«وقد حاول قسطنطين أن يضع حدا لشرورهم ، فأصدر قانونا يقضى بإحراق كل يهودى يلقى على من اعتنق المسيحية حجرا وعقاب كل مسيحى تهود ... ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك ، فإن تزوج يهودى بمسيحية أعدم» قال : وقد أبان (تسطريوس) بطريق القسطنطينية عن مبدئه فى الاضطهاد حين قال للإمبراطور : أعطنى الدنيا وقد تطهرت من الملحدين ، أمنحك نعيم الجنة المقيم .. !

ثم شرعت عقوبة الإعدام للملحدين ونظم إفناؤهم .

ووضع (تيودسيوس) فى أواخر القرن الرابع قوانين صارمة تتضمن ستا وستين مادة لمقاومة الهرطقة ، وإلى جانبها بنود أخرى لاستئصال الوثنية ، ومناهضة الأديان اليهودية ، والارتداد عن الدين ومزاولة السحر ، ونحو ذلك.

وكان هذا الدستور يقضى بإقصاء الوثنيين عن وظائف الدولة ، وتحريم طقوسهم وحظر عباداتهم ، وهدم معابدهم ، وتحطيم صورهم»

وفى أوائل القرن الخامس ظهر القديس (أوغسطين) وهو رجل عنيف المشاعر بالغ القسوة .

---

(١) الدكتور توفيق الطويل

كانت حياته سوط عذاب على مخالفى المسيحية ، ورافضى الدخول فيها وقد أمد حركة الاضطهاد بالوقود الذى زادها ضرامًا ، ورسم للأخلاف مثلاً سيئة للجماح والتوحش .

«وتمشيا مع هذا سلم (أوغسطين) بمعاقبة الملحد بالنفى والجلد وفرض الغرامات ، ووضع للكنيسة دستورا تلتزمه إزاء كل حركة إلحادية ..... » .

ومن رأى (أوغسطين) - الذى استمده من عقيدة الخلاص ، ومن نصوص ، العهد القديم - أن عقاب الملحدين هو من دلالات الرفق بهم وشواهد الرحمة ، إذا كان هذا العقاب ينقذهم من العذاب الأبدى الذى ينتظر المرتدين عن المسيحية ..... »!

«إن الهرطقة فى الكتاب المقدس ، وكأنها نوع من الفسق والمروق وعبادة الأوثان ، إنها أسوأ أنواع القتل ، لأنها قتل للأرواح ، من أجل ذلك اقتضت العدالة أن ينال أهلها ما يستحقون من عقاب ، وإذا كان العهد الجديد قد خلا من رسول استخدام القوة والعنف فى نشر الدين ، فقد كان هذا لأن عصرهم قد خلا من وجود أمير يعتنق المسيحية» .

هكذا يقول (أوغسطين) يعنى أن المسيحية لم تستعمل القوة من عهد عيسى ، لأنها لم تتح لها ، ولم تتيسر وسائلها ، ولو أتيحت لها ، ما تورعت عن قهر الأمم بها .

ويقول القديس الجبار مستدلا على آرائه هذه من حوادث العهد القديم ألم يذبح (اليشع) بيده أنبياء (بعل)؟

ألم يحطم (حزقيال) و (يوشع) ملك (بختنصر) بعد ارتداده؟

إن أتباع الاضطهاد من أمثال القديس «أوغسطين» قد استندوا إلى آيات وردت فى الإنجيل . كقول المسيح لحوارييه :

«أجبروهم على اعتناق دينكم» أو «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما ، بل سيفا ، فإنى جئت لأفرق الإنسان من أبيه ، والابنة من أمها ، والكنة من حماتها ، وأعداء الإنسان من أهل بيته»

هذه الكلمات هى التى حكمت تاريخ النصرانية ، وصبغته - من بدايته وحتى هذا اليوم - ...

أما «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر» فكلام لم يعرفه المسيحيون مع أنفسهم يوما ولا مع أعدائهم ساعة ...

❁ ❁ ❁

هل سمعتم بمذبحة باريس -.......- ؟

لقد أراد «تشرلس» التاسع سنة ١٥٧٤ أن ينشر الأمن فى ربوع البلاد فهادن الهوجونوت وأدنى زعماءهم من حضرته ، وتوج هذه الحركة بالرغبة فى تزويج أخته من زعيم لهم ،فأثار هذا المسلك ثائرة الكاثوليك ، وفى ليلة الزفاف أقبلت جموع «الهوجونوت» تترى إلى باريس ، فأطلق الرصاص على زعيمهم .

وعندئذ وطد عزمه على التنكيل بمن حاول اغتياله ، وخشى «الكاثوليك» مغبة ذلك فعقدوا النية على أن يجعلوا عيد القديس «بارثليمو» فى ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ مذبحة يبيدون فيها خصومهم .

وفى منتصف الليل دق ناقوس كنيسة «سان جرمان» مؤذنا ببدء المذبحة فإذا بأشراف الكاثوليك والحرس الملكى وجموع الجماهير تنقض على بيوت الهوجونوت والفنادق التى آوتهم ، وتأتى على من بها ذبحا .

فلما أصبح الصباح كانت شوارع باريس تجرى بدماء ألفين من النفوس وتطايرت أنباء المذبحة المروعة إلى الأقاليم ، فإذا بها تستحيل - بدورها - بجزرة تجرى بدماء ثمانية آلاف من هؤلاء المساكين

بل قيل إن هذه المذبحة قد أودت بحياة نيف وعشرين ألفا .

وقد أثار وقوع هذه المذبحة الغبطة والرضا في أوروبا المسيحية الكاثوليكية كلها ، فكاد «فيليب الثانى» يجن من فرط الفرح عندما بلغته أنباؤها ، وانهالت التهانى على «تشرلس التاسع» بغير حساب ...

وكاد البابا «جريجورى» الثالث عشر يطير من السرور .

حتى إنه أمر بسك أوسمة لتخليد ذكراها توزع على وجوه الشعب وعيونه وقد رسمت على هذه الأوسمة صورته ، وإلى جانبه ملك يضرب بسيفه أعناق الملحدين . !!!

وكتب على هذه الأوسمة (إعدام الملحدين) .

وأمر البابا - إلى جانب هذا - بإطلاق المدافع وإقامة القداس فى شتى الكنائس ، ودعا الفنانين إلى تصوير مناظر المذبحة على حوائط الفاتيكان ، وأرسل تهنئته الخاصة إلى «تشارلس»[١] والمجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام ...!!!!

يذكر (بريفولت) أن تقدير المؤرخين للناس الذين قتلتهم المسيحية فى انتشارها أى فى أوروبا - يتراوح بين سبعة ملايين كحد أدنى ، وخمسة عشر مليونا كحد أعلى .

إن فظاعة هذا العدد تتضح لنا عندما نذكر أن عدد سكان أوروبا آنذاك كان جزاء ضئيلا فقط من سكانها اليوم .

كانت الفظائع والمذابح التى قام بها المسيحيون ضد خصومهم تجد لها سندا فى التوراة التى تقول فى شأن هؤلاء الخصوم : اهدموا معابدهم واقذفوا أعمدتها إلى النار ، واحرقوا جميع صورها .. كما توصى التوراة بتحريق المدن بعد فتحها ، وقتل كل من فيها من رجال ونساء وأطفال .

---

(١) المرجع نفسه

وكان الذين يقومون بتلك العمليات الوحشية يزعمون لأنفسهم أنهم يتقربون إلى الله وينفذون إرادته ، ويجعلون لأعدائه بعض النقمة التى تنتظرهم فى الآخرة . عبرت عن ذلك ملكة إنجلترا «الكاثوليكية» فى القرن السادس عشر (مارى) حين أعلنت مرة : بما أن أرواح الكفرة سوف تحرق فى جهنم أبدا ، فليس هناك أكثر شرعية من تقليد الانتقام الإلهى بإحراقهم على الأرض[١] .!

ومن العجيب أن البروتستانت حين قويت شوكتهم فعلوا الشىء نفسه مع الكاثوليك و لم يكونوا اقل وحشية منهم .

لقد قال لوثر Luther لأتباعه :

من استطاع منكم فليقتل ... فليخنق ... فليذبح سرا أو علانية .... ! اقتلوا واذبحوا ما طاب لكم ... هؤلاء الفلاحين الثائرين[٢] .... ! ! !

✿ ✿ ✿

«كان القصد الأعلى للمسيحية كقصد كل أيديولوجية انقلابية ، إنشاء عالم مسيحى جديد ليس فيه سوى المؤمنين[٣] .

كان الإيمان المسيحى «شرطا جوهريا كى يصبح الفرد عضوا فى مجتمع القرون الوسطى وكان ضروريا كى يصبح الفرد مواطنا أن يصير مسيحيا .

لهذا بقى الوثنى أو اليهودي أو المسلم خارج المجتمع ، أى فى انتظار القتل عندما يأتى ... وعندما يقع ! .

وفجأة خيم الصمت .. ورأيت الحاضرين ينظر بعضهم إلى بعض .! أهى المفاجأة ؟ أم تعرية الباطل من أرديته الزائفة ؟ أم الطلب للراحة ؟ أم مراجعة

---

(١) من كتاب بناة الإنسانية . Briffault. The Makfing Of Humqnty

(٢) نديم البيطار : الإيديولوجية الانقلابية ص١١٠

(٣) المصدر نفسه ص٧١٦

النفس فيما أثير حول هذه القضية الحساسة الهامة ؟ أم هذا كله وقد انعكس على الوجوه فأصابها بالصمت والكآبة ؟

وناديت على الخادم ليقدم لنا بعض المشروبات الساخنة ... وكأنما كان هذا النداء مفتاحا للنفوس المغلقة فانطلقوا يتحدثون فى مرح يشعر بانفراج هذه النازلة ... !!!

لقد مضى نصف ساعة وكأنه دقيقة ... ثم عاد الجميع بعد ذلك للجلوس والصمت فى انتظار ما تتكشف عنه الحقيقة .

قلت للسيد أندرو Andrew :

- هل قرأت عن الإسلام شيئا ؟ إن هذه المعرفة ضرورية كى يكون حوارنا مفيدا ومجديا ....

وهنا كانت المفاجأة المذهلة ... إن كل ما يعرفه السيد أندرو ورفاقه عن الإسلام خرافة ... كانوا يتصورون أن الإسلام دين وقتى كما كانوا يتصورون «النبى محمد» تصورا ينفر من ذكراه أى إنسان مدنى .. إنها أفاعيل الكنيسة ، وأكاذيب التبشير الذى الصق بالإسلام كل نقيصة !

قلت - موجها الكلام - إلى السيد أندرو ورفاقه : إنكم على أية حال ضحية ... ضحية التزييف والتدليس الذى مضى عليه الآن حوالى ألف وأربعمائة سنة .

فنحن المسلمين نؤمن با لله الواحد الذى لم يلد و لم يولد .

وبهذا يختلف الإسلام عن المسيحية فى أمرين :

الأمر الأول : إنكار أن يكون لله ولد .

الأمر الثانى : إنكار أن يكون لله شريك فى ملكه من أحد . وبهذا نعتبر التثليث فى «الألوهية» شركا مرفوضا إلى الأبد .

❁ ❁ ❁

كما نؤمن – نحن المسلمين – بجميع الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبل النبى محمد .

نؤمن بإبراهيم وموسى والمسيح بن مريم ونعتبر الإيمان بأى نبى سبق كالإيمان بالنبى محمد ... وإنكار أى نبى من هؤلاء الأنبياء إنكار فى الوقت نفسه بالنبى محمد. إننا لسنا كاليهود الذين أنكروا مجىء المسيح . ولسنا كالمسيحيين الذين ينكرون نبوة محمد فالإسلام شامل لكل من سبقه من الأنبياء والرسل ، ورسالة الجميع واحدة منذ ظهور آدم إلى البشر .

كما نؤمن نحن المسلمين بجميع الكتب التى أنزلت .. كما أنزلت ... نؤمن بالتوراة الحقيقية التى أنزلت على موسى – كما نؤمن بالإنجيل الحقيقى الذى جاء به عيسى .. نؤمن بهما بقدر إيماننا بالقرآن الذى أنزل على النبى محمد .

لقد جمع القرآن الكريم هذا كله فى آية واحدة : **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن با لله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ...﴾**[1] .

– أصوات : إننا نسمع هذا لأول مرة .... ؟ !

المستر جراهام : الصمت أيها السادة ! .

ثم قلت : هل تجدون فى الإنجيل إصحاحا خاصا بالسيدة مريم ؟

أعرف أن الجواب : لا .. فلا يوجد شىء من ذلك قطعا ... ولكن القرآن يتحدث عن مريم حديثا تهتز له المشاعر ، ويخصها دون غيرها من النساء بسورة مستقلة تحمل أسمها الطاهر ....!

وبالرغم من هذا كله . فالعالم المسيحى لم يهدأ لحظة ... و لم تفتر عداوته مرة واحدة فى حمل السيف لإبادة الإسلام وأهله ...... ومطاردة هذا الدين فى طول العالم وعرضه .

---

[1] سورة البقرة : ٢٨٥ .

هل سمعتم ببطرس الناسك .. والبابا أوربانوس الفاتك !

لقد أشعل هذان الرجلان حربا ضد الإسلام استمرت بضعة قرون خيم فيها على العالم المعروف آنذاك ظلام دامس وخراب همجى شامل ....

هذه الحرب التى أثارها الإفرنج على المسلمين فى القرون الحادى والثانى والثالث عشر كان ظاهرها استخلاص الأراضى المقدسة من أيدى المسلمين الذين كانوا - كما يزعم بطرس الناسك - يقيدون حجاج المسيحيين بالسلاسل والأغلال ، ويمتهنون قبر المسيح ، ويعاملون أهالى تلك البلاد المسيحيين معاملة الذل والهوان ، قامت هذه الحروب وظاهرها - كما يقول البابا أوربانوس الثانى فى خطاب الدعوة الذى ألقاه فى مدينة كليرمونت فرنسا سنة ١٠٩٥م - إنها ليست لأخذ الثأر عن الإهانات التى لحقت النوع الإنسانى فحسب ، بل عن تلك الإهانات التى أتاها الكفار (المسلمون) نحو الله .... ؟ ! .

أما باطنها وهو ما لم يستطع البابا إخفاءه فهو كما قال فى خطاب الدعوة الآنف الذكر «إنها ليست لاكتساب مدينة واحدة ، بل لامتلاك أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التى لا تحصى ، فاتخذوا حجة البيت المقدس ، وخلصوا الأراضى المقدسة من أيدى المختلسين لها ، وامتلكوها أنتم خالصة لكم من دون أولئك الكفار ، فهذه الأرض كما قالت التوراة (تفيض لبنا وعسلا)»

وقد اتخذ البابا من أساليب الخداع ما جادت به قريحته ، وحركته إليه مطامعه ، فأعلن أن كل من اشترك فى هذه الحروب ، غفرت له ذنوبه ، ودخل فى حماية الكنيسة ، وأن ماله وأهله وذويه جميعا فى حماية الكنيسة ، وأن متاعب الحرب وأخطارها ليست إلا تكفيرا عن الذنوب.!

أضف إلى هذا ما ردده من الكلام المثير المهيج للعواطف كقوله :

«أيها الجند المسيحيون ، لقد كنتم تحاولون من غير جدوى إثارة نيران الحروب والفتن فيما بينكم ، أفيقوا فقد وجدتم اليوم داعيا حقيقيا إليها ، لقد كنتم سبب انزعاج مواطنيكم ، فاذهبوا الآن وأزعجوا البرابرة ، اذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من أيدى الكفار.. ؟ ..

«أيها الجند ، أنتم الذين كانوا سلع الشرور والفتن ، ألا هبوا اليوم وقدموا قواكم وسواعدكم ثمنا لإيمانكم ، وتسلحوا بسلاح الدين والتقوى ، فإنكم بذلك تنالون الجزاء والنعيم الدائم»

«إنكم إن انتصرتم على عدوكم كانت لكم ممالك الشرق ميراثا ، وإن أنتم خذلتم فستموتون حيث مات اليسوع ، فلا ينساكم الرب من رحمته ، فيحلكم محل أوليائه«!

«هذا هو الوقت الذى تبرهنون فيه على أن فيكم قوة وعزما وبطشا وشجاعة ، هذا أوان تظهرون فيه شجاعتكم التى طالما أظهرتموها وقت السلم، وإذا كان من المحتم أن تثأروا لأنفسكم فاذهبوا واغسلوا أيديكم بدماء أولئك الكفار» !!!

فلما رآهم يكونون متأثرين بخداعه ومكره قال :

«الحمد لله ، لقد أصبح جند النار جندا لله ، يا قوم .. إذا دعاكم الرب اليسوع إلى مساعدته فلا تتواروا فى بيوتكم متقاعدين ، ولا تفكروا فى شىء إلا فيما وقع فيه إخوانكم المسيحيون من الذل والهوان والمسكنة ، ولا تستمعوا إلا إلى القدس وزفراته ،واذكروا جيدا ما قاله لكم المسيح «ليس منى من يحب أباه وأمه أكثر من محبته إياى ، أما الذى يترك بيته ووطنه وأمه وأباه وزوجه وأولاده وممتلكاته ومقتنياته حبا فى ومن أجلى فسيخلد فى النعيم ، وسيجزيه الله الجزاء الأوفى»[1] .

---

(١) نقلاً عن تاريخ العالم للمؤرخين Hustorian History of the World

« ... وقد ضرب الصليبيون خلال الحروب الصليبية كثيرا من الأمثلة للتعصب وأتوا من الفظائع والمذابح والكبائر ما تقشعر منه الأبدان ، وقد اعترف بذلك معظم الكتاب والمؤرخين الأوروبيين ، ومن هؤلاء المؤرخين (ميشو) فى كتابه (الحروب الصليبية) ، الذى ذكر أن الصليبيين حين فتحوا معرة النعمان قد قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين إلى الجوامع والمختبئين فى السراديب ، فأهلكوا صبرا أكثر من مائة ألف إنسان ، وكانت المعرة من أعظم مدن الشام . وفتح الصليبيون القدس بعد أن أفحشوا القتل فى المسلمين ، حتى هلك منهم عشرات الألوف ، فيهم جماعة من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد . وارتكب الصليبيون كل محرم فى دينهم مع المسلمين واليهود.

وقال المؤرخ (ميشو) أيضا : تعصب الصليبيون فى القدس أنواع التعصب الأعمى الذى لم يسبق له نظير ، حتى شكا من ذلك المنصفون من مؤرخيهم فكانوا يكرهون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعالى البروج والبيوت ، ويجعلونهم طعاما للنار ، ويخرجونهم من الأقبية ، وأعماق الأرض ويجرونهم فى الساحات ، ويقتلونهم من فوق جثث الآدميين ، ودام الذبح فى المسلمين أسبوعا ، حتى قتلوا منهم - على ما أتفق على روايته - مؤرخو الشرق والغرب سبعين ألف نسمة ، ولم ينج اليهود كالعرب من الذبح ، فوضع الصليبيون النار فى المذبح الذى لجأوا إليه ، وأهلكوهم كلهم بالنار .

وكان من عادة الصليبيين أن يقتلوا أهل كل بلد يدخلونه فى الشام ويخربوا عمرانه ويحرقوا كتبه ومتاعه وآثاره . فقد أحرقوا دار المحكمة فى طرابلس وكان فيها نحو مائة ألف مجلد[1] .

واعترف المؤرخ (جوستاف لوبون)[2] بفظائع الصليبيين فى القدس فقال: أراد الصليبيون أن يستريحوا من عناء تذبيح أهل القدس قاطبة ، فانهمكوا فى

---

(١) كرد على : الإسلام والحضارة العربية جـ١ ص٢٩٦ .

(٢) نقلاً عن كتاب « الإسلام وأهل الذمة » دكتور على حسن الخربوطى ص١٩٦ وما بعدها .

كل ما يستقذره الإنسان من ضروب السكر والعربدة ، واغتاظ مؤرخو النصارى أنفسهم من سلوك حماة النصرانية مع اتصاف هؤلاء المؤرخين بروح الإغضاء والتساهل ، فنعتهم (برنارد الخازن) بالمجانين ، وشبههم (بودوان) الذى كان رئيس أساقفة (دول) بالفروس التى تتمرغ فى الأقذار .

وهناك وثيقة تاريخية تصف فظائع الصليبيين فى القدس ، كتبها المؤرخ الراهبى روبرت وفيها يقول : «كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل ، وذلك كاللبوءات التى خطفت صغارها وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربا إربا ، وكانوا لا يستبقون إنسانا ، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، فيا للعجب ويا للغرابة أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلحة بأمضى سلاح من غير أن تقاوم ، وكان قومنا يقبضون على كل شىء يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية ، فيا للشره وحب الذهب .. وكانت الدماء تسيل كالأنهار فى طرق المدينة المغطاة بالجثث ، فيا لتلك الشعوب العمى المعدة للقتل .. ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية دينا، ثم أحضر (بوهيموند) جميع الذين اعتقلهم فى برج القصر ، وأمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعافهم وبسوق فتيانهم وكهولهم إلى إنطاكية لكى يباعوا فيها»[1] .

فماذا فعل المسلمون حين استردوا بيت المقدس على يدى صلاح الدين ؟

كان فى القدس حينما استعادها صلاح الدين (٥٨٣هـ) من الصليبيين مائة ألف صليبى ، منهم ستون ألف راجل وفارس ، سوى من تبعهم من النساء والأطفال ، فأبقى صلاح الدين على حياتهم ، واستوصى بهم خيرا ، ونابذ فقهاءه فيما ارتأوه من معاملتهم بمثل ما عامل به أجداد الصليبيين جمهور المسلمين يوم فتحهم القدس ، واكتفى بأن ضرب فدية عادلة ، وعجز بعضهم

---

(١) من روائع حضارتنا . دكتور مصطفى السباعى

عن دفع الفدية ، فأدى الملك العادل أخو صلاح الدين فدية عن ألف صليبى ، واقتدى به صلاح الدين نفسه فأعفى كثيرين من الفدية ، وأغضى عن جواهر الصليبيين وذهبهم وفضتهم ، وعامل نساء الإفرنج معاملة كريمة ، وسهل السبيل لخروج ملكتين بما معهما من جواهر وأموال وخدم ورخص للبطريرك الأكبر أن يسير آمنا بأموال البيع والجوامع التى كان غنمها الصليبيون فى فتوحهم . ولما قال المسلمون لصلاح الدين إن هذا البطريرك يقوى بما أخذ على حرب المسلمين ثانية ، قال : لا أغدر به .

ولما عقد الصلح بين المسلمين والصليبيين دخل خلق عظيم من الإفرنج إلى القدس فأكرمهم صلاح الدين وقدم لهم الأطعمة وباسطهم . فألقى صلاح الدين على الصليبيين درسا فى مكارم الأخلاق وسماحة الإسلام[١] .

واعترف المؤرخ (جوستاف لوبون)[٢] بتسامح صلاح الدين وعدله وعطفه ، فقال : وتم طرد الصليبيين من القدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ولم يشأ صلاح الدين أن يفعل فى الصليبيين مثل ما فعله الأولون من ضروب التوحش فيبيد النصارى على بكرة أبيهم ، فقد أكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم مانعا سلب شىء منهم .

وأشار المؤرخ (أيوركا) بما لقيه الصليبيون من حسن معاملة صلاح الدين لهم يوم فتحه القدس ، فقال : لقد أظهر الجند المسلمون الذين رافقوا المطرودين من أهل الصليب شفقة مؤثرة ، ولا سيما على النساء والأطفال . ولا يتأتى إيراد البرهان على سمو أخلاق صلاح الدين لأكثر مما عامل به الصليبيين ، حتى لقد هدد أصحاب السفن من رعايا الجمهوريات الإيطالية ليركبوا هؤلاء البائسين من الصليبيين .

---

(١) كرد على : الإسلام والحضارة العربية جـ١ ص٢٩٨ .

(٢) حضارة العرب ص٣٢٩

علم صلاح الدين بمرض خصمه ريتشارد قلب الأسد ، وبأنه فـي حاجـة إلى بعض الفاكهة والثلج ، فبعث إليه صلاح الدين بحاجته ، وأرفقها بالدواء والشراب ، ولم يكد ريتشارد يشفى من مرضه حتى عاد مرة أخرى إلى قتال صلاح الدين وحربه .... !!!

ومن عجيب[1] أن قسوتهم ونكثهم للعهود كانت فيما بينهم بعضهم مع بعض ، لا تقل عما هي عليه في موقفهم منا .. إنهم القساة الغلاظ الأكباد في كل بلد يغلبونه شرقيا كان أو غربيا ، وهم القساة الغلاظ الأكباد مع كل ضعيف يهزمونه مسلما كان أو نصرانيا . وها هم بأنفسهم يتحدثون عن قسوتهم .

كتب القس «أودو الدويلي» أحد رهبان القديس دينيس الذى كان يشغل وظيفة قسيس خاص للويس السابع وصحبه فى الحملة الصليبية الثانية عن بعض مشاهداته فقال : «بينما كان الصليبيون يحاولون شق طريقهم برا عن طريق آسيا الصغرى إلى بيت المقدس ، منوا بهزيمة فادحة على أيدى الترك فى ممرات فريجيا الجبلية عام ١١٤٨ ، وبلغوا مدينة «أتاليا» الساحلية بشق الأنفس ، وهنا تمكن جميع الذين استطاعوا أن يرضوا المطالب الفادحة التى كان يفرضها عليهم تجار الإغريق من الإبحار إلى إنطاكية ، بينما خلفوا وراءهم المرضى والجرحى وعامة الحجاج تحت رحمة الخونة من حلفائهم الإغريق الذين أخذوا مبلغ خمسمائة مارك من لويس على شريطة أن يمدوا الحجيج بقوة من الحرس ، وأن يعنوا بالمرض حتى يصبحوا من القوة بحيث يمكن إرسالهم ليلحقوا بسائر زملائهم . ولكن لم يكد الجيش يغادر المكان حتى أخبر الإغريق الترك بموقف الحجيج الأعزل ، وراقبوا فى صمت ما أصاب هؤلاء التعساء من المجاعة والمرض وسهام العدو التى جرت عليهم الدمار والخراب وهم فى طريقهم إلى معسكرهم .

---

(١) من روائع حضارتنا . الدكتور مصطفى السباعى ص١٠٨ وما بعدها .

وحاولت جماعة تبلغ ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف أن تلوذ بالفرار بدافع من اليأس ، ولكن الترك الذين كانوا قد بلغوا المعسكر وهجموا عليه ليتابعوا انتصارهم أحدقوا بهم ومزقوهم شر ممزق ، وكاد يكون موقف من نجا من الموت منهم قد بلغ حد اليأس لو أن منظر شقائهم لم يذب قلوب المسلمين ويستدر شفقتهم ، فواسوا المرضى ، وأغاثوا الفقير والجائع الذى أشرف على الهلاك ، وبذلوا لهم العطاء فى كرم وسخاء ، بل لقد اشترى بعضهم النقود الفرنسية التى ابتزها الإغريق من الحجاج بالقوة أو الخداع ، ووزعوها بسخاء بين المعوزين منهم ، فكان البون شاسعا بين المعاملة الرحيمة التى لقيها الحجاج من الكفار (يعنى المسلمين) وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة وضربوهم وابتزوا منهم ما ترك لهم من متاع قليل .. حتى إن كثيرا منهم دخلوا فى دين منقذيهم بمحض إرادتهم ، وكما يقول المؤرخ القديم :

«لقد جفوا إخوانهم فى الدين الذين كانوا قساة عليهم ، ووجدوا الأمان بين الكفار (المسلمين) الذين كانوا رحماء عليهم ! . ولقد بلغنا أن ما يربو على ثلاثة آلاف قد انضموا بعد أن تقهقروا إلى صفوف الأتراك آه ، إنها لرحمة أقسى من الغدر .. لقد منحوهم الخبز ولكنهم سلبوهم عقيدتهم ، ولو أن من المؤكد أنهم لم يكرهوا أحدا من بينهم على نبذ دينه ، وإنما اكتفوا بما قدموا لهم من مساعدة ... ومن رحمة افتقدوها عند إخوانهم فى العقيدة ... !!!

❁ ❁ ❁

السيدة ليندا Linda :

كم أنا حزينة لما أسمعه الآن .. لا أتصور أن يحدث مثل ذلك من وحوش الغابة .. إن الوحوش لا تفترس إلا فى حالة الضرورة .. أما أن يكون ذلك على أيدى بشر .. ومن رجال دين يفترض فيهم الرحمة والعدل .. ومن بابوات وكهنة ينتسبون إلى السيد المسيح له المجد ...

فالأمر – من وجهة نظرى – يحتاج إلى مراجعة .. مراجعة لكل القيم والمفاهيم التى درجنا عليها منذ الطفولة . بل منذ بدأ تعميدنا بالماء المقدس فى الكنيسة .... ؟ !

الآنسة روث Ruyh :

لقد شارك جدى فى الحرب العالمية الأولى ... كان ضابطا فى الكتيبة الأسترالية النيوزيلندية التى أطلق عليها اسم «أنزاك» Anzac وخلد عملها بالنصب التذكارى المقام فى إحدى حدائق مدينة سيدنى ... لقد تعرضت هذه الكتيبة لمأساة رهيبة سقط بسببها ألوف القتلى والجرحى . ومما قاله جدى عن ذكرياته فى هذه الحرب أن الجنود المسلمين كانوا يجودون بأطعمتهم ودوائهم لعلاج المصابين فى هذه المعركة ... لقد تبدلت فكرة جدى عن المسلمين منذ هذه اللحظة ... حتى الأتراك الذين تصفهم الكتب والمراجع بالفظاظة والقسوة .... كانوا أكثر رحمة من البريطانيين الذين تخلوا عن الجنود الأستراليين والنيوزيلانديين فى هذه المحنة ... !

لقد نكأت يا سيدى جراحات عديدة فى تاريخنا الدينى والقومى ... فهل بقى شىء تضيفه إلى ما قتله عن هذه المرحلة والحالكة من تاريخنا البشرى؟ .

السيد ريتشارد Richard :

معذرة يا آنسة «روث» من هذه المقاطعة ... إننى كرجل بروتستانتى أوافقك فى كل ما قلته بالنسبة للبابا والكنيسة ... أما عن البروتستانت .. فقد كانوا – مثل المسلمين ضحايا – هذه الحروب الهمجية الفظيعة ..

قلت للسيد ريتشارد :

إن لوثر Luther لم يكن قد ولد بعد حتى نحكم له أو عليه فى هذه المرحلة ، والمشكلة هى ليست فى «لوثر» أو «البابا» وغيرهما من رجال

الكنيسة إن جوهر المشكلة فى النصوص والكتب التى تشكل عقلية رجل الدين أيا كان مذهبه وكانت طائفته ، وهى نصوص متفق عليها بين الجميع دون تفرقة . وإلا .. فما تفسير ما يحدث الآن فى شمال أيرلندا بين الكاثوليك والبروتستانت .. ؟

ثم ألم يقل لوثر : اذبح .. اقتل .. ولا ترحم أحدا من هؤلاء الفلاحين الجهلة ؟

ربما تختلف الوسائل والطرق ... ولكن الهدف - فى النهاية - واحد وهو إبادة المخالفين للكنيسة بأى سبب ... وهل قامت محاكم التفتيش إلا لهذا السبب ولهذا الغرض ؟

وسوف نستقى نماذجنا[1] عن فساد الكنيسة من الكتاب الذى كتبه الدكتور إسحق عبيد ، وهو أستاذ مسيحى - عن : «محاكم التفتيش ، نشأتها ونشاطها» فهو يرجع الفساد فى الكنيسة إلى القرن الحادى عشر عندما اشتبكت مع السلطة الزمنية فى صراع دموى حول صعيد أوروبا إلى ساحة من التوتر الدائم ، وفى أثناء هذا الصراع بين الأمير والكاهن خرجت البابوية عن حدود صلاحياتها ، فدخلت المعارك ولطخت يدها بالدسائس ، وذهل الناس عندما رأوا كاهن الله فى زى قيصر ، ممسكا بالسيف وبيارق الحرب ، فراحوا يترحمون على السلام العالمى وعلى «مدينة الله» .

وينقل الدكتور إسحق عبيد عن المؤرخ «لى» بعض الأمثلة ، فيذكر كيف كان الأسقف «ليبولد» رجلا عسكريا ظالما حتى إن أخاه خاطبه فى إحدى المرات قائلا : «يا أخانا الأسقف ، إن فرسان العالم الإقطاعى أقل ضراوة منك فى مسلكك . لقد كنت تخاف الله قليلا قبل دخولك سلك الدين ، ولكن أراك اليوم لا تخشى السماء» ... فرد عليه الأسقف قائلا : «عندما نلتقى يا أخى أنا وأنت فى جهنم ، قد أبادلك مقعدك» .....!!

---

(١) نقلاً عن مجلة العربى للدكتور عبد العظيم رمضان

كما يذكر كيف فاحت في سنة ١١٩٨ رائحة فضائح كبير أساقفة بيزانسون المدعو جيرارد دى روجيمونت ، وكذلك مخازى «ما هى دى لورين» أسقف تول ، الذى كان غارقا حتى أذنيه فى الرشوة ورحلات الصيد، بل إنه قام فى سنة ١٢١٧ باغتيال خصمه «رينوة دى سنليس» . وقد عرف عن مندوبى البابا (القاصد الرسولى) أن جيوبهم باتت تحشى بالفضة والذهب فى رحلاتهم التفتيشية ، حتى شكا رهبان الداوية إلى البابا إسكندر الثالث بأن القاصدين الرسوليين باتوا يعبدون صنم المال ، وقد صاح روبرت جروستيست فى إحدى المرات فى وجه البابا أنوسنت الرابع قائلا : «الويل لكم من صنم المال ، ها هو ذا يشترى كل شهرة مادية . حتى فى بيت الفاتيكان» .

ويذكر عن مخازى البابا إسكندر السادس (بورجيا) أنه كان مغرما بالنساء ، وكان يحيط نفسه بالراقصات ، حتى إنه لم يكن ينام فى فراشه بمفرده ، وكان للبابا إسكندر السادس أبناء كثيرون من سفاح ، خاصة من السيدة «فانوتزا» التى رزق منها بكل من : قيصر ، وجان ، ولوكريس ، وجوفرى ، كما رزق من أخرى بكل من : جرومين ، وإزابيل ، وبيارلويس ، ولورا ، وكان من خليلاته السيدة جوليا فرانيزى ، وكان البابا إسكندر السادس لا يتورع عن مسلك الفجور فى وجود بناته وأفراد حاشيته الفاسدة، حتى لقد أشارت بعض الأصابع إليه بالاعتداء على المحارم ! ، كما اشتهر عن بوجيا ، مثلما قيل عن سلفه سكستوس ، بالولع بالغلمان ! ، وكان هذا البابا يبيع منصب الكرادلة بالمال ، وقد بلغت الرشوة فى هذا المنصب مبلغ مليون ومائتى ألف مارك من الذهب ، ولم يكن بورجيا يتورع عن دس السم لمن يريد التخلص منه من معارفه ليرث أملاكه ، ولم يسلم من هذا الجرم عمانى أو رجل دين فى روما ، ذاع عن «سم» بورجيا اسم خاص هو «كانتا ريللا»، وكان يعده صيادلة مرموقون فى روما . !!!



وقد اشتهر من رؤساء «الديوان» الذين كانوا يصدرون الأحكام فى سبع مقاطعات فى «أسبانيا»

١ - (توركويمادا).

٢ -(ديزا) .

٣ -(سيزنيووس) .

٤ - (فلويرنسيو) .

٥ -(مانريكى).

٦ - (تاليو) .

٧ - (لوابيزا) .

وهؤلاء السبعة كانوا قد أمروا بإحراق عدة آلف من الناس وهم أحيـاء ، وأشدهم قسوة وفظاعة هو أولهم : (توركويمادا)[1] .

وإذا ما حكم بالموت أو بالحريق على فرد - أو أكثر - طيف بهم قبل يوم التنفيذ بيومين فى أسواق المدينة وهم مكبلون بالأغلال والأصفاد مطوقين بالسلاسل الغليظة ، تحيط بهم فرقة من الجند تسلحوا بالسيوف والقضبان الحديدية (على هيئة النبابيت) ، وفى خاتمة المطاف يحشر المحكوم عليهم فى سجن واحد استعداد ليوم التنفيذ .

❁ ❁ ❁

فإذا ما رفعت راية (الديوان) إشارة للبدء فى التنفيذ تقدم الجلاد من الضحايا وقال لهم :

- (يا ضحايا ديواننا المقدس .. إن هذه الأطواق الحديدية لرقابكم ، وهذه الكمامات لأفواهكم ، ويلزم كلا منكم أن يتقدم فيضع طوقه فى عنقه وكمامته فى فمه ..).

---

(١) محاكم انتيش - محمد على قطب ص١٠١ وما بعدها

أما أردية الرهبان : فملابس حمراء وقلائد ذهبية ، تسير بهم المواكب والمراكب الفخمة.

ويتقدم الملك ورجال البلاط والسلطة ورجال القضاء والعواد ، ويقف ألوف الناس لمشاهدة حرق (الكفار) ..، وقد هيئ الحطب ، وأعد كل شيء لإصعاد المحكومين إلى المحارق .

ويتقدم رئيس (الديوان) من منصة الملك الذى يقف له إجلالا واحتراما ، هو ومن فى حضرته من أساقفة ، ثم يقول للملك والذى يحمل فى يده صليبا:

– يا صاحب الجلالة .. !

بينا تحمل فى يدك هذا الصليب المقدس ، ترانا ننتظر من جلالتكم أن تقسموا على أن تعضدوا (الديوان المقدس) وأن تثبتوا سلطتنا فى هذه البلاد... فيقسم الملك يمينا يمليها عليه الأساقفة أمامه ...

ويستمر الرئيس فى القول :

– وأن تقسم يا صاحب الجلالة على أن كل ما يعلمه ديوان التفتيش وكل ما يجريه من الأحكام إنما هو مطابق لتعاليم الكنيسة الرسولية الرومانية ، وأنه أيضا مطابق لشرائع بلادكم التى ترمى إلى تطهير هذه البلاد من الكفرة والزنادقة وأصحاب التعاليم الشيطانية !.

فيقسم الملك أيضا بما يمليه عليه القساوسة من الأيمان المغلظة ...

ويستمر الرئيس فيقول :

– ليبارك الله جلالتكم وليمكنكم من الحكم طويلا فى الأرض ما دمت سندا لشرائع (الديوان المقدس) ، وشرائع الكنيسة الرسولية الرومانية .

ثم يجلس الملك ، ويتقدم كاتب (الديوان) إلى وسط الميدان – وكانوا يتخيرونه رجلا كبير الهامة ، ضخم الجثة ، جهورى الصوت – فيقف على

منصة مرتفعة ويأخد فى تلاوة صورة الحكم فى ورقة فى يده ، والناس فى صمت ، وكأن على رؤوسهم الطير ...

وبعد الانتهاء من تلاوة الحكم ، يتقدم (رئيس الديوان) ويمنح الغفران لأولئك المساكين ، ويأمر بترتيل مزمور مطلعه : (ارحمنى يا رب كما شاءت رحمتك).!!!

فيرتل الناس والكهنة ذلك المزمور.

❁ ❁ ❁

ومكان الحرق - أو الشنق - عبارة عن أربعة أعمدة ، وأحيانا عمود واحد ، أو جذع شجرة مرتفع ، وحوله أكوام الحطب من كل جهة ، على علو ثلاثة أمتار تقريبا من الأرض ، ويكون على هيئة مصطبة مربعة فى أعلاه، والعمود بارز منها .

فكانوا يوقفون المحكوم عليه إلى هذا العمود ويربطون حبلا فى رقبته ، ويربط الحبل إلى العمود ، ويلف الجلاد الحبل على الرقبة عدة مرات ، وفى كل مرة يشتد فى الضغط حتى يختنق المحكوم ...، وأحيانا كانت الحبال تشد إلى وسطه فقط إذا ما توسل المسكين إليهم أن لا يخنقوه .... بل تترك النيران تأكله وهو حى ...!!!

ثم يصعد كاهن وفى يده صليب من العاج يعرضه على المسكين ليقبله قبل حرقه ، وذلك قبيل إضرام النار بقليل ... ؟ ..

وكل من مات فى سجون (الديوان) تحرق جثته - أيضا - كى لا يعرف له قبر .

ومن التهم الغريبة التى كانت توجه إلى ضحايا هذه المحكمة أن فلانا أنشد أغانى عربية ... أو أنه يكثر من الاستحمام كما هو عند المسلمين .. أو لدفاعه - ولو بكلمة واحدة - عن «محمد بن عبد الله» «صلى الله عليه

وسلم» ... أو لتكفين ميت بأثواب جديدة ، أو الامتناع عن أكل لحم الخنزير وشرب النبيذ وصبغ اليد بالخضاب أو لإحراز كتب عربية . أو لقيامه إلى الصلاة ... أو صومه ... أو لوضوئه أو لوجود أوراق باللغة العربية أو قرآن عند المتهم ... ، فكان العقاب شديدا من إرهاب وحرق وجلد ومصادرة وتعذيب وتشهير ... بإركاب المتهم حمارا وقد علق بظهره لوحة فيها اسمه وتهمته ... ثم يطاف به في أرجاء المدينة ...).

من قرأ منكم الكوميديا الإلهية التى كتبها «دانتى» ؟ إن الجحيم الذى وصفه هذا الشاعر الإيطالى يعتبر جنة إذا قورن بجحيم رجال الدين المنتسبين إلى يسوع الناصرى ...؟!

يقول أحد ضباط الحملة الفرنسية التى احتلت أسبانيا واسمه الكولونيل «ليمونكسى» بدأنا تفتيش أحد الأديرة التى سمعنا بوجود أحد دواوين التفتيش فيه . وكادت جهودنا تذهب سدى ونحن نبحث عن هذا الديوان فى سراديبه وأقبيته المعتمة ..

لقد فحصنا الدير وممراته وأقبيته كلها . فلم نجد شيئا يدل على وجود ديوان تفتيش . فعزمنا على الخروج من الدير يائسين ، كان الرهبان أثناء التفتيش يقسمون ويؤكدون أن ما شاع عن ديرهم ليس إلا تهما باطلة ، وأنشأ زعيمهم يؤكد لنا براءته وبراءة أتباعه بصوت خافت وهو خاشع الرأس، توشك عيناه أن تطفر بالدموع ، فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير ، لكن اللفتنانت «دى ليل» استمهلنى قائلا : أيسمح لى الكولونيل أن أخبره أن مهمتنا لم تنته حتى الآن ؟!!.

قلت له : فتشنا الدير كله ، و لم نكتشف شيئا مريبا ، فماذا تريد يا لفتنانت ؟!.. قال : إننى أرغب أن أفحص أرضية هذه الغرف فإن قلبى يحدثنى بأن السر تحتها .

عند ذلك نظر الرهبان إلينا نظرات قلقة ، فأذنت للضباط بالبحث ، فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة ، عن الأرض ، ثم أمرهم أن يصبوا الماء بكثرة فى أرض كل غرفة على حدة . وكنا نرقب الماء . فإذا بالأرض قد ابتلعته فى إحدى الغرف . فصفق الضابط « دى ليل » من شدة فرحه ، وقال ها هو الباب ، انظروا فنظرنا فإذا بالباب قد انكشف ، كان قطعة من أرض الغرفة ، يفتح بطريقة ماكرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جانب رجل مكتب رئيس الدير .

أخذ الجنود يكسرون الباب بقحوف البنادق ، فاصفرت وجوه الرهبان ، وعلتها الغبرة .

وفتح الباب ، فظهر لنا سلم يؤدى إلى باطن الأرض ، فأسرعت إلى شمعة كبيرة يزيد طولها على متر ، كانت تضئ أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين . ولما هممت بالنزول ، وضع راهب يسوعى يده على يده كتفى متلطفًا ، وقال لى : يا بنى ، لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال ، إنها شمعة مقدسة !!!

قلت له ، يا هذا إنه لا يليق بيدى أن تتنجس بلمس شمعتكم الملطخة بدم الأبرياء . وسنرى من النجس فينا ، ومن القاتل السفاك !؟!

وهبطت على درج السلم يتبعنى سائر الضابط والجنود ، شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج ، فإذا نحن فى غرفة كبيرة مربعة ، وهى عندهم قاعة المحكمة ، وفى وسطها عمود من الرخام به حلقة حديدية ضخمة، ربطت بها سلاسل من أجل تقييد المحاكمين بها .

وأمام هذا العمود كانت المسطبة التى يجلس عليها رئيس ديوان التفتيش والقضاء لمحاكمة الأبرياء . ثم توجهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية التى امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض .

رأيت فيها مـا يستفز نفسي ، ويدعوني إلى القشعريرة والتقزز طوال حياتي .

رأينا غرفا صغيرة في حجم الإنسان بعضها عمودى وبعضها أفقى ، فيبقى سجين الغرفة العمودية واقفا على رجليه مدة سجنه حتى يموت . ويبقى سجين الأفقية ممدا بها حتى الموت وتبقى الجثث في السجن الضيق حتى تبلى. ويتساقط اللحم عن العظم ، وتأكله الديدان . ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى نافذة صغيرة إلى الفضاء الخارجي .

وقد عثرنا في هذه الغرف على هياكل بشرية ما زالت في أغلالها .

كان السجناء رجالا ونساء ، تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والسبعين وقد استطعنا إنقاذ عدد من السجناء الأحياء ، وتحطيم أغلالهم ، وهم في الرمق الأخير من الحياة .

كان بعضهم قد أصابه الجنون من كثر ما صبوا عليه من عذاب وكان السجناء عرايا ، حتى اضطر جنودنا إلى أن يخلعوا أرديتهم ويستروا بها بعض السجناء .

أخرجنا السجناء إلى النور تدريجيا حتى لا تذهب أبصارهم ، كانوا يكون فرحا ، وهم يقبلون أيدى الجنود وأرجلهم الذين أنقذوهم من العذاب الرهيب ، وأعادوهم إلى الحياة ، كان مشهدا يبكي الصخور .!

ثم انتقلنا إلى غرف أخرى ، فرأينا فيها ما تقشعر لهوله الأبدان ، عثرنا على آلات رهيبة للتعذيب ، منها آلات لتكسير العظام ، وسحق الجسم البشرى . كانوا يبدأون بسحق عظام الأرجل ، ثم عظام الصدور والرأس واليدين تدريجيا ، حتى يهشم الجسم كله ، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة ، والدماء الممزوجة باللحم المفروم ، هكذا كانوا يفعلون بالسجناء الأبرياء المساكين !.

ثم عثرنا على صندوق فى حجم رأس الإنسان ، يوضع فيه رأس الذى يريدون تعذيبه بعد أن يربطوا يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة ، وفى أعلى الصندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام ، فى كل دقيقة نقطة ، وقد جن الكثيرون من هذا اللون من العذاب . ويبقى المعذب على حاله تلك حتى يموت .!

وآلة أخرى للتعذيب على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة .

كانوا يلقون الشاب المعذب فى هذا التابوت ، ثم يطبقون بابه بسكاكينه وخناجره . فإذا أغلق مزق جسم المعذب المسكين ، وقطعه إربا إربا .!!!

كما عثرنا على آلات كالكلاليب تغزز فى لسان المعذب ثم تشد ليخرج اللسان معها ، ليقص قطعة قطعة ، وكلاليب تغرس فى أثداء النساء وتسحب بعنف حتى تتقطع الأثداء أو تبتر بالسكاكين .

وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تتفتت عظامهم ، وتتناثر لحومهم[1] .!!

❁ ❁ ❁

وهنا توقفت لحظة ... وشاهدت الآنسة «روث» وهى تمسح دموعها خلسة ...!

ماذا حدث لك يا آنسة روث ؟ Ruth

لا أكاد أصدق ما أراه أمامى الآن فى هذه الآنسة التى اغرورقت عيناها بالدمع ...

هذه هى الفطرة الإنسانية المجردة من كل نوازع الكراهية والحقد ... إن البشرية لا يمكن أن تفقد فطرتها لأسباب طارئة مهما يكن الباعث أو الدافع

---

(١) محاكم التفتيش للدكتور على مظهر نقلاً عن كتاب التعصب والتسامح للأستاذ محمد الغزالى ص٣١١-٣١٨ باختصار

لطمس هذه الفطرة الراسخة ...وستبقى هذه الفطرة هى المفتاح والمدخل إلى كل شىء جميل نراه فى هذه الحياة الزائفة ... معذرة أيتها الفتاة الطيبة القلب!

لقد آن الأوان لإسدال الستار على هذه المأساة الملطخة بالدم ... دم الأبرياء والشهداء الذين راحوا ضحية التزييف المغلف بأقاويل ونصوص لم ينزل بها من السماء وحى ...!!!

❁ ❁ ❁

هل شاهدت فيلم «زوربا» ... زوربا اليونانى الذى ألفه «نيقوس كازانتزاكس» ... إن لهذا المؤلف كتابا آخر اسمه «المسيح يصلب من جديد» وفى هذا الكتاب يحدثنا المؤلف اليونانى عن راهب ورم جسمه من كثرة الشحم . ومن أكل أموال اليتامى والأرامل حتى العظم ...! لقد رفض هذا الراهب إنقاذ حياة أطفال من الموت ... كما رفض لجوء إخوة له فى العقيدة حتى لا يشاركوه لقمة العيش ! إن كلمة «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» تحولت عنده إلى شيك يتضخم رصيده كل يوم فى البنك ! وذهبت الوصايا والتعاليم إلى محرقة شهواته التى تتوهج بلون الدم ....!

لكل هذا ... كتب «نيقوس» روايته التى تكرر محاولة الصلب!

لقد أوشك الستار أن يسدل كما قلت ... ولكن ليس قبل أن نرى هذا الرجل المسلم الواقف أمام قضاة من الوحوش فى محكمة «الرب» ...!!!

وليس قبل أن نسمع هذا الحوار الساخر بين الضحية والذئب ...

❁ ❁ ❁

لقد جىء بذلك الرجل أمام المحكمة، فقال رئيس المحكمة لجنود التفتيش:

- ضعوا الحديد فى أصابعه الآن وقدموه إلينا .

فجىء بذلك المسكين أمام المحكمة وقد أعياه الألم وما لبث أن سقط مغشيا عليه . فقال الرئيس :

- أوقفوه .

فأجاب أحد الحراس :

- إنه لا يقوى على الوقوف .

فقال رئيس المحكمة :

إذن فضعوه فى التابوت فإنه يقف فيه .

فوضعوه فى صندوق مربع فيه مسامير من الداخل ، فاضطر المعذب أن يقف رغم ما به من إعياء وضعف . ثم رفعوا الكمامة التى كانت على فمه ليتمكن من الإجابة على الأسئلة . وعندها تنفس المسكين الصعداء طويلا ، فأمر الرئيس بأن يسقوه قليلا من الخمر ، فلما شرب قليلا منها تفتحت عيناه وحدث عنده بعض الانتعاش ، وفحصه الطبيب حتى علم أنه قادر على الوقوف والاستجواب ، فوجه إليه الرئيس الأسئلة وكان يجيب عليها كما ترى :

قال الرئيس :

- ما اسمك ؟

-أنا مسلم مغربى .

- كلا ، بل اذكر اسمك المسيحى الجديد .

- صموئيل فرناندس .

- إن صموئيل هذا اسم يهودى .

- لقد كان المسيح يهوديا أيضا .

- قل صدقا : كم عمرك ؟

- ثلاث وثلاثون سنة مثل عمر المسيح !

- إذن أنت مستعد للتضحية ؟

- بإذن الله .

- أتقبل ذلك وأنت راض ؟

- نعم .

- إذن قل من هو إلهك ؟

- هو إلهكم نفسه .

- وما اسمه ؟

- الله فى سماء ملكوته .

- بل قل معى : يسوع المسيح .

فأجاب الرجل وهو يرتعد :

- يسوع المسيح .

- يظهر عليك أنك تأثرت من ذكر هذا الاسم ، أليس كذلك ؟

- أجل .

- وما نوع ذلك التأثير ؟

- تأثير داخلى .

- وماذا قال لك هذا الصوت الداخلى ؟

- لا أدرى ، الآن لا أدرى ماذا أقول .

- قل ما فكرت فيه بصوت مسموع .

- لا أقدر على الكلام لأنى متألم جدًا من الضرب على صدرى والكلام لا يكون حسب الأمر بل حسب الاستطاعة .

* * *

ونظر الكاتب إلى الرئيس مستفهما فقال الرئيس : أظن أن ضرب وجهه بالسوط يمكنه من الكلام . ؟ !

وسرعان ما جذبه أ حد رجال التعذيب وجعل يجلده علي وجهه وكاد يخرج منه الدم وجعل يتلوى من الألم فقال له كاهن :

- تعال يا صموئيل تقدم واعترف أمامى بخطاياك وقل لي :

بماذا تفكر الآن ؟ قل الحق قبلما يحل بك القصاص . تقدم يا بني تكلم يا محمد لقد كان هذا اسمك قبل اعتناقك المسيحية فلماذا سميت نفسك صموئيل و لم تختر اسم قديس مسيحي كبطرس أو بولص .؟!

ثم نظر إلى الكاتب وقال : اكتب .

- أين ولدت ؟

-في طنجة .

- أأسباني أنت ؟

- كنت أسبانيا .

- ولماذا تقول كنت ؟

- أقول هذا لأني لا أظل أسبانيا إلى الأبد .

-وأبوك ؟

- ليس لي أب فانه قد مات .

- وأمك ؟

- ماتت أيضا»

- وأين ماتا ؟

- في سجون ديوان التفتيش .

- أحرقا ؟

- كلا بل تعذبا حتى تهرأت أجسادهما فماتا من شدة العذاب.

- وبماذا اتهما ؟

- لقد كانا بريئين .

- هل لك اخوة ؟

- أظن ذلك .

- كيف تظن ! أين إخواتك وأين يقيمون ؟

-بل قل أولا أين ماتوا وأين قبورهم ؟ .. يظهر أنك تريد أن ينفذ صبرنا معك . فسنبدأ بتعذيبك.

-يسوءني هذا.

إذن أنت لا تريد أن تدلنا علي البقية الباقية من اخوتك ولا عن مكان إقامتهم . أن الديوان المقدس لا يخفى عليه أن لك اخوة هم علي قيد الحياة وهم يصلون في مساجد خفية . ألا تعلم أين هم ؟

- لا أعلم .

- لما صدر الأمر بسجنهم هربوا ، أفلا تعلم إلى أين ؟

- كلا.

- تذكر جيدا علك تعلم .

- كيف يمكنني أن أتذكر وأنا مضطرب الفكر ضائع العقل ؟!

- يجب أن تساعدنا علي معرفة مقرهم حتى نخلص نفوسهم !!!

- علي غرار ما تفعلون معي الآن ؟!

- أنت تسكن مع امرأة ، فمن تكون هذه ؟

- زوجي.

- كيف يمكنك ادعاء هذا ؟

- هي تريد أن يكون الأمر كذلك .

- علما أنها مسيحية وأنت بهذا العمل تخالف آداب ديننا المسيحي وتنبذ العفاف ، فيجب عليك أن تسلم زوجك للديوان المقدس .

- هل هذا هو العفاف والدين عندكم ؟

- نحن لا نجادلك ، بل نأمرك.

- إذا كنتم تأمروني فأولي بكم أن تقتلوني ، وهذا أقصي ما يمكن أن تفعلوه ، وعندئذ سوف تصلي زوجي من أجلي.

- ويلك يا شقى ألا تزال مصرا علي إنكارك ؟! أصلح هفواتك وخطأك يا هذا ، وإلا فانك سوف تدفع ثمنا لعنادك باهظا . والآن فلنتم أعمالنا . قل لنا أين اخواتك ، وأين زوجك ؟

- هم في مكان أمين ؟

ألا تريد أن تعترف بأكثر من هذا ؟

- إني أعترف إلى اللّه خالقي فحسب . أنتم تعذبونني واللّه يعلم أني برئ.

سوف تساق إلى التعذيب الآن ، فالأولي لك الإقرار.

- لا يعنيني العذاب فان جسمي مخدر لا يشعر .

- إذا لم تجب علي ما سألناك الآن فسوف تسقي الماء رغم أنفك ، يدفع إليك من حلقك. حتى يقضي عليك.

– لقد احترقت رجلاى أولا بناركم فلم أمت حتى الآن ! فقال أحد القسس وهو يتصنع الرقة والعطف عليه بصوت متكلف :

– اعلم يا بنى أننا لا نرمى من وراء تعذيبك إلا إلى الإقرار على بقية أهلك الذين تحبهم وبذا تنجى نفسك ونفوسهم ونصعد بكم إلى السماء..!!!

فأجاب الرجل :

– إذا صعدنا نحن إلى السماء فمن يهوى بكم أنتم إلى الجحيم وبئس القرار؟!

وعندئذ أشار أحد رؤساء المحكمة بيده إشارة سريعة إلى المعذبين المرتدين الثياب السود الواقفين أمام آلات التعذيب فهجموا عليه وأخذ البعض منهم يضع الحبال فى يديه وصدره معاً ويلفها لفاً ، وآخرون ربطوا رجليه بحبل دقيق ثم وضعوه على مائدة خاصة وأعادوا ربطه ربطاً وثيقاً ، وتقدم أحد هؤلاء المعذبين وهو يحمل جرة ملأى بالماء وتقدم آخر وفى يده قمع فقال الكاهن الموكل بعظة الخاطئين (!) والصلاة لأجلهم :

– والآن يا صموئيل لماذا تضطرنا يا بنى إلى تعذيبك وإحداث هذه الآلام لك ، ما دمت قادراً على الخلاص من هذا كله إذا ما قلت لنا أين إخوتك وأين زوجك ؟

فأجاب الرجل :

– لا يمكننى أن أقول لكم شيئاً عنهم لأنى قد وعدتهم وأقسمت لهم بأن لا أخونهم وأسلمهم لديوان التفتيش ...

فقال الكاهن :

– ولكنا لا نعتقد أنهم يرضون لك هذا الحال وهذا العذاب الأليم ... إن هذا السكوت لا يعد أمانة بل يعد جنوناً ... قل قبل أن يبدأ الرجال بتعديبك.

– إنى أشكر لكم إذا ما قتلتمونى مرة واحدة .

دع عنك هذا العناد يا رجل واعلم جيداً أنك سوف تموت دون أن يعلموا بأنك مت فداء لهم . والمحكمة سوف تقبض عليهم إن عاجلاً وإن آجلاً فتكون قدمت أنت من غير فائدة . ومع هذا فإن زوجك هذه سوف تنساك لا محالة وتتزوج سواك ، وربما تكون قد خانتك الآن !!!

فصاح الرجل قائلاً :

- صه أيها الحقير ، واعلم جيداً أن عذابكم لجسدى لا يعنينى قدر تعذيبكم روحى بكلامكم هذا الذى تلفظه ألسنة سامة !

وبكى الرجل وبدأوا بتعذيبه وكان صراخه يملأ القاعة ولكن ليس من منقذ بيد أن القسس كانوا وقوفاً يصلون وبيدهم كتبهم يرتلون فيها الأناشيد باسم السيد المسيح !!!

وبينما هم يعذبون الرجل على هذه الصورة سيقت سيدة أمام المحكمة وكانت رابطة الجأش ذات شجاعة مدهشة ، ونظر إليها رئيس المحكمة بنظرات حادة كلها الحقد والغضب والانتقام وسألها قائلاً :

- ما اسمك يا هذه ؟

- سوزانا فرناندس .

وسمع زوجها المعذب ذلك فأن أنيناً طويلاً محزناً إذ عرف أنهم قبضوا على روجه المسكينة وأنها وقعت بين براثن أولئك الوحوش العتاة . أما هى فلم تتمكن من معرفة من يعذب لما استولى على القاعة من ظلام ولكنها عندما سمعت الأنين التفتت لترى من يئن ، وعندها أخذ رئيس المحكمة فى استجوابها وعيناه تتقدان شرراً ، وينبعث منهما الشر لالتفاتها ، واستمر يسألها قائلاً :

- بنت من أنت ؟

- لا أعلم

ألا تعلمين من هما أبواك ؟

– كلا إنما رأيت ذات مرة رجلاً ماراً بحى تريانا فقالوا لى أن هذا أبى .

– أهذا كل شئ ؟ !

– نعم .

– وما اسم هذا الرجل ؟

فأجابت إجابة ساذجة قائلة :

– قيل لى أن له اسمين : الأول الراهب والثانى الرجل المهيج !

– وأمك من تكون ؟

– هى أمى .

– وأين هى ؟

– ماتت .

– وأين ماتت ؟ هل سقطت فى الوادى الكبير ؟

– كلا بل قتلت قتل العمد .

– وكيف كان هذا ؟

– إنها ماتت جوعاً فى سجون ديوان التفتيش .

– وأين كانت تسكن قبل أن تسجن ؟

– مع رجل من بقايا العرب كان يمر ببابنا كل يوم وقد عزم أخيراً على أن يسكن معها إلى الأبد فسكن وسأنضم أنا أيضاً إليهما !!!

– وهل مات ذلك الرجل ؟

– نعم قد مات فى سجون ديوان التفتيش .

– أكان مسيحياً ؟

- لا أدرى ومع هذا فلم تسألوننى عن المسيحية كثيراً ، وما هو دخل الديانة المسيحية فى ديوان التفتيش ؟!

وما كادت السيدة تتم كلامها حتى بدأ الزبانية بتعذيبها تعذيباً مخيفاً تقشعر من ذكره الأبدان .

❁ ❁ ❁

مستر جراهام Graham

- ألا يكفى ذلك اليوم ؟

- نعم يكفى ذلك اليوم أيها السيد جراهام ...!

مستر فوكس Fox

لقد مضت هذه الأيام إلى غير رجعة فنحن الآن فى عصر الأمم المتحدة والعالم كله ينعم بالإخاء والمساواة والحرية !.

- آسف أيها السيد فوكس !

فلا تزال المعركة - حتى يومنا هذا - قائمة ، ولا تزال الحرب ضد الإسلام والمسلمين دائرة .!

المستر بول Paul

لكننا لا نرى أثراً لهذه المعركة ، أو دليلاً يشير إلى هذه الحرب الدائرة .

- ... وهذه هى قمة المأساة فى حياتنا المعاصرة ... فإنسان » اليوم « قلما ينظر إلى ما حوله ، أو يرى النار التى تشتعل فى حجرة نومه ... إنه عصر الفيديو والمخدرات والجنس ...! وقد لعبت المؤسسات الخفية دورها فى حجب الحقائق عنه ... إنه إنسان لا يفيق نادراً من عمليات غسيل المخ ... ويصبح ويمشى فى ضباب كثيف من المخدر أو الخمر . فبالرغم من اختصار

المسافات بفضل التكنولوجيا المتقدمة فلا تزال هناك أبعاد ومسافات تفصل بين هذا الإنسان وبين أخيه الإنسان فى كل ناحية ...

أبعاد فى الفكر والثقافة ...

وأبعاد فى التقدم والحضارة ...

أبعاد فى التعليم والتربية ...

أبعاد كثيرة لا تزال راسخة وعميقة ، ولا تزال تؤثر على حركة الحياة فوق كرتنا الأرضية .

فإذا قلت : بأن الحرب ضد الإسلام لا تزال دائرة ، وأن المعركة ضد المسلمين لا تزال قائمة ... فلأن هذه هى الحقيقة ... الحقيقة التى لم يرها المستر بول حتى بالعدسة المكبرة ...

الآنسة روث Ruth :

- إن زميلاتى يطلبن تحديد موعد آخر إذا سمح وقتكم بإتمام هذا اللقاء... فإذا وافق طلبهن قبولاً فليكن ذلك بعد يوم الثلاثاء .

- مرحبا بك وبزميلاتك يا روث ... ؟

أيتها الفطرة الإنسانية الباقية على نقائها منذ المهد ... !

مرحبا بكم جميعاً صباح الأربعاء ... ومرحبا بكم جميعاً فى كل صباح ومساء ... !!!!

الحوار الثالث

- التغيير المفاجئ ...
- خواطر فى محطة الأندرجراوند Under Ground .
- أوروبا والإسلام ... أو ... قصة الحمل مع الذئب !...
- قصة الحاج عبد الكريم جرمانوس ...
- الخطة الجديدة للملك لويس التاسع .. للقضاء على الإسلام.
- فى جحور الأفاعى ... أو ... المبشرون والمستشرقون ...
- دير شبيجل والحرب الدائرة فى لبنان ...
- مذبحة زنجبار ... من كان وراءها ؟...
- القانون الدولى ... لا يعترف بالمسلمين ...
- الإعلام الغربى المنحاز ...
- ميلتون أوبوتى ... وقتل ثلاثمائة ألف أوغندى ...
- السفاحون ... تجار الجماجم !...
- عصر الاستعمار الدموى ...
- القتل الجماعى ... باسم المسيح ...
- الحرب النووية ... ونهاية الحياة ... والحضارة .
- خمسون ألف قنبلة ذرية ... فى الانتظار !...
- السؤال الذى يشغل العالم .
- فولتير ... والتحدى السافر للأساقفة ورجال الدين ...
- ولهذا ... يحاربون الإسلام ...
- مؤتمر للشياطين برئاسة إبليس !!.



صباح الأربعاء .

لقد تثاءبت مدينة سيدنى من سباتها بعد ليل قصير هادئ ، ودبت الحياة فى شوارعها المعطرة بأزهار فصل الربيع الدافئ !...

لقد تذكرت قبل خروجى من البيت أن موعد دفع إيجار الشقة التى أسكنها قد فات ، وأن التأخر فى الدفع يعرض الساكن للتشرد والشتات !...

واتجهت مسرعا إلى محطة القطار المتجه إلى الشرق ... إلى ضاحية استراثفيلد Strathfield حيث يقيم وكيل صاحبة البيت ، وحيث تقع هذه الضاحية بعد محطتين من أشفيلد Ashfieled ... ومن «ستراثفيلد» اتصلت بالمسجد لتأكد إجراء اللقاء فى موعده المحدد بالضبط .

لقد أخبرنى الحارس بأن الآنسة فيكى Viki أخطرته بتأجيل اللقاء إلى الساعة الثالثة بعد الظهر . فوجدتها فرصة لقضاء بعض المصالح المؤجلة بسبب ضيق الوقت ...

❁ ❁ ❁

فى ستراثفيلد يمكنك اختيار القطار الذى تحبه ... فهذه الضاحية ملتقى عدة خطوط حديدية مختلفة . هناك قطار يتوقف فى محطة واحدة قبل سيدنى هى محطة ردفرن Redfren وهناك قطار يتوقف فى محطتين أو ثلاث قبل وبعد أشفيلد Ashfield وهناك البطىء أو «القشاش» الذى يتوقف فى كل محطة... وتقرأ فيه صحيفتك قبل أن يصل القطار إلى مدينة سيدنى ... عاصمة ولاية نيوثوت ولز .

لم يكن معى ما أقرأه ... فقد فرغت من قراءة صحيفتى المفضلة فكان من الضرورى توفير الوقت لما هو أهم من الانتظار والصمت !...

لقد توجهت فورا إلى «إدج كليف» Edge Cliff حيث كانت القنصلية المصرية العامة توجد هناك فى شارع اسمه «أوشن ستريت» Oceean street أو شارع المحيط ...

❁ ❁ ❁

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ظهرا حين غادرت مبنى القنصلية إلى شارع «بت ستريت» Pitt street فى وسط مدينة سيدنى City centre .

لقد أحببت هذه المنطقة لكثرة المكتبات الموجودة فى هذا الحى ... ثم لقربها من البنك الذى كان يحول إلية راتبى كل شهر ...! وبعد تناولى الغذاء فى مطعم شهير هناك اسمه ماكدونالد Makdonald تحولت إلى مقهى صغير لتناول الشاى والاسترخاء بعض الوقت .

ولكن ... من أين يأتى الاسترخاء لإنسان شارد العقل ... غارق إلى أذنيه فى هموم العالم الإسلامى التى لا تبدو لها فى القريب العاجل حل ...! ثم ... لماذا تقف أوروبا من الإسلام هذا الموقف العدائى السافر دون سبب واضح لهذه العداوة وهذه الحرب ...؟ وكيف بقيت مفاهيم القرون الوسطى - حتى يومنا هذا - كامنة فى عقول الساسة والزعماء فى الغرب ؟

لقد لعبت الكنيسة - فى هذه المرحلة - دورا كبيرا فى تحريف الإسلام... وفى الافتئات عليه ... وفى التخويف منه ... وفى الدعوة إلى القضاء عليه .

لم تكن أوروبا عشر معشار ما هى عليه اليوم ... كانت لندن وباريس وغيرهما - من مدن أوروبا - بركا ومستنقعات يعشش فيها المرض والموت ، وكان الناس يعيشون فى بيوت لا ينفذ إليها الهواء أو الضوء ... ولم تكن عقول الناس لتختلف عن واقع هذه الحياة فى أى شىء ...

لم يكن هناك تعليم ... ولا علم ... ولم يكن للعقل من عمل سوى التسليم بما يقرره الكاهن أو القس ... وكانت القذارة مظهرا من مظاهر

التقى والروع ، وقد نصب أحد الرهبان قديسًا لأنه عاش سبعين سنة لم يستحم فيها إلا مرة واحدة فى العمر ...!

وقد بقيت أوروبا - فى هذه الغشاوة والجهل - قرونا طويلة ، ومما زاد الطين بلة ما اقترفته محاكم التفتيش من جرائم ومآسى لم تسمع بها البشرية فى أحلك عصورها ظلاما . وظلما ... وهمجية ...

وجاء عصر النهضة .. وكان عصرا تحرر فيه الضمير والعقل من قيود الكنيسة وسيطرتها الباغية الطاغية ... وكان بزوغ فجر هذا العصر إيذانا بغروب شمس الكنيسة وانهيار مكانتها لدى الخاصة والعامة .

كانت حركة «مارتن لوثر» ووثيقته الشهيرة التى علقها على أبواب كنيسة «وتنبرج» ١٥١٧ ميلادية أول معول يسقط فوق رأس هذه المؤسسة الدموية الرهيبة ... وقد ظهر فى هذا العصر كتاب وفلاسفة ومفكرون من أمثال «جوان ستيوارت» و «مونتسكيو» و «جان جاك روسو» و «فولتير» و «أدم سميث» ...

لقد ألف «ستيوارت» فى هذه المرحلة كتابه «الحرية»...

وكتب «أدم سميث» كتاب الخالد عن «ثروة الأمم» .

ونشر «مونتسكيو» كتابه «روح القوانين» التى تحكم سير الجماعات والأمم وكتب «روسو» كتابه «العقد الاجتماعى» الذى يحدد علاقة المحكوم بالحاكم ..

* * *

ثم تتابعت الكتابات والدراسات التى انهالت على رأس الكنيسة وأدانت عهودها الهمجية الظالمة

فقد كتب «رينان» عن المسيح كتابا يثبت فيه أن المسيح لم يكن إلها ... ولا ابن إله ... إنما هو إنسان يمتاز بالخلق السامى وبالروح الكريمة ...

وإذا لم يكن المسيح إلها ... ولا ابن إله ... فقد انهارت المسيحية من أساسها ...

وكتب آخرون يقولون :

لقد أعيانا البحث عن معرفة المسيح . وليس أمامنا إلا أن نقول «أن المسيح كان أسطورة».!

ويعلل الأستاذ «بابيه» أستاذ علم الاجتماع بجامعة السوربون . السبب الرئيسى فى اعتناق الإمبراطور الرومانى «قسطنطين» للمسيحية : أن الإمبراطور لم يجد دينا يحض على التعصب أكثر من المسيحية ، وقد رأى فيها أو فى هذا التعصب ما يساعد على حماية الإمبراطورية من الانحلال والتفكك[١] ...

❁ ❁ ❁

لقد هبت رياح الفكر ... وأبحرت سفن العقل إلى مياه بعيدة عن الغرب... وقد ألقت بعض سفنه مراسيها على شواطئ الإسلام فتعرفت عليه بعيدا عن الكذب ... والتعصب ، وكان من ضمن من تعرف على الإسلام قادة ومفكرون ... من كل طائفة أو مذهب ...

وقد انقسم هؤلاء إلى فريقين :

- فريق أعلن إسلامه فى قوة وشجاعة ...
- وفريق أحب الإسلام ودافع عنه فى صراحة ...

---

(١) أوروبا والإسلام . دكتور عبدالحليم محمود ص٢٤ .

ومن طريف ما يذكر فى هذه المناسبة أن المرحوم الحاج عبد الكريم جرمانوس - المستشرق المجرى المعروف - يروى عن سبب إسلامه هذه القصة :

فى إجازة صيف كان من حظى أن أسافر إلى البوسنة وهى أقرب بلد شرقى إلى بلادنا . وما كدت أنزل فى أحد الفنادق حتى سارعت إلى الخروج لمشاهدة المسلمين فى واقع حياتهم .

كان الوقت ليلا ، فنزلت إلى الشوارع وكانت خافتة الإضاءة ، وسرعان ما وصلت إلى مقهى متواضع يجلس فيه رجلان من أهل البلاد على كرسيين قليلى الارتفاع ويتناولان «الكيف» يرتديان السراويل التقليدية الواسعة ، يمسك بها فى الوسط حزام عريض مدجج بالخنجر ، فكان مظهرهما بما عليهما من لباس غريب ، عليه مسحة من الغليظة والشراسة فدخلت المقهى «قهواخان» بقلب مرتجف وجلست منزويا فى ركن ناء عنهما فى هلع ووجل .

نظر الرجلان نظرة عجيبة مستطلعة ، وعندئذ قفزت إلى مخيلتى جميع قصص سفك الدماء التى قرأتها عن تعصب المسلمين فى الكتب المتحيزة غير المنصفة ، كانا يتهامسان فيما بينهما وكان موضوع همسهم ولا شك هو حضورى غير المتوقع ، وفى أوهام الأطفال أدركنى الهلع ، إنهما ولا شك سيوجهان طعنات خنجرهما إلى صدر هذا الكافر الوافد عليهما وتمنيت لو أننى استطعت الخروج والخلاص من هذا المأزق الرهيب غير أن قواى خانتنى فلم أستطع الحراك ...!

وبعد ثوان قليلة أحضر لى الخادم كأسًا من القهوة يفوح أريجها وأشار إلى الرجلين الرهيبين ، فرنوت إليهما بوجه خائف ، فألقيا على السلام فى رفق مع ابتسامة مودة رقيقة وفى تردد اصطنعت على شفتى المرتجفتين ابتسامة باردة ، فقام هذان العدوان ، كما كنت أتخيلهما وحضرا إلى

منضدتى ، وساورنى شعور عجيب .... ترى هل يريدان طردى وإخراجى؟ ولكنهما ألقيا على السلام للمرة الثانية وجلسا إلى جوارى ، قدم لى أحدهما لفافة تبغ وفى ضوئها الخافت الراقص لمحت أن وراء هذا المظهر الخارجى الرهيب أرواحا طيبة كريمة ، فجمعت أطراف شجاعتى وخاطبتهما فى لغة تركية ركيكة ، ومع ذلك فقد كان حديثى مثل العصا السحرية ، فإذا بى أرى فى محياهما عواطف الصداقة والمودة ، وإذا بى أتلقى منهما دعوة إلى منزليهما بدل ما توقعته منهما من عداء ، وإذا بهما يفيضان على مشاعر العطف ، فيما كنت أحسبهما سينهالان على بأسنان الخناجر .!

وكان هذا أول لقاء لى مع الإسلام ... والمسلمين[1] .

ولسنا بحاجة إلى الحديث عن «تولستوى» أديب وكاتب روسيا الأعظم، لقد كان من هؤلاء سمت نفوسهم إلى درجة لا تكاد نجد لها مثيلا فى التاريخ إلا نادرا ، كانت سعادة الإنسانية همه الملازم فى كل آونة ، كان باستمرار يفكر فى تخفيف ويلات الإنسانية فى معالجة مرضاهم ... فى تسلية بائسهم ، فى إطعام جائعهم ، فى التخفيف عن منكوبهم ، وككل العباقرة صادف فى حياته العقبات والآلام ، وبغض الحاقدين ، وكراهية الذين لا يحبون الحق .

ومن مآثره الكريمة : أنه حينما رأى الحملة الظالمة على الإسلام وعلى رسول الإسلام كتب رأيه فى هذا الدين الذى أعجب به وتحدث عن رسوله الذى نال إكباره ، وكان جزاؤه على ذلك ، أى على كلمة الحق التى يدين بها : أن حرمه البابا من رحمة الله»

يقول «تولستوى»

«لا ريب أن هذا النبى : من كبار رجال المصلحين ، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا ، أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا .

---

(١) لماذا أسلمنا ص٥٨

ويكفيه فخرا : أنه فتح طريق الرقى والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال».

❁ ❁ ❁

كان لهؤلاء الرواد من رجال الفكر ، أبعد الأثر فى تفتح العقول على الحقائق التى ظلت طويلا فى معزل عن البحث ، وعن الدراسة والفهم ، وكان من أثر هذا التحرر وإنعام النظر فى تاريخ الشعوب والأمم ... أن اقتفى أثرهم كثيرون من مختلفى الثقافات ، ومن فلاسفة وعلماء ... رينيه جينو ... أتيين دينيه ... ليوبولد فايس ... وبرنارد شو والجنرال بودلى .... وتوماس أرنولد ....

وكان من أشهر الكتب التى ظهرت بأقلام هؤلاء المفكرين والكتاب .

الشرق والغرب : لرينيه جينو .

أشعة خاصة بنور الإسلام ... لأتيين دينيه .

الإسلام على مفترق الطريق - والطريق إلى مكة ... لليوبولد فايس .

الدعوة إلى الإسلام ... لتوماس أرنولد ...

محمد رسول الله ... للجنرال بودلى .

كما كان لكتابات المستشرقين - بالرغم من مجافاة أكثرها لروح العدل والإنصاف - دور فى تفتح العقول والأذهان على ديانات الشرق وفى مقدمتها الإسلام ...

ولم تكد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٩ تنتهى حتى كان للإسلام فى أوروبا وأميركا مؤمنون وأتباع من مختلف الطبقات ، وقامت المساجد - ولأول مرة - في عواصمها المختلفة ... رغم ما قوبل به قيامها من رفض واحتجاجات ، واستمر الحال على هذا المنوال بين جزر ومد ،

وقبول ورفض حتى قامت الحرب العالمية الثانية[1] ، والتى كانت زلزالا غير مجرى الحياة ، وأشكالها فى كل ناحية .

كانت الحرب العالمية الثانية إعلانا بإفلاس الحضارة الغربية بشقيها فى موسكو ونيويورك ...

وقد فشلت كل العقاقير والأدوية فى إنقاذ هذه الحضارة وقيمها المهترئة... فشلت وعجزت .... والخراب يزحف بقوافله السود على الحياة العامة والخاصة . لم يعد هناك أمل ... فى الغرب كل شىء ينهار ... الفضائح تزكم الأنوف برائحتها الكريهة ... فضائح من كل نوع ... فضائح من كل حجم ، فضائح أخلاقية وسياسية واقتصادية وعسكرية ، لا يمر يوم أو ساعة دون أن تسمع بفضيحة جديدة تهز أركان المجتمع من أساسه وتلطخ بالسواد وجهه وقيمه .

وفى الشرق ... الشرق الشيوعى .... لقد أصبح هو ونظرياته خرافة... وهما من الأوهام التى نسج عليها العنكبوت خيوطه ... الفردوس المفقود أو المنشود - صار جحيما ... كل شىء فيه أحمر بلون الدم والغدر - والجريمة والجوع والفقر - والتخلف والحرمان والضياع والفظاظة والقسوة والخوف والرعب والموت .

أين هى سعادة البرولتياريا ؟ أين الرخاء الذى يشربه الحاخام ماركس ... والحبر لينين ؟ ، وأين هى وحدة الطبقة العاملة ؟ فى الصين ؟ إن قواتها لا تخاف إلا من هجوم مفاجئ من الرفيق على الجانب الآخر ؟ فى موسكو ؟ إنها تستعد لمعركة كبرى مع الرفيقة بكين ؟ وأقوى الفرق الروسية تحتشد على الحدود الروسية الصينية فقط ؟ فى المجر ؟ لقد استحالت بودابست إلى مقبرة على أيدى الرفقاء ، وفاض نهر الدانوب بدموع اليتامى والدماء ... فى

---

(١) ١٩٣٩ - ١٩٤٥ .

تشيكوسلوفاكيا ؟ لقد ماتت البسمة ... ومات الأمل فى شوارع براج بالقذائف والصواعق المواجهة من الميدان الأحمر .

كل شىء ينهار ... يتآكل .... ويسقط يتحطم .

وقد صور الكاتب الإنجليزى «جورج أورويل» واقع هذه الحياة والحضارة فى روايته التى أطلق عليها اسم «عام ١٩٨٤» والتى صادفت رواجا عالميا بسبب ما جاء فيها من حقائق مرعبة عن الواقع الأوروبى فى هذه المرحلة ...

لقد مر أورويل فى حياته بتجربتين تنقل فيهما من الرأسمالية إلى الشيوعية... ولكنه اكتشف فى تجربته الثانية أن الشيوعية ألعن كثيرا من الرأسمالية ، لأنه إذا كانت الرأسمالية لا تخفى مساوئها فإن الشيوعية ترتكب أفظع الجرائم ضد الإنسان وحريته ولكن فى الوقت الذى ترفع فيه لافتات بالعدالة والديمقراطية والمساواة .

ولقد عكس أورويل أفكاره فى النطاقين الرأسمالى والشيوعى فى رواية أطلق عليها اسم «مزرعة الحيوانات» وهى مزرعة يمثل فيها «مستر جونز» الرأسمالية المستغلة فالخنازير فى المزرعة ومعها باقى الماشية والطيور هى التى تعمل وتحرث الأرض وتنتج اللبن والبيض وفى النهاية يقوم مستر جونز بذبحها وأكلها ... ويقرر أحد الخنازير أن يقضى على هذا الظلم الذى يتعرض له هو وأخواته الحيوانات وإدارة المزرعة جماعيا ونشر العدل والمساواة ... وبالفعل تنجح الحيوانات فى القيام بثورة تستولى فيها على المزرعة وطرد الرأسمالى المستغل ... ولكن الخنزير الذى قاد الانقلاب بدلا من أن ينشر العدل والمساواة بين جميع الحيوانات يحتكر هو وزملاؤه الخنازير السلطة أولا ، ثم الامتيازات ثانيا ... ثم يصبح الخنزير القائد هو المفكر والوصى على فكر جميع الحيوانات ....؟!

وهكذا أصبحت الخنازير فى النهاية هى «مستر جونز» ولكن بصورة أسوأ لأنها تمارس استغلالها وهى تتحدث عن الحرية والديموقراطية وسيادة القانون بينما هى فوق المساءلة وأبعد الجميع عن تنفيذ القانون والديموقراطية...

* * *

ومن شقوة الإنسان فى هذا العصر كما يقول الدكتور «الكسى كاريل» فى كتابه «الإنسان ذلك المجهول» : أن علماء النفس يبذلون كل ما يمكنهم من الجهود فى الكشف عن أمراض نفسية وعصبية جديدة ، ولكنهم فى الوقت نفسه يهملون البحث فى الوصول إلى علاج لهذه العلل ، وقد دمر هذا التناقض الإنسانية تدميرا ... فالأجسام تحت الملابس البراقة أحوج ما تكون إلى الهدوء والسكينة ، والأبنية الفخمة تسكنها قلوب محطمة ، والمدن المتلألئة ببريق الحضارة مصابة بالدسائس والكراهية .

ولكن كيف حدث ذلك ؟

يجيب «ول ديورانت» الكاتب الأمريكى المتفلسف على هذا السؤال قائلا :

«... لأن ثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنا خطرة ... لأننا أغنياء فى الآلات فقراء فى الروح ، وقد ذهب اتزان العقل الذى نشأ ذات يوم من حرارة الإيمان الدينى ، وانتزع منا العلم الأسس السامية لأخلاقياتنا ... إننا نطوف بسرعة مذهلة حول الأرض ، ولكننا لا نعرف أين نذهب ، إننا نهلك أنفسنا بمعرفتنا التى أسكرتنا بخمر القوة . ولن ننجو منها بغير الحكمة".



وفجأة سمعت رجلا يطالبنى بالتأهب للذهاب إلى المسجد !! والتفت للتعرف على صاحب هذا الصوت الذى يذكرنى بالموعد ...!!

إنه المستر جراهام Graham والسيدة كارولين Carolyne .

لقد شكرتهما على هذه المبادرة الطيبة ثم اتجهنا جميعا إلى مدخل المحطة . وركبنا القطار لنصل إلى المسجد قبيل الساعة الثالثة ... لم يكن ممكنا استئناف الحوار قبل صلاة العصر ... فأتيحت لنا فرصة للتعرف على بعض الأسماء الجديدة التى حضرت خصيصا لمتابعة المعركة قبل أن تسكت المدافع ويتوقف القصف ...!!

وهنا وقف شاب ليقدم نفسه :

اسمى ألفريد Alfred.

ووقف شاب آخر اسمه رالف Ralph.

وجاء شاب ثالث يقول إن اسمه فرانك Frank.

ووقفت آنسة قدمت نفسها باسم دوريس Doris.

وقامت آنسة أخرى اسمها جودى Judy .

لقد جاء «المدد» لموازرة الكتيبة المحاصرة فى خندق الحق ....!! ورأيت الآنسة فيكى Viki تتحرك كالقائد يخطط لبدء الهجوم وإعلان الحرب !!

وجاء السؤال الأول من السيدة نانسى هارولد Nancy Harold .

إننى كما تعرف امرأة ... والنساء - عادة - أكثر حدة وعاطفة ... إن ما سمعناه فى جلستى الحوار السابقتين لا يمكن تفسيره بأية لغة !!

وبصدق وصراحة ... فإن ما سمعناه عن الإسلام هنا نسمعه لأول مرة ولا نشك فيما قتله ... حتى فى كلمة ! إننا مدينون لك بالكثير من المعرفة... لقد رفعت عن عيوننا غشاوة كثيفة ... وأنها لمأساة وكارثة أن تشوه صورة الإسلام على هذا النحو الذى نراه ونسمعه فى حياتنا العامة ...

ولكن .... ألا ترى أن هذه المرحلة قد مضت ... وأن تلك أمة قد خلت . ومن الخير أن تتطلع البشرية إلى علاقات أفضل مما كانت عليه فيما سبق ...!!!

❁ ❁ ❁

شكرا للسيدة نانسى ....

إن ما تقولينه لا يزال أملا يحلـم بـه أصحـاب القلـوب الطيبـة ... فليـس هناك أجمل من السلام والمحبة ، والصفح والمغفرة ...

إننى - مثل - قد علمت بزواجـك مـن رجـل كـان طيـارا فـى سـلاح الطيران الملكى .R.A.F وأن الزوج كان ممن قصفوا مدنا مصرية إبان العدوان الثلاثى !!! إننى لا أحمل لزوجك هذا أدنى درجـة مـن الضغينـة !!... ولمـاذا أكرهه ... وقد كان ضحية لسياسة رجل فقد عقله ... ليس مـن المعقـول أن أحمل زوجك جريمة المستر «إيدن» !! إن الضابط والجنود هم ضحايا من نوع آخر ...!

وكم أتمنى أن تكون النوايا الطيبة هى الأصل فى التعامل بين الأفراد وبين الدول ولكن الواقع أيتها السيدة ... شىء يختلف تماما عما نفكر فيه ونحلم...

لقد انتهت الحروب الصليبية ... نعـم ... ! ولكنهـا انتقلـت إلى مرحلـة أخرى طبقا لتطورات الأحداث فى هذا العالم ...

لقد بدأ الزحف على العالم الإسـلامى ... بـدأ هـذا الزحـف منـذ اليـوم الأول لآخر هزيمة لحقت بالحملة الصليبية ، وكان من أهم ما اعتمد عليـه فـى هذا الزحف مؤامرات «التنصير» ضد العالم الإسلامى .

هل تريدين دليلا أيتها السيدة نانسى ... ؟

لندع التاريخ يتكلم ... والتاريخ كما تعلمين أفضل معلم ...!!

يقول المؤرخ جرانفيل الـذى رافـق الملـك لويـس التاسـع ... «إن خلوتـه فـى معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق فى السياسة التـى كـان أجـدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين ، وقد انتهـى بـه التفكـير تلـك الآراء والمآخذ التـى أفضى بها لأعوانه المخلصين أثناء رحلته إلى عكا مقلعا إليها من دمياط »[1] .

---

(١) من الحروب الصليبية إلى حرب السويس «محمد على الغتيت»

وانتهى تفكير الملك لويس التاسع إلى أن النعرة الدينية فى الغرب لم تعد كافية لإثارة الحروب ضد الإسلام والتغلب على المسلمين . فالحروب الصليبية أنهكت قوى الغرب البشرية والمالية ، وأن قوى الصليبيين فى الشرق أخذت فى الانهيار ومات فى قلب الصليبى ذلك الحافز الروحى الذى يحفزه على خوض الحروب الصليبية مات ذلك الحافز وتبدل بحوافز مادية لا تتصل بالروح ، وإنما تتصل بالغنائم والأسلاب التى أصبح الأمل فيها هو الباعث الوحيد فى اشتراك الصليبى فى تلك الحملات .

ويوحى من هذا الغرض الزاخر بالعبر والأحداث والتجارب التى كانت تطوف برأس الملك فى سجنه بالمنصورة ، رأى أن القضاء على الإسلام أو على الأقل - وقف توسعه عند حد - هو هدف حيوى بالنسبة لفرنسا وأوروبا وتساءل : هل فى وسع المسيحية أن تواصل وحدها الاضطلاع بمحاربة الإسلام ؟

وفى ضوء تجاربه كان جوابه هو أنه لم يعد فى وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام ، وأن هذا العبء لا بد أن تقوم به أوروبا كلها لتضيق الخناق على الإسلام وتقضى عليه ، ويتم لها التخلص من الحائل الذى يحول دون تملكها لآسيا وإفريقيا[1] .

يقول المؤرخ رينيه جروسيه «إن الملك لويس التاسع كان بذلك فى مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا للغرب الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وإفريقيا بأسرهما .

وهكذا رسم لويس التاسع التخطيط المبدئى للسياسة التى رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام والنيل من قوته ... وكان من بينها :

- تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سليمة تستهدف الغرض نفسه ، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذى

---

(١) نفس المصدر : وانظر كتابنا «أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية» .

يستخدم فى المعركة وتجنيد المبشرين الغربيين فى هذه المعركة السليمة ، لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا ، واعتبار هؤلاء المبشرين فى تلك المعارك جنودا للغرب .

- العمل على استخدام من يمكن إغراؤهم من مسيحى الشرق فى تنفيذ سياسة الغرب . (الكنائس الوطنية).
- العمل على إنشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق الإسلامى يتخذها الغرب نقطة ارتكاز ومركزا لقواته الحربية ولدعوته السياسية والدينية ، منها يمكن حصار الإسلام والوثوب عليه كلما أتيحت الفرصة لمهاجمته . وقد عين لويس التاسع لإنشاء هذه القاعدة ، الأراضى الممتدة على ساحل البحر المتوسط من غزة حتى الإسكندرية وتشمل فلسطين والأردن والبلاد المقدسة ثم لبنان بأسرها وجزاء من سوريا .

يقول مفكر إسلامى اسمه مالك بن نبى[1] :

«.... إن أوروبا التى جعلت نفسها المشرف الوحيد على الجنس البشرى لم تعترف منذ كانت مدينتها لا تزال فى المهد ، ترضع اللبن العربى بأية مدينة إسلامية».

وكما يقول : جوستاف لوبون معللا السبب الذى يدفع علماء أوروبا إلى إنكار هذا الجميل - برغم أنهم يجب أن يتعدوا عن التعصب - يقول :

الواقع أن استقلال الرأى ظاهرى أكثر منه حقيقى ، وذلك لأننا لسنا أحرارا قط فى تفكيرنا حول بعض المعلومات . فقد استمر التعصب الذى ورثناه ضد الإسلام وزعمائه خلال قرون عديدة حتى أصبح جزءا من تركيبنا العضوى[2] .



---

(١) من كبار المفكرين المسلمين فى الجزائر وقد تثقف ثقافة فرنسية ، وتوفى عام ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م بعد أن اختير عضوًا فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ومن أهم كتبه «الظاهرة القرآنية» .

(٢) مستقبل الإسلام مالك بن نبى ص٢٩ ط بيروت .

ونحن لا نستطيع أن نفصل بين الاستشـراق والتبشـير مهمـة الاستشـراق تسميم وإفساد عقول المثقفين بإبعادهم عن الإسلام ، ومهمة المبشرين تسـميم وإفساد عقول العامة بكافة وسـائل الجـذب والإغـراء ، وكلاهمـا يمشـى فـى ركـاب الاسـتعمار ، يمهـد لاسـتيراده ويمكــن لبقائــه ، وقــد نشـأ أســاتذة الاستشراق والتبشير فى محاضن أقسام الدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية والأمريكية .

فقد أنشئ أول كرسى للغة العربيـة فـى جامعـة «كمـبردج» فـى أوائـل القرن السابع عشر وذكر فى المراجع الأكاديميـة فـى الجامعـة فـى تـبرير إقامـة ذكر «الكرسى» : «إن من جملة أهدافه تمجيـد ا لله بتوسـيع حـدود الكنيسـة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين الذين يعيشون فى الظلمات» .

وكانت أولى محاولات أول من جلس على ذلك الكرسى إعداد مشـروع لتفنيـد القـرآن كمـا ذكـر «Arbary»[1] فـى دراسـته : «القسـم العربـى فـى كيمـبردج» وتم إنشـاء معهـد الدراسـات الشـرقية فـى «أكسـفورد» ثـم فـى «هارفارد وبرستون» وغيرها بأسلوب مماثل ولغاية مشابهة .

فمنذ البداية كان هناك تماثل فى القصـد وتمـازج بـين المستشـرق الأكـاديمى والمبشر الإنجيلى ، فى إفساد الدراسات الشرقية الإسلامية ، وكان يتولى التدريـس فـى تلـك المعـاهد بـاحثون ينتظمـون فـى سـلك الكهنـوت : The holy order وخلفهم من بعدهم دهاقنة اليهود .

وحينما أسست الجامعة الأمريكيـة فـى بـيروت كـانت تسـمى : الكليـة السورية الإنجيلية ، وأعلن مجلس أمنائها : إن من أولى غايات الكليـة أن تعلـم الحقائق الكبرى التى فى التوراة ، وأن تكـون مركـزا للنـور المسـيحى والتأثـير المسيحى .

---

(١) سمعت أثناء زيارتى إلى لندن ١٩٨٥ أن هذا المستشرق قد أسلم قبل موته ، وقد قابلته فى كيمـبردج عـام ١٩٦٨

ولذا نجد أن معظم الإيديولوجيات الوافدة التى تناهض الإسلام وتدعو إلى العلمانية والإلحاد تحت ستار الليبرالية وحرية الفكر قد نشأت فى ردهات تلك الجامعات وأخواتها .... وجاءنا البلاء المنكر حينما تولى خريجو تلك الجامعات المراكز القيادية فى العالم العربى بعد أن سلخ معظمهم - إلا من عصم ربك - سلخا كاملا عن تراثه وحضارته ودينه .

إن نشر الدين المسيحي لدى معظم الهيئات التبشيرية التى غزت وتغزو بلادنا هو أمر ثانوى ، وغطاء - فقط - لعملهم الإجرامى .

وللتدليل على ذلك نضرب مثلا واحدا هو ما ذكره الدكتور حسين مؤنس فى مقال له بمجلة المصور المصرية الصادر بتاريخ ١٩٧٣/٥/٣٠ قال : «فى يوم من أيام الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٩ ، واشتراك المسلمين والأقباط فى جبهة وطنية متماسكة كشأنهم فى تاريخ مصر على الدوام ، تسلل المبشر الأمريكى «زويمر» إلى الأزهر فى زى طلبة العلم واندس فى حلقات الدروس .

«وكان زويمر هذا صعلوكا ينسب نفسه إلى الدين والعلم وهو فى الحقيقة جاسوس خبيث تنفق عليه جماعة دينية فى ولاية «كونيكتكات» وكان يحتمى بالسفارة الأمريكية ويكتب مقالات فى مجلة تدعى «العالم الإسلامى» ما زالت تصدر إلى الآن فى مدينة «هارنفورد» بالولاية المذكورة، يطعن فى الإسلام دون حياء أو خجل» .

«اندس زويمر بين الطلاب ، ثم دخل فى حديث مع طالب ، وتناول كتبه ينظر فيها ، ثم أعادها إليه بعد أن دس بينها رسائل من تأليفه فى الطعن على الإسلام طبعها فى مطبعة إحدى الجمعيات القبطية ، وكان غرضه من ذلك أن تقوم الفتنة بين الأقباط والمسلمين . ولكن هذه الدسيسة الخبيثة لم يلبث أمرها أن انكشف ، ونشرت الصحف مقالات لنفر من علماء الأزهر يستنكرون فيها عمل هذا المبشر الخسيس ، ونشرت «البلاغ» مقالا

عنيفا لكاتب قبطى هو «كليم أبو سيف» بعنوان «المبشرون» قال فـى بعـض فقراته:

«عجيب أمر هؤلاء المبشرين ، فهم ، رغم أننى أستطيع أن أقسـم بـأنهم لا دين لهم ، ما يزالون يرتكبون باسم الديـن كـل المنكـرات والمحرمـات التـى نهاهم عنها الدين ، وهم ما يزالون يتمـادون فـى صفـاقتهم وتحديهـم لشـعور المصريين بتلك الأعمال تماديا ، وما أظن أناسا رزقوا شيئا من الحياء أو الأدب يستطيعون إتيانه وتحمل مسؤوليته».

«أنتم أيها المبشرون لا أكثر من جواسيس للاستعمار أتيتم إلى هذه البلاد لا لنشر فضيلة دين معين ، بل لا تباع سياسة شريرة موحى بهـا مـن جهـات معينة ،و من نتائج هذه السياسة وقـوع الخـلاف بـين المصريـين أبنـاء الأسـرة الواحدة» .

«إذن أنتم لستم مبشرين تستحثون الناس على التحلى بالفضيلـة ، وإنما أنتم مجرمون ، تتخذون الدين ذريعة لارتكاب المنكرات وأنتم تعلمون».

إنهم مجرمون حقا ، ولو كانوا شـرفاء لبشـروا بالفضـائل الأخلاقيـة فـى مجتمعاتهم الغربية التى لا تؤمن بدين[1] !!...

السيد فوكس Fox :

– إنك تجعل تاريخنا سجلا من السواد والجرائم !!

❁ ❁ ❁

– نعم ... ولكن ليس فـى كـل شـىء أيهـا السـيد فوكـس !! فالسـواد والشر ، أو البياض والخير ... صفات لحقائق مجردة ... والحقائق المجردة يحكم عليها من خلال الواقع والمشاهدة ...

(١) الله ... أو ... الدمار – تأليف الأستاذ سعد جمعه رئيس وزراء الأردن السابق .

ولنضرب لذلك مثلا بالحرب الدائرة فى لبنان ... إن وسائل الإعلام الغربية تعالج مأساة هذه الحرب من زاوية خاصة . بعيدا عن الحقائق التاريخية التى هى الفيصل والمرجع فى هذه القضية .

وقد خرجت مجلة «دير شبيجل» الألمانية عن هذا الخط فى محاولة لتسليط الضوء على جذور هذه المشكلة ، والتى تتصل اتصالا مباشرا بموضوع هذا «الحوار» فى مرحلته الحاسمة .

يقول محرر مجلة «درشبيجل»[١]:

لو استطلعنا الواقع اللبنانى واقتربنا من دور المسيحيين اللبنانيين ودوافعهم فى الحرب الأهلية التى تدور رحاها الآن على أرض لبنان ، وعدنا إلى الوراء قليلا لوجدناهم حاربوا إلى جانب الجنود الصليبيين ضد جيرانهم المسلمين .

ولكن أثناء الاستعمار الفرنسى بعد الحرب العالمية الأولى ، تصاعد نجمهم حتى صاروا من الطبقة الحاكمة فى البلاد والآن يريدون أن يدافعوا عن سلطانهم بكل الوسائل الممكنة ... إن أطفالهم يرددون وهم يشيرون إلى مئذنة مسجد قرية «لاسا» : (أنهم هناك لديهم مدافع ، ولكننا لن نرحمهم إذا فكروا فى إطلاق النار علينا ... فالسلطة والقوة هنا ..) ... وهنا ... تعنى عندهم قرية قرطبا التى تقع على ارتفاع ١٢٠٠م فوق جبال لبنان ، وتبعد عن بيروت حوالى ساعتين بالسيارة ، وعدد سكانها فى الأوقات العادية حوالى آلف نسمة ... ويزيد عددهم إلى أكثر من ألفين فى العطلات الصيفية حيث يهاجر بعضهم إلى المدن الدافئة شتاءا ويعودون إليها صيفا مع أطفالهم ولكن الآن من خلال ظروف هذه الحرب الأهلية الطاحنة وصل عدد سكانها إلى ما بين أربعة آلاف أو خمسة آلاف نسمة ، لأن عددا كثيرا منهم قد هاجر من بيروت وطرابلس ولجأ إلى القرية . فجميع سكان قرطبا حيث ترتفع تسع كنائس للمارونيين أكبر الفئات المسيحية اللبنانية نفوذا ....

---

(١) سنة ١٩٧٩

وهؤلاء اللاجئون ليسوا من الفقراء . إذ أنهم منذ أن أقفرت شوارع الحمراء من روادها اكتظت شوارع قرطبا بسياراتهم الفخمة يجوبون الشوارع سيارة تلو الأخرى وبجوارهم الفتيات الجميلات المتحليات بأغلى الجواهر والرافلات بأحدث الموديلات .

والشباب قليل فى هذه القرية ... فمعظمهم الآن يحارب مع الميليشيا المسيحية فى بيروت ، والبعض الآخر يتلقى التدريبات فى الجبال استعدادا للانضمام لصفوف ميليشيا الكتائب ، ذلك الحزب الذى تأسس سنة ١٩٣٦ على النمط الأسبانى .

ومما يلفت النظر ... منظر فتاتين بملابسهما الخضراء الداكنة «اللون المميز للكتائب» تجوبان شوارع القرية فى سيارتى (جيب) جديدتين لا تحملان أرقاما وتتنقلان من بيت إلى بيت تجمعان التبرعات لمحاربى الكتائب .

والجميع يعطى بسخاء ... فواكه ... بيضا ... بصلا .... لحوما... وأيضا الكثير من النقود . وعلى الرغم من كل ذلك تصرخ الفتاتان فيهم : أنكم بخلاء ...

ومن عادات سكان الجبال عندما يبلغ أطفالهم تلك السن التى تخول لهم تناول العشاء (سن العاشرة) تهدى إليهم المدافع الرشاشة بدلا من لعب الأطفال - والزهور ... وهؤلاء الأطفال بدورهم يطالبون بإلحاح بالاشتراك فى الحرب الأهلية ولكى بيير الجميل[1] يعدهم قائلا : «انتظروا فسوف نستدعيكم عندما نحتاج إليكم".

وهذا قد يحدث قريبا لأن تلك الحرب الأهلية التى اندلعت نيرانها يتضاعف ضحاياها بسرعة مذهلة ، ففى خلال ستة شهور سقط حوالى ستة آلاف قتيل وثمانية عشر ألف جريح ... ولو دققنا النظر فى العدد الهائل من القتلى والجرحى بالنسبة لعدد سكان لبنان البالغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة

---

(١) مؤسس حزب الكتائب وقد توفى أخيراً

لكانت نسبة عدد القتلى والجرحى فى هذه الشهور الستة تفوق أضعاف ما فقدته أمريكا بالنسبة لعدد سكانها طوال سنوات الحرب فى فيتنام ... إن حياة الكلب فى لبنان أكثر قيمة من حياة الإنسان لأن الكلب يستطيع أن يجوب شوارع بيروت دون أن يصاب بالرصاص . إما الإنسان فلا يستطيع ذلك[1] ...!

وفى غمرة الحرب الطاحنة يحطم اللبنانيون مقومات حياتهم ... المحلات التجارية ... الأسواق ... البنوك .... المصانع .... الفنادق .... وسائل النقل، وقد بلغت الخسائر حتى الآن ستة مليارات ليرة . إن هذا الشعب ينتحر !! ... وكل ما يستطيع الحكومة عمله هو حصر الجثث والضحايا ... ومعظم الضحايا من المسلمين !! ... الطبقة المغلوبة على أمرها فى لبنان إذ أن الميليشيا المسيحية أحسن تنظيما وتدريبا وقوة ، ولكن المستقبل للمسلمين لأنهم مرتبطون بلا شك بالعالم العربى حولهم ، وهذا ما يعلمه المسيحيون ، ولذا فهم يتذكرون دائما البيض فى جنوب إفريقيا فبرغم أقليتهم ، فهم الطبقة الحاكمة والمسيطرة فى البلاد ، وكما حدث فى إفريقيا فيبدو أن التطور التاريخى سوف ينتصر فى النهاية ....

وقد اتهم المطران «غريغوار حداد» مطران بيروت الطائفة الكاثوليكية إخوانه فى الدين المارونيين بأن لديهم عقدة القتل بالجملة ... وعقدة القتل بالجملة هذه لها أسبابها ... فقد جمع مسيحيو لبنان أنفسهم ما بين القرن الخامس والسابع الميلادى فى مكان المعروف الآن بلبنان ، وأثناء التوسع الإسلامى انسحبوا إلى جبال لبنان وحافظوا على شخصيتهم وأطلقوا على أنفسهم لقب المارونيين نسبة إلى القديس «مارون» «ولكن الجبل أصبح سجنا كبيرا لهم ، وفى أثناء الحروب الصليبية انضموا إلى صفوف الجيوش الصليبية وحاربوا معهم ضد جيرانهم المسلمين وقدموا للغزاة شتى أنواع

---

(١) لقد تجاوز القتلى فى لبنان المائة ألف

المعونة ، ومكافأة على خدماتهم أعلن القديس «لودفيج» الفرنسى حمايته لهم ١٢٥٠م أعطاهم نفس حقوق أتباعه».

❁ ❁ ❁

وقد تغير حال المسيحيين بعد الحرب العالمية الأولى عندما هزم الفرنسيون الأتراك وحلوا محلهم فى إدارة لبنان . إذ أنهم رأوا المسيحيين إخوانا لهم فى الدين وعونا لهم فى الحرب ضد القومية العربية . وأصبح المسلمون هم الذين يتضورون جوعا فى شوارع طرابلس ، وصارت تفرض ضرائب باهظة على المدن الإسلامية ... فى حين شيدت مدارس الإرساليات فى «زغرتا» وأصبح معظم أفراد الجيش اللبنانى من المسيحيين ، وقد استغل المسيحيون هذه الظروف وصاروا يرسلون أولادهم إلى المدارس العليا فى أوروبا والغرب وأصبح لهم اتصالات بالدول الصناعية الغربية المتقدمة وصار لهم متاجر ومحلات عديدة وسبقوا مواطنيهم المسلمين فى التعليم وطريقة الإنتاج ، وارتفع مستوى حياتهم كثيرا ، والآن وبعد بضع عشرات من السنين صارت المعادلة السارية المفعول هى :

مسيحى + تعليم = رخاء ...

مسلم + جهل = فقر ....

لقد أظهر الميثاق الوطنى سنة ١٩٤٣ والذى تم بين المجموعات المختلفة ما لتلك المجموعات من سلطان وقوة ... فالمسيحيون الذين كانوا يتمتعون بأغلبية طفيفة فى ذلك الوقت أسند إليهم رئيس الدولة وقائد الجيش وصار لهم ٥٤ مقعدا فى البرلمان من أصل ٩٩ مقعدا وأصبح لبنان هو البلد العربى الوحيد الذى ليس الإسلام فيه دين الدولة الرسمى .

ولقد عبر الشاعر المسيحى «سعيد عقل» عن هذا بقوله : «إن لبنان هو قلعة أوروبا فى آسيا .. والواحة الغربية وسط الصحراء الشرقية والأفريقية»..

وبينما كانت أنظار مسيحى لبنان موجهة ناحية الغرب ، وكانوا يحلمون بحرب صليبية أخرى

كانت أنظار المسلمين متجهة نحو الشرق وكان مثلهم الأعلى هم أبطال العرب المسلمين .

إن لبنان يجرى تقسيمه اليوم إلى أقسام للمسلمين وأخرى للمسيحيين والبعض يحلم بنظام المقاطعات كما فى سويسرا . أما أعداء فكرة التقسيم فإنهم يهددون كل من يحاول تقسيم البلاد بالموت «الموت لكل من يريد تجزئة بلادنا» .. ولقد أخذت الطبقة المسيطرة المسيحية مواقع دفاعية .. وفى نهاية سبتمبر عندما تشكلت لجنة مصالحة من جميع الأحزاب واجتمعت هذه اللجنة صمتت الأسلحة فى بيروت وفى أحياء المسلمين ترك المسلحون أماكنهم خلف الحواجز وتدفق الناس من مساكنهم وفجأة أقيم السوق واكتظ بالناس .. أما فى الإشرافية فلم يترك المسيحيون أماكنهم خلف التحصينات وأخذ ينظر الكتائبيون إلى كل حركة تحدث فى قطاع المسلمين بنظرة من الشك والريبة متخيلين أنها فخ نصب لهم . وعندما اتجهت لجنة المصالحة إلى أحد الأحياء انهمر الرصاص على أفرادها من كل صوب وسقط أحد أعضائها قتيلا . وفى إحدى القرى المارونية فى الجبال سأل أحد الفلاحين زواره من الأوروبيين «إذا أطبق المسلمون على رقابنا فهل ستمدون إلينا يد العون والمساعدة كما قدمناها لكم أيام الحروب الصليبية ؟ »!!



لقد كتب جوردن جاسكيل - فى مجلة «ريدرردايجست» تحت عنوان «لبنان واحة الشرق الأوسط» - يقول «يقول المثل ألق حجرا على أى حشد لبنانى وستكون واثقا من أنك ستصيب أسقفا واحدا على الأقل "

إن بيروت تزخر بالأساقفة ، وبها اثنان من الكرادلة الكاثوليك ، وهى المدينة الوحيدة التى جمع مثل هذا العدد فيما عدا روما . وذلك فضلا عن جيش ضخم من البطاركة والكهنة والأرشمندريت

و لم كل هذه المحاولة .. ؟ من أجل تنصير لبنان وإنشاء وطن قومى مسيحى يكمل الوطن القومى اليهودى فى فلسطين .

فإذا لم ينجح هذا الأسلوب فليس هناك إلا الذبح والاستئصال للتغلب على المسلمين»[1] .. !!!

لقد اتضح من وثيقة عثر عليها بأحد الأديرة منذ خمسين عاما أن الذى يحدث للمسلمين اليوم جزء من خطة إجرامية تستهدف تصفية الإسلام والمسلمين فى لبنان الشقيقة !!!

وتنفيذ هذه الخطة أولا وبالدرجة الأولى على القوى الخارجية التى تساند القتلة والخونة فى أرجاء العالم الإسلامى والعربى مستغلة ظروف القهر والتخلف التى فرضت على المسلمين نتيجة تخليهم عن مصدر القوة والعزة فى دينهم . وهذه الوثيقة السوداء يتكرر صدورها وظهورها فى أنحاء مختلفة من الوطن العربى بصيغ جديدة – وأسلوب اكثر وضوحا ووقاحة ... !!!

ومهما كانت هذه القوى التى يعتمد عليها الموتورون والخونة فإن مصيرها إلى زوال قريب جدا ... وكما انتهى «المعلم يعقوب» الذى شكل من أبناء «جلدته» كتيبة لضرب الشعب المصرى أثناء ثورته ضد الفرنسيين .. فلسوف تنتهى هذه القوى الشريرة نهاية «المعلم» الذى هلك على ظهر بارجة حربية فرنسية ، ثم ألقى به إلى البحر فى برميل خمر فارغ حتى لا ينجس أرض فرنسا بأدران الخيانة وميكروب العار والكراهية ..

❁ ❁ ❁

هل سمعتم بما وقع فى نيجيريا فى منتصف الستينيات؟

لقد تم إبادة الزعامة الإسلامية فى حركة انقضاض خاطفة قادها «السفاح» «إيرونس» ضد «أبو بكر تافاوا باليوا» و «أحمد وبللو» .

---

[1] انظر كفاح دين : ص٤٣ – الطبعة الأولى للشيخ محمد الغزالى .

أما لماذا ؟ فإليكم هذه القصة :

لقد أعلن أحد المبشرين ، بعد عودته من بريطانيا أنه سيعمل على تنصير شمال نيجيريا كله فى مدى عشر سنوات على الأكثر .. وحين سمع الزعيم المسلم «أحمد وبللو» بهذا النبأ .. أمر بترحيل هذا «الأفعوان» إلى «لاجوس» العاصمة منعا لإثارة القلاقل ، وإثارة الفتنة بين القبائل .

إن هذا العمل الذى قام به «أحمد وبللو» يقوم به أى رجل يحرص على آمن بلده وسلامة وطنه .

ولكن .. لا .. فالأمن خاص لغير المسلمين فقط .. ! أما المسلمون فلا حرمة لأغراضهم ودمائهم قط .. !

ومن ثم .. كان ولا بد من القتل .. وإراقة الدماء التى حرم الله إراقتها بغير حق ..

وهل سمعتم بما حدث فى «زنجبار"؟ لقد أبيد أكثر من عشرين ألف رجل وامرأة فى هذه الجزيرة ؟ وبتخطيط وتدبير من الكنيسة ، وبأسلحة عربية كانت مرسلة فى الأصل إلى ثوار روديسيا وجنوب أفريقيا !!

ولكن المبشر «نيريرى» الذى حكم شعب «تنجانيقا» المسلم قبل أن تدمج فيه زنجبار المسلمة حول هذه الأسلحة إلى المسلمين العزل فى الجزيرة ، واستقدم سفاحا من أوغندا كان متهما فى جريمة سرقة دجاج !! واسمه «جون أوكللو» استقدم نيريرى هذا السفاح لارتكاب جريمة أكبر من سرقة الدجاج والبيض ، وهى السطو على جزيرة زنجبار بتواطو سافر مع ما بقى من ضباط الأمن البريطانيين الذين مهدوا الطريق أمام اللصوص والقتلة ، وإرشادهم إلى مخازن السلاح والذخيرة والقضاء على عشرين ألف مسلم ومسلمة ... !!

وما يحدث فى جنوب السودان ؟ إنهـا صـورة متكررة لأفـاعيل التبشـير التى لم تتوقف ، والتى رسم خطتها الملك الفرنسى الأسير لويس التاسـع .. ، والتى يؤازرها الفاتيكان والغرب بدءا من البابا أوربانوس الثانى إلى البابا جون بول الحالى ... ومن ريتشارد قلب الأسد إلى ريجان ومرجريت تاتشر !!

❁ ❁ ❁

وربما يقول أحدكم :

إن التبشير عمـل إنسـانى محـض ، ونشـاطه ينحصـر فـى أعمـال الإغاثـة والتعليم والطب ، أقول : ربما يقول أحدكم هذا القول ..

ولكن .. متى كان للشعارات البراقة - فى عصرنا الحاضر- أصـل .. أو واقع يؤكد هذه الشعارات بالتطبيق والفعل . إن الأنظمة التـى تصـف نفسـها بالديمقراطية الشعبية هى أبعد النظر عن الديمقراطية والشعب .. !!

ماذا فعلت الشيوعية بروسيا ؟ وكم من الملايين أعدموا فى عهـد سـتالين وبيريا ؟ وما حدث فى براج أو «وارسو» ؟ ومذبحة بودابست . ؟ هل نسـينا ما حدث فى المجر وما حدث فى «ديمقراطيات شعبية» أخرى تحولت - باسم هذه الشعارات - إلى زنازن وسجون يذبح فيها البشر .. !!!

❁ ❁ ❁

والتبشير فى واقعة على نقيض اسمه فى كل شىء .. فإذا كان الاسـتعمار «أفعى» فالتبشـير هـو الـرأس و الـسم .. وإذا كـان الاسـتعمار وحشـا .. فالتبشير هو الناب والظفر .. !! إنها قصة طويلة ومأساة دامية مفزعة ...

إن جرائم «السى . أى . إيه» C. IA والكى . جى . بى» K.G .B تبدو عملا إنسانيا رحيما أمام جرائم التبشير البشعة ... ولـو عـاد المسيح إلى الأرض لسلموه إلى إسرائيل لتعيد محاكمته .. !!

❁ ❁ ❁

فى قصة الأخوة «كرامزوف» التى كتبها «ديستوفيسكى» أن المسيح عاد إلى الأرض وأخذ فى وعظ الشعب وتبشيره بالملكوت فأقبلوا عليه واستمعوا له ، وأوشكوا أن ينفضوا عن الكهنة والقساوسة فخاف هؤلاء على مكانتهن ومنزلتهم بين الشعب ...

فأوعزوا إلى رئيس محكمة التفتيش فاعتقله ، وتوعده بالمحاكمة والحكم عليه لتضليله الشعب والانحراف به عن تعاليم السيد المسيح نفسه .. !!!

أليس هذا هو ما دفع «برتراند رسل» إلى الإلحاد بالمسيحية ؟ .. لقد هاله الواقع المخزى للشعارات المرفوعة على أبراج الكاتدرائيات والكنائس .. فكتب كتابا اسمه «لماذا أنا لست مسيحيا» !!! وقد ختم كتابه بقوله : إن أول وآخر مسيحى قد مات على الصليب قبل تسعة عشر قرنا ... !!!



وفى كتاب آخر ألفه اسمه «لماذا يحارب الناس» ???Why Men Fight.

يقول : إن بريطانيا تحاول رفع مستوى الحياة للشعب البريطانى فى الوقت الذى يموت فيه سكان المستعمرات من الجوع .. أنه عالم رياء وكذب. ونفاق .. حقا .. وكما يقول المسيح فى إحدى مواعظه :

«.. تنظر القذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفطن لها .. وكيف تقول لأخيك : دعنى أخرج القذى من عينيك .. وها هى الخشبة فى عينيك ..

يا مرائى .. !!

أخرج أولا الخشبة من عينيك ، وحينئذ تبصر جيدا .. لتخرج القذى من عين أخيك ؟؟ » .



ومما يثير العجب كما يقول أحـد أئمـة الإسـلام العظـام فـى رسـالته إلى مؤتمر الأديان العالمى الذى عقد فى لندن سنة ١٩٣٦[1]. مما يثير العجب... إن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضا مقاتلـة أسرفوا فيها ، وجعلتهم ضعفـاء أمام عدوهـم المشـترك ، وسـلكوا طرقـا فـى التنـاحر مخالفـة لأبسـط قواعـد المنطـق ، ممـا جعلهـم سـخرية أمـام العلمـاء والفلاسفة ، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج ... فقـد تركـوا التأثير علـى الإنسان من ناحية عقله الذى هو موضـع الشـرف ، وموطـن العـزة والكرامـة واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسـائل ، وركـن بعضهـم إلى القوى المادية للدول ، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بـالإكراه وأن العلـم لا ينال إلا بالدليل ، ونسوا أن العدو جاد فى إنزالهم من مكانهم اللائق بهـم ، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية ، وتغطى على ما بقى فـى النفـوس مـن هيبـة واحترام للنظم الإلهيـة ، وكـان عليهـم بـدل هـذا كلـه أن يتعـاونو علـى درء الخطر، وأن يحاربوا هذه الشـهوات الجامحة ، وهـذه الإباحيـة التـى يئـن منهـا العقلاء ، وهذه العادة المستحكمة التى تجـر الويـلات علـى الآمنـين بـين حـين وآخر وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية ، والنظم ، والحرية .

۞ ۞ ۞

أليس هذا هو الواقع حقا ؟ أليس محو الإسـلام والمسـلمين لا يـزال غايـة وهدفا ؟ ..

۞ ۞ ۞

«ومنذ نشأ القانون الدولى الحديث كان من المقطوع بـه اعتبـار الإسـلام خارج نطاق العلاقات الدولية ، وعدم الاعـتراف بتمتـع الشـعوب الإسـلامية بالحقوق التـى يقررهـا هـذا القـانون ، وعلـى هـذا الأسـاس لم يكـن الفقهـاء الأوروبيون راغبين فى اعتبـار الدولـة العثمانيـة جـزءا مـن الجماعـة الدوليـة .

---

(١) الإمام الأكبر المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى

فـ«جروسيوس» أبو القانون الدولى قال بوجوب عدم معاملة الشعوب غير المسيحية على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية و «جنتيلس» هاجم فرانسوا الأول ملك فرنسا لعقده معاهدة مع السلطان سليم العثمانى فى عام ١٥٣٥م ومع أن هذه المعاهدة أقامت سلاما بين الدولتين مدة حياة الملكين ، ومع أنها أعفت الرعايا الفرنسيين من دفع الجزية التى كانت مقررة على غير المسلمين إذا ما أقاموا فى دار الإسلام ، فقد كانت هذه المعاهدة مرفوضة لأنها مع ملك أمة غير مؤمنة[١] .

«وقد كان القرن التاسع عشر ولا ريب أسوأ من كل القرون التى تقدمته لأنه القرن الذى انبعثت فيه «المسألة الشرقية»[٢] من بقايا الحروب الصليبية .

وكانت المسألة الشرقية تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبية وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركة «الرجل المريض»[٣] وتبادل الأعضاء عن كل طرف متفق عليه يقع فى قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها على قيد الحياة»[٤] ....

إن القلب ليمتلئ رعبا وهو يطالع تفاصيل هذه المؤامرة التى حيكت لتقسيم العالم الإسلامى وابتزازه، والعمل على تدميره وتحطيمه .

وقد ذكر لنا المرحوم شكيب أرسلان مائة مشروع وضعت لتقسيم دولة الخلافة ، وفى هذا الحوار بين القيصر نيقولا إمبراطور روسيا ، والسير

---

(١) انظر فى هذا الموضوع «المجتمعات الدولية الإقليمية» تأليف الدكتور حافظ غانم ، فصل : «العائلة الدولية كانت تستبعد دار الإسلام من حظوتها : وكتاب «كفاح دين» تأليف المفكر الإسلامى الشيخ محمد الغزالى – ص١١٢-١١٣ ، الطبعة الأولى .

(٢) كانت المسألة الشرقية تعنى فى أول الأمر تخليص الممالك المسيحية من أيدى الدولة العثمانية وفى مرحلة ثانية أصبحت تعنى تقسيم الدولة العثمانية والدول الإسلامية التابعة لها بين الدول الأوروبية .

(٣) اصطلاح أطلقته الدول الأوروبية على الإمبراطورية العثمانية فى مرحلتها الأخيرة .

(٤) عباس محمود العقاد .. محمد عبده ص١٠ .

هاملتون سيموز سفير بريطانيا تتضح أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة ، وكيفية التدبير أو التفكير تجاه العالم الإسلامى وتدميره[1] .

«.. ففى ليلة سمر عند الغراندوقة «هيلانة» الروسية - ٩ ينـاير ١٨٥٣م قال الإمبراطور نيقولا للسير هاملتون :

«تأمل ... نحن بين أيدينا رجل مريض .. ومريض جدا ، ويكون بالفعل وبالا عظيما علينا إن خرج أمره من أيدينا .. »:

وفى مرة ثانية دعى السفير هاملتون إلى القيصر فقال له أيضا :

- «أنت لا تجهل المقاصد والمرامى التى لا تزال فى روسيا منذ عهد كاترينا .. وتركيا هى كما قلت لك - من قبل - رجل مريض ، ويجوز أن تموت بالرغم منا فتبقى عبئا علينا ، وليس فى استطاعتنا نشر الموتى» ! ..

- «أفلا يكون من الأفضل بحقنا - تفاديا من حرب أوروبية - أن نتفق من قبل على أمرها حتى لا نؤخذ على غرة ، وإننى أقول لك بصراحة ... إننا استطعنا أنا وإنجلترا أن نتفق فى هذا الموضوع لم يهمنا الآخرون . !

وأنا لا أكتمك أنه إن كان فى نية إنجلترا الاستيلاء على الأستانة فلن أتحمل ذلك لا أقول إن لكم هذه النية ، ولكن أقول إن صحت هذه النية فلن أكون راضيا . وأنا نفسى أتعهد أيضا بأن لا أحتلها مالكا . أما بصورة مؤقتة على سبيل الاستيداع فقد أرضى ...

وأما إذا بقيت الأمور بدون قرار بشأنها فقد يجوز أنى أحتلها قولا واحدا .

فأجاب السير هاملتون : «ليسمح لى جلالتك بالقول أنه ليس عندنا أدنى سبب للظن بأن المريض هو على وشك الهلاك» .

فرد القيصر فى حدة قائلا :

---

(١) حاضر العالم الإسلامى جـ٣ ص٣١٧-٣١٨

«إذا كان عند حكومتك أمل بأن تركيا لا تزال فيها عناصر الحياة فتكون المعلومات التى لديها غير صحيحة وأنا أؤكد لك أن المريض هو فى حالة الاحتضار وأنه لا يجوز أن يموت ونحن عنه غافلون ... بل يجب أن نتفق ... ولست أكلفكم عقد معاهدة .. أو تحرير صك .. وإنما أطلب كلمة اتفاق عام ، وهذا كاف فيما بين الرجال الأكياس» . !!!



لم يحدث فى التاريخ ، وفى أشد عصوره همجية أن تآمر رئيس دولة على دولة مجاورة ، والعمل على تدميرها بهذه الطريقة التى كان يفكر بها قيصر الروسيا ، ولم يحدث فى أظلم عصور التاريخ ، وأشدها همجية ووحشية أن حكم رئيس دولة على دولة أخرى بالموت ، وحدد ساعة موتها بهذه الطريقة ولم يحدث ولن يحدث فى المستقبل كما نظن ، ولكن الأحقاد التى تشعبت جذورها فى العقل الأوروبى وغارت فى أعماق مشاعره وإحساسه هى التى كانت تخطط لهذا العمل الهمجى وتنظيم هذا الهجوم الوحشى .. وتتفق على توزيع التركة قبل التنفيذ العملى ..

وسواء أكان موقف السفير الإنجليزى تعبيرا عن موقف حكومته ... أم لم يكن فإن الواقع ينفى كل اعتبار لحسن النية ، واعتقادنا هو أن بريطانيا لم تشأ أن تشرك روسيا معها فى اقتسام الضحية .

لقد بدأ الهجوم على العالم الإسلامى فى كل أقطاره ، وأحاطت به الجيوش والأساطيل فى عقر داره ، ودمرت بريطانيا ممالك الإسلام فى الهند ، وسيطرت على الخليج واحتلت فى طريقها عدن ، وأبحرت أساطيلها شرقا وغربا فلم تدع جزيرة فى بحر أو مدينة على ساحل .

وانطلقت فرنسا من وراء بريطانيا فاحتلت الجزائر والمغرب وتونس ، وذهبت إيطاليا إلى الصومال وأرتيريا ، وسيطرت هولندا على جزر الهند الشرقية بأكملها..وأحيط بممالك الإسلام وسلطناته فى شرق وغرب أفريقيا

وأخيرا وقعت مصر والسودان فى قبضة بريطانيا .

لقد سقط «الجدار» ومشت سكة الأجنبى فى حقل الإسلام ، وتداعت الأمم على المسلمين . كما تنبأ النبى «صلى الله عليه وسلم» قبل ذلك بأكثر من ألف وأربعمائة عام[١] .

كانت النازلة شديدة ، والكارثة كبيرة ، والمعركة ضد الإسلام والمسلمين ضارية عنيفة ، كانت هذه الأيام والسنوات كما يقول المؤرخ الجبرتى .. أول سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة ، وتوالى المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »[٢] .

كان أول عمل قامت به فرنسا بعد احتلالها الجزائر تحويل مسجد «كيشارو» التاريخى إلى كاتدرائية Cathedral وأصدرت هيئة البريد الفرنسى طابعا تذكاريا يمثل الهلال رمز الإسلام وهو يقع منحدرا إلى قاع البحر على حين يرتفع الصليب رويدا ليغمر بسناه الأفق .

وخطب جلادستون رئيس وزراء بريطانيا مؤكدا : إننا لا نستطيع قهر المسلمين ما بقى فيهم المصحف والكعبة ... والأزهر ... !!!

وأكد ملك أسبانيا أمام البابا «إن أسبانيا قد جندت نفسها لحرب المسلمين فى أفريقيا حربًا لا تنفك عنها حتى تغرس الصليب فى ديار المسلمين وتجعل أتباع محمد يخضعون له قهرا .. !!

---

(١) فى حديث عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أنه قال : «يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها» . الحديث رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل النبوة . (انظر مشكاة المصابيح جـ٢ طبعة المكتب الإسلامى ١٣٨١هـ) .

«الجدار» ما ينصب فى الحقول على شكل إنسان لتخويف الطيور المتلفة للزرع .

(٢) عجائل الآثار - الجبرتى - ط الشعب .

وعندما فتحت قناة السويس : أرسل المهندس ديليسيبس إلى البابا يقول له : الآن أصبح الطريق إلى قلب العالم الإسلامى مفتوحا ... وكانت شركة القناة - قبل التأميم - تخصص فى ميزانيتها خمسة ملايين من الجنيهات لأعمال التبشير فقط سنويا .

وكان لإيطاليا نشيد يردده جنودها فى أثناء الهجوم على طرابلس الغرب فى ليبيا تقطر كلماته سما وحقدا :

صلى يا أماه ولا تبكى .. بل اضحكى وتأملى .. ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمى فى سبيل سحق الأمة الملعونة ولأحارب الديانة الإسلامية .. سأحارب بكل قوتى لمحو القرآن. ليس بأهل للمجد من لم يمت إيطاليا حقا .. يا أماه أنا مسافر .. ألا تعلمين أن الأمواج الزرقاء الصافية من بحرنا ستلقى سفائننا على المراسى .. أنا ذاهب إلى طرابلس لأن رايتنا المثلثة الألوان تدعونى وذلك القطر تحت ظلها .. لا تحزنى يا أماه لأننا فى طريق الحياة .. وإن لم أرجع فلا تبكى على ولدك ولكن اذهبى إلى المقبرة ونسائم الأصيل تحمل إلى طرابلس وداعك الذى يأبى الحداد على قبر فلذة كبدك .. وإذا سألك أحد عن عدم حدادك على فأجيبيه أن مات فى محاربة الإسلام .. !!!

وعندما سقطت مدينة القدس فى يد المارشال اللنبى فى الحرب العالمية الأولى خطب وقال : الآن انتهت الحروب الصليبية .

وفى دمشق : التى سقطت فى يد القوات الفرنسية ذهب القائد الفرنسى «غورو» إلى قبر البطل صلاح الدين قائلا : لقد عدنا مرة ثانية يا صلاح الدين ..

وفى عام ١٩٥٦ فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر كتب المستر إيدن رئيس وزراء بريطانيا إلى الرئيس الأمريكى «إيزنهاور» يستنجد به لإنقاذ

الحضارة المسيحية[١]

ويقول راندولف تشرشل[٢] .

لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم اليهود والمسيحية على السواء .. إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود .

لقد خرجت القدس من أيدى المسلمين ولن تعود ..

فعندما دخلت قوات إسرائيل مدينة القدس عام ١٩٦٧ تجمهر الجنود حول حائط المبكى وأخذوا يهتفون :

هذا يوم بيوم خبير . لقد ولى محمد وراح .. محمد مات بعد أن خلف بنات .. !!!

إن علينا كما يقول بن غوريون ... واجبا مقدسا فى الحيلولة بين الإسلام والحياة ... إنه واجب مقدس فى الغرب المسيحى كما هو واجب مقدس فى إسرائيل وعلينا أن نبذل معا أقصى الجهود فى منع ظهور أى «محمد من جديد» .

❁ ❁ ❁

ويقول : «يوجين روستو» مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق «جونسون» :

---

(١) انظر فى هذا الموضوع .

الغارة على العالم الإسلامى - ترجمة محب الدين الخطيب مساعد الياقى ، وكتاب التبشير والاستعمار تأليف عمر فروخ ، مصطفى الخالدى وكتاب لمذا تأخر المسلمون ؟ للأمير شكيب أرسلان . وكتاب كفاح ديس للشيخ محمد الغزالى وكتاب «حاضر العالم الإسلامى حـ١ ، حـ٢ ، وكتاب التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية للشيخ محمد الغزالى ومذكرات إيدن الطبعة العربية ، وكتاب المبشرون والمستشرقون . محمد البهى . وكتاب «يوم الإسلام» لأحمد أمين

(٢) حرب الأيام الستة ص٢٩ . «الترجمة العربية»

«يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية . لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة ، بصور مختلفة . ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى .

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى، فلسفته ، وعقيدته ، ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامى ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية ، لأنها إن فعلت عكس ذلك فأنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها» إن روستو يحدد أن هدف الاستعمار فى الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية ، وأن قيام إسرائيل ، هو جزء من هذا المخطط ، وأن ذلك ليس إلا استمرارا للحروب الصليبية[١] .

وصرح سالازار رئيس البرتغال السابق فى مؤتمر صحفى قائلا :

إن الخطر الحقيقى على حضارتنا هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم .

فلما سأله أحد الصحفيين : لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم ، أجابه : أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافهم إلينا . ؟ !

❁ ❁ ❁

ومن الظواهر المحيرة ... إن الإعلام الغربى .. بل العالمى .. يقف من الإسلام والمسلمين موقف العداء على طول الخط .

---

(١) معركة المصير - ص٨٧-٩٤ «سعد جمعه»

مثلا : عندما تفكر باكستان فى إنتاج قنبلة نووية .. فإن هذا العالم يشتعل بالغضب .. ولكن أن تملك الهند .. أو الصين .. أو إسرائيل هذه القنبلة فإن هذا الإعلام يصاب بالعمي والصمت ..

وعندما يتصرف عيدي أمين تصرف أي دكتاتور في أفريقيا.. فان القيامة تقوم ضد هذا المسلم الوحش .. !! لكن عندما يقتل القس «ميلتون أوبوتى» ثلاثمائة ألف أوغندى كما نشرت ذلك صحيفة الأوبزرفر Observer فإن هذا الإعلام يصاب بالضغط وهبوط القلب .. !

وعندما يقتل الإمام عبد الله هرون فى سجون جنوب أفريقيا لمناداته بالمساواة والعدل .. فإن وسائل الإعلام تتجاهل هذه الجريمة حتى لا تتيح لمسلم فرصة الظهور كبطل مدافع عن المساواة والعدل ..

أما حين يسجن نلسون مانديلا Nelson Mandela مجرد سجن .. أو حين يلقى الأسقف توتو Tutu مجرد خطاب فى حفل .. فمجلة التايم Time ونيوزويك News Weak وواشنطن بوست Washington Post تهلل كلها لميرابو العصر ، وتقدم إليه جائزة نوبل .. بمزيد من الاعتزاز والفخر !!

وعندما تثور الكنيسة فى بولندا ... ويقف رجال الدين وراء زعيم حركة التضامن ليخ فالنسا ... يسارع هذا الإعلام إلى تمجيد رجال الكنيسة، والتنديد والتهديد لحكومة وارسو التعيسة !!

لكن أن يقف زعيم مسلم يشيد بإسلامه ، أو يكتب مفكر مسلم دفاعا عن دينه أو يتحرك شعب مسلم يطالب بحقوقه .. فالويل كل الويل للتتار الجدد .. !! ، والقتل والشنق للمسلمين الهمج .. !



هل سمعتم بتجارة «الجماجم» البشرية التى تصدر إلى أميركا ... ؟

لقد نشرت الصحف ووكالات الأنباء أن تجارا من أمريكا يستوردون هذه الجماجم من الهند .. وأن هذه الجماجم يتم جمعها وتصديرها بعد قتل أطفال فى مقتبل سنوات العمر .. !

هذا العمل الرهيب .. البشع .. المقزز .. لو قام به مسلم لقامت القيامة، وحكم بالإعدام على المسلمين فى أى مكان من عالمنا ودنيانا ... !!

ولكن الأميركان قوم فوق المسألة ..

والهندوس فى نظر الإعلام الغربى شعب من الملائكة .. !

– السيد ماكفرلين :

لقد تحول هذا الحوار إلى محاكمة ... ولم يعد فى استطاعة أى منا الدفاع حتى بكلمة ...

❁ ❁ ❁

– ولماذا تسميها محاكمة أيها السيد ماكفرلين ؟ لقد جئتم إلى هنا فى مهمة البحث عن الحقيقة .. الحقيقة التى تصبح الحياة بدونها عبثا وسفاهة .. وتعاسة .

لقد سئمت الإنسانية أساليب الخداع التى مارسها النازيون بقيادة «جوبلز» كما سئمت الأكاذيب التى أتقنها ونستون تشرشل وصديقه اللورد «بيفربروك» .. وهل كانت الحرب العالمية الثانية إلا حصادا مرا لهذه الافتراءات التى روجها كلا الطرفين فى هذه الحرب ؟

إن الإنسانية تبحث عن الأمل .. عن مرفأ تلقى فيه بمراسيها على شاطئ الأمان والسلم .. ولن يتوفر لها ذلك . ما بقيت الأكاذيب هى الأسلوب المفضل لدى من بيدهم القرار وإصدار الأمر ...

لقد استبدل قادة العالم كتاب «الأمير» لميكافيللى بكتبهم المقدسة .. والمأساة أن يقع فى شراكهم المؤرخون وقادة الفكر والمعرفة .

لقد هان كل شيء فى هذا العصر .. هانت الفضيلة والشجاعة .. وديس الحق تحت أقدام القوة الغاشمة .. وأصبح الحق والخير تراثا وماضيا ، وخرافة . إنها «الأنا» التى تتحكم فى عقل القائد أو الزعيم والحاكم ... وهذه «الأنا» هى التى حولت العالم إلى غابة .. إلى وحش يغرس - فى الصغير والضعيف - أنيابه .. !!

لقد استقبلتكم هنا كأصدقاء ... لا بل كأخوة لى ... فالإنسانية من وجهة نظرى كمسلم أسرة واحدة ... غير أن الحق ومن وجهة نظرى كمسلم أيضا ... فوق كل شيء .... لأن الحق هو الله ... والله فوق الجميع .

ألم يختلف أرسطو مع أفلاطون ... لقد كانا أكثر من صديقين ، ولكن حين يكون الاختلاف حول الحق .... فالانحياز إلى الحق هو الفضيلة ، وهو الواجب .

والحق يقول :

وإن المسلمين يتعرضون للاستئصال والإبادة منذ بداية القرن الحادى عشر الميلادى وحتى هذا اليوم ..

بعد سقوط «ملقا» فى الملايو .. أو ما يعرف اليوم بماليزيا كتب مفكر برتغالى اسمه «تومى بيرس» إلى الملك إيمانويل يقول له :

"إن البوكرك - القائد البرتغالى - يقاتل ضد محمد !! وإن «محمدا» محاصر ولن تقوم له قائمة بعد اليوم ... بل سيهرب بأسرع ما يمكن".

ويقول «البوكرك» فى خطاب ألقاه بهذه المناسبة :

إذا سقطت «ملقا» فلسوف تنهار القاهرة .. ومن بعدها تنهار مكة !..



إننى لن أتحدث عن هذا «البوكرك» طويلا فلربما يقول أحدكم : ذاك عهد مضى.. وليكن ذلك .. وسأكتفى هنا بثلاثة نماذج من التاريخ المعاصر.

النموذج الأول من فرنسا .

والنموذج الثانى من روسيا .

والنموذج الثالث من الحبشة أو ما يعرف اليوم باسم إثيوبيا ..

وقد تم هذا الاختيار لاعتبارات أيديولوجية هامة ..

فرنسا كمثال للعالم الرأسمالى الغربى ..

وروسيا كمثال للعالم الشيوعى الماركسى ..

والحبشة كمثال للعالم الثالث المتخلف عن ركب الحضارة العالمى .

إن هذا الاختيار لم يكن عبثا .. أو جاء عفوا .. بل تم هذا الاختيار عمدا ..

أولا : لتأكيد التناقض بين هذه النماذج فى نظام الحياة وفلسفة الحكم .

ثانيا : إنه - بالرغم من هذا التناقض - فإنها متفقة جميعا على محاصرة الإسلام واضطهاد أبنائه فى كل قطر ..

ولنبدأ - أولا - بفرنسا ..

❁ ❁ ❁

فى كتاب «الجزائر الثائرة» الذى ألفه الفرنسيان «كوليت» و «.. جان جونسون» يقول هذان المؤلفان[1] :

كان العبث بالدين الإسلامى هو المجال المفضل للقائد «روفيجو» ... فقد وقف هذا القائد الفاجر ، ونادى بين بنى قومه بأنه يلزمه أجمل مسجد

---

(١) ص٤٠ وما بعدها .

فى المدينة ليجعل منه معبدا لإله المسيحيين !! وطلب من أعوانه ذلك فى أقصر وقت ممكن وأشار لهم إلى جامع القشاوة لأنه ، كما قال ، أجمل جوامع الجزائر طرًا ، وهو فى وسط المدينة وفى قلب الحى الأوروبى فضلا عن أن أفنيته تؤدى إلى مداخل السراى .

وبالفعل .. تحدد ظهر يوم ١٨ من ديسمبر ١٨٣٢ لإنجاز هذا العمل وتحقيق هذه الرغبة ، ففى الميعاد المحدد تقدمت إحدى بطاريات الجيش ، وأخذت أهبتها للعمل فى ميدان السودان ، وخرجت من بينها فرقة من سلاح المهندسين ، فهاجمت أبواب المسجد بالبلط والفئوس ، وإذ - بداخل المسجد أربعة آلاف مسلم اعتصموا كلهم خلف المتاريس ، فاندفعت نحوهم القوة العسكرية ، ودحرتهم بالسناكى ، فخروا صرعى وجرحى تحت أرجل الجنود ، واستمرت العملية طوال الليل حتى إذا كان الصباح كانت النظم قد تمت ، والقرارات قد صدرت ، وصار الجامع «كاتدرائية الجزائر» .

وما أن انتهى الجنود من هذا حتى داروا على أعقابهم صوب مسجد القصبة الغنى بذكريات الإسلام وأيامه المجيدة ، فدخله القواد والضباط والجنود ، وأقاموا فيه شعائرهم الدينية حتى إذا انتهى القداس شرع القساوسة فى تمجيد «إله الجيوش» وترتيل «نشيد الغفران» . !

ولعمر الحق ، إذا ساغ للجنود الجهلة أو لضباطهم العابثين بأن يأتوا مثل هذه الأفعال ... فكيف يسوغ للقس سوشيه وهو الوكيل العام لأسقف الجزائر أن ينضم إليهم ، ويتزعم طابورهم ..

فقد وضع هذا القس عام ١٨٣٩ كتابا أسماه «رسائل مفيدة ومشوقة عن الجزائر» وجه فيه الكلام إلى عاهل فرنسا فقال : «إن مسيو فاليه رجل عميق التفكير ، ذو ضمير حى ، ولا تنقصه الحيلة .

إنه يحكم الجزائر كأكثر الملوك إطلاقا فى الحكم .

إنه الرجل الذى ليس للمستعمرة غنى عنه .

إنه يرغب فى أن يستتب الدين المسيحى وأن يحترمه الجميع .

إنه يريد أن يضاعف من عدد الصلبان والكنائس فى الجزائر .

إن مولاى ليستطيع أن يفعل ما يشاء مع رجل مثل المسيو فاليه الذى اختار أجمل مسجد فى قسنطينة ليجعل منه أجمل كنيسة فى المستعمرة» . !!!

❁ ❁ ❁

وقد وقع الاختيار على القس سوشيه ليكون راعيا لهذه الكنيسة التى كانت مسجدا ، وما إن أطلقت يداه ليعد لنفسه منبرا للوعظ فيها حتى استولى على منبر الرسول محمد ، أتى به من مسجد يقال له «المقدس» وهو آية فى فن النقش العربى . وعلى هذا المنبر النفيس وقف سكرتير الحاكم بوجو ليقول :

«إن آخر أيام الإسلام قد دنت وفى خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا يمكننا أن نشك فى أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أى حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا..!!».

❁ ❁ ❁

هذه هى فرنسا التى رفعت شعار الإخاء والمساواة والحرية ..

فرنسا ... باريس .. عاصمة النور كما كان يطلق عليها فى النصف الأول من هذا القرن ، والتى اقتحم ثوارها سجن الباستيل فهدموه فى طرفة عين ..

❁ ❁ ❁

أما عن روسيا فحال المسلمين فيها أسوأ وأمر ... يستوى فى ذلك حكم القياصرة بالأمس ... أو حكم «البروليتاريا» التى لا تعترف بدين أو قومية وجنس .... !

«لقد كان الاضطهاد فـي عصـر القيـاصرة ناشـرا جناحيـه ، فـي كنـف الموظفين الروسيين (بريكاز) والمبشرين المسيحيين ، بتـأييد رسمـى مـن الدولـة القيصرية» لذلك لا يعتبر الاضطهاد الدينى فى روسيا أمرا حـل بهـا حديثـا ، إنما الاضطهاد الشيوعى المرعب الذى هز العالم الإسلامى والإنسـانى قاطبـة ، ضرب من برنامج مواصلة القضاء على الدين المحمدى ، مع عظيم الفارق بـين اضطهاده واضطهاد الدين المسيحى فى روسيا الحمراء .

«رفع «هيرما هان» أسقف قازان فى بداية العصر السادس عشر تقريرا إلى أعتاب مولاه القيصر تيـودور ، يسـرد فيـه - بلسـان محرق بـالغ الأثـر - حوادث فشل التبشير المسيحى .. وارتداد المسيحيين الجدد إلى دينهم الأصلـى الإسلامى ، وجرأتهم فى إقامة شعائرهم الدينية بمساجد أقاموها مـن جديـد . وبناء على هذا التقرير الأسـقفى قـام القيصـر المذكـور بـأخذ تدابير صارمـة ضدهم ، وأبلغهم حرمانهم من أملاكهم مع إجبارهم علـى الإقامـة فـى حـى أنشئ خاصة لهم بمدينة قازان ، تحت إشراف أحد أمـراء الـروس . ثـم كلـف الشبان تكليفا بالزواج من روسـيات ، والبنـات مـن روسـيين . ومـن خـالف الأمر كان مصيره إلى السجن وتعذيبـه فيـه بوضـع القيـود فـى يديـه ورجليـه وضربه بالسياط ، وكما لـو كـان هـذا التعذيـب غـير كـاف لإشبـاع نفسـية القيصر فأمر فوق ذلك بهدم المساجد التى بنيت من عصور ، وبطرد المسلمين من مدينتهم ، وكان له ما أراد .

«وأما البلاشفة فقد كتموا بمهارة خططهم السرية ، وحقيقة موقفهم من الدين ، وتمكنوا من الظهور أمام الشعوب - إلى حين تركيز القـوة فـى يدهـم - بمظهر محبب إلى النفوس ، وعلى أثـر اطمئنـانهم للموقـف الخـارجى ، بـدأ الحزب الشيوعى بنشر خلاياه المنظمة أدق تنظيم فى أرجاء الاتحاد السوفيتى ، فعمدت هذه الخلايا الإلحادية إلى استئصال شأفة الدين ، أولا : بالقضاء علـى القضـاة والمفتـين ، والمدرسين ، والوعـاظ والخطبـاء ، والأئمـة والمؤذنين ، واحتلوا المدارس ، والجوامع ، والمساجد ، وألغوا فى القرم والبـلاد الإسـلامية

الأخرى المحاكم الشرعية وديار الإفتاء ، وقد أصبح كل ذلك أثرا بعد عين . ثم حولوا المساجد والجوامع إلى مسارح واصطبلات لخيول قولخوز . أو مخازن لمؤن وذخائر ، أو إلى أندية ، أو إلى دور للسينما وما إلى ذلك من أشياء لا يقرهم عليها شرع ولا قانون ، وقد جمع البلاشفة نسخ القرآن والكتب الدينية وأحرقوها حرقا . لم يشهد الإنسان هذا الانحطاط الخلقى حتى فى القرون الهمجية الأولى ، ونجت من أيدى الملحدين بعض الجوامع النادرة التى اعتبرت آثارا عمرانية ، أو أمرت موسكو بعدم مساسها لتتخذها عند اللزوم دليلا ضد ما قد يتسرب إلى البلاد الخارجية من «أخبار مزورة وكاذبة» !! فى نظرها ، وبذلك انقطع الآذان المحمدى فى أنحاء القرم ، والبلاد الإسلامية السوفيتية ، ولا أحد يجرؤ على أداء شعائره الدينية فيها لما فيه من خطر هلاكه .

«وصل الاضطهاد الدينى فى القرم ذروته عام ١٩٣٨ حيث لم يعد الناس يشاهدون فيها شيئا باسم الدين بعد إحراق نسخ القرآن والكتب الدينية ، وقلب المدارس والمساجد إلى مؤسسات شيوعية ، وقتل العلماء والعظماء ، أو نفيهم إلى سيبيريا ، وقد حدث فى – كوزلو – أن اعتقل فى ليلة من ليالى عام ١٩٣٨ آخر من بقى من العلماء ، وبعد التعذيب أتى الشيوعيون بهم منهوكى القوى إلى مبنى تكرير مياه المدينة المقام على شاطئ البحر الأسود ، واسمه (فوداقنال) ثم زجوا بهم فى سكون الليل وعلى الانفراد فى عجلات الماكينات الخلفية المعدة بطريقة خاصة من قبل الإدارة الشيوعية ، لتكون مذبحة للإنسان فى (الفردوس الشيوعى) على أرض القرم ، وأما العمال المكرهون على القيام بهذه العملية الشنيعة فلا يزالون على قيد الحياة لاجئين إلى أوروبا وتركيا » .



هذه الصورة البشعة المروعة فى القرم لا تبلغ بشاعة الصورة الوحشية التى تمثلت فى التركستان الغربية والشرقية حيث يقطن - أو كان يقطن - أربعة وأربعون مليوناً من المسلمين ، تناقص عددهم الآن على يد آلة الإبادة السوفيتية الشنيعة إلى ستة وعشرين مليوناً فقط .

فلندع كاتباً آخر يحدثنا عن وسائل التعذيب الجهنمية ، التى سلطت على العنصر الإسلامى فى التركستان الشرقية التابعة للصين الشيوعية اسماً ولروسيا الشيوعية فعلاً .

إنه الأستاذ (عيسى يوسف آلب تكين) الذى قدرت له الحياة من جديد بعد فراره من الإدارة الرهيبة ، ليكتب كتابه المسلمون وراء الستار الحديدى يحدثنا فيه عن (صور من التعذيب والقتل) ، وسنضطر أن نغفل ذكر بعضها هنا لأنها من القذارة بحيث يخرس ذكرها كل أدب إنسانى مكتفين بما تطبق الآداب الإنسانية أن نذكره للناس ... وهذه هى :

١- دق مسامير طويلة فى الرأس حتى تصل إلى المخ .

٢- إحراق المسجون بعد صب البترول عليه وإشعال النار فيه .

٣- جعل المسجون هدفاً لرصاص الجنود يتمرنون عليه .

٤- حبس المسجونين فى سجون لا ينفذ إليها هواء ولا نور وتجويعهم إلى أن يموتوا .

٥- وضع خوذات معدنية على الرأس وإمرار التيار الكهربائى فيها .

٦- ربط الرأس فى طرف آلة ميكانيكية وباقى الجسم فى ماكينة أخرى ، ثم تدار كل من الماكينتين فى اتجاهات متضادة ، فتعمل كل واحدة مقتربة من أختها حيناً ومبتعدة حيناً آخر حتى يتمدد الجزء من الجسم الذى بين الآلتين ، فإما أن يقر المعذب أو أن يموت .

٧ - كى كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد مسخنة إلى درجة الإحمرار.

٨ - صب زيت مغلى على جسم المعذب .

٩ - دق مسمار حديدى أو إبر الجراموفون فى الجسم .

١٠- تسمير الأظافر بمسمار حديدى يخرج من الجانب الآخر .

١١- ربط المسجون على سرير رابطاً محكماً ثم تركه لأيام عديدة .

١٢- إجبار المسجون على أن ينام عارياً فوق قطعة من الثلج أيام الشتاء .

١٣- نتف كتل من شعر الرأس بعنف ، مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس .

١٤- تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة .

١٥- صب المواد الحارقة والكاوية فى فم المسجونين وأنوفهم وعيونهم بعد ربطهم ربطاً محكماً .

١٦- وضع صخرة على ظهر المسجون بعد أن توثق يداه إلى ظهره .

١٧- ربط يدى المسجون وتعليقه بهما إلى السقف وتركة ليلة كاملة أو أكثر.

١٨- ضرب أجزاء الجسم بعصا فيها مسامير حادة .

١٩- ضرب الجسم بالكرباج حتى يدميه ، ثم يقطع الجسم إلى قطع بالسيف أو بالسكين .

٢٠- إحداث ثقب فى الجسم وإدخال حبل ذى عقد واستعماله بعد يومين كمنشار لتقطيع قطع من أطراف الجرح المتآكل .

٢١- ولكى يضمنوا أن يظل المسجون واقفاً على قدميه طويلاً يلجأون إلى تسمير أذنيه فى الجدار .

٢٢- خياطة أصابع اليدين والرجلين وشبك بعضهما إلى بعض .

٢٣- وضع المسجون فى برميل مملوء بالماء فى فصل الشتاء .

٢٤- والنساء حظهن من مثل هذا العذاب أنهن يعرين ويضربن ضرباً مبرحا على ثديهن وصدورهن . أما بقية تعذيب النساء فإننا نمسك عنه . لأن المواقع التى اختاروها من أجسامهن والطرق الدنيئة التى استعملوها تجعلنا نستحى من ذكرها وكتابتها .

ثم يتشدق المتشدقون هنا بالمادة ١٢٤ من الدستور السوفيتى الذى عدله ستالين ١٩٣٦ لأنها تقول : «صيانة لحريات اعتقاد جميع المواطنين يعلن أن الدين فى روسيا السوفيتية يفصل عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة ، فلجميع المواطنين حريتهم ، فى ممارسة الشعائر الدينية أو فى الدعوة إلى الإلحاد «.

فأما تعليم الإلحاد للتلاميذ الصغار فتتولاه الدولة بكل أجهزتها ، وأما تعليم الدين فتنص الفقرة ١٢٢ من قانون العقوبات لروسيا السوفيتية المطبوع عام ١٩٣٨ فى موسكو على ما يلى :

« .. إن تعليم الدين للأحداث فى مدارس الدولة أو المدارس الخاصة أو فى المعاهد الشبيهة بهما يعاقب عليه القائمون بأمره بالحبس لمدة أقصاها سنة مع الشغل » .

وفى أثناء الحبس تتم وسائل التعذيب الوحشية التى سبقت الإشارة إليها[١].



وأخيراً ننتقل إلى الحبشة ... أو إثيوبيا ... إن مأساة المسلمين فى هذه الدولة لا تقل بشاعة عن مأساتهم فى روسيا .. هل تعرفون كم عدد المسلمين فى إثيوبيا ؟ .. سوف تفاجأون بالدهشة ، ويعتريكم الذهول من هذه المفاجأة.. !!

---

(١) دراسات إسلامية ص٢٠٠ وما بعدها .

إن عدد المسلمين فى إثيوبيا ضعف عدد المسيحيين فيها .. إنهم يمثلون الأغلبية الساحقة بين سكان الحبشة .. ! !

❁ ❁ ❁

وهذه الظاهرة ... منتشرة فى معظم أقطار أفريقيا ... فهذه القارة من حيث العدد ... ومن حيث تعدد الأديان فى كل بلد ... هذه القارة الأفريقية معظم سكانها مسلمون فعلاً .. وكما هو الحال فى إثيوبيا فإن هذا الحال لا يختلف فى أى مكان آخر من أفريقيا ..

شعوب أغلبيتها مسلمة يحكمها غير مسلمين بالقوة .. لقد حرص الاستعمار البريطانى والفرنسى على تنفيذ هذهّ المؤامرة ، ومما ساعد على ذلك نظام تعليم متعصب أقامه المبشرون فى هذه القارة .

كانت معظم المدارس والكليات .. مدارس وكليات تبشيرية .. هدفها الأول والأخير هو تنصير المسلمين فى كل دولة ... ومن ثم ... كان من المستحيل أن يذهب أبناء المسلمين إلى أية مدرسة أو كلية ، وتمشياً مع المنطق.. فقد أسند حكم هذه الأقطار الأفريقية - بعد الاستقلال - إلى تلاميذ هذه المدارس الذين تربوا فى أحضان الكهنة والقساوسة .. ! والذين تلقفتهم جامعات لندن وباريس لهذه الغاية والمهمة .. ولنضرب لكم مثلاً على ذلك بالسنغال فى غرب أفريقيا .. إن عدد المسلمين فى السنغال فوق التسعين فى المائة ، ولكن فرنسا فرضت على هذه الدولة «ليوبولد سنجور» أو «سان جورج» الذى نشأ فى أوكار المبشرين ليمارس مهمته بعد رحيل فرنسا.

وجوليوس نيريرى فى شرق أفريقيا .

لقد لعب الدور نفسه فى تنجانيقا قبل أن تتحد مع «زنجبار» فى أعقاب مؤامرة كبرى ....

إن الأغلبية الساحقة فى اتحاد تنزانيا مسلمة ... وقد كانت «زنجبار «مركز إشعاع إسلامى فى شرق أفريقيا .. إن عاصمة تنزانيا اسمها «دار السلام» وهو اسم إسلامى كما سبق أن شرحنا فى المقدمة ..

نعود بعد ذلك إلى الحبشة أو إثيوبيا ..

عندما كنت طفلاً صغيراً فى قرية مصرية تبعد عن القاهرة - شمالاً - بحوالى ثلاثين ميلاً .. سمعت - ولأول مرة - عن الحبشة وحربها مع إيطاليا . لقد هب الشعب المسلم ليقف وراء إثيوبيا .. وقف وراءها يؤازرها ضد إيطاليا بالمساعدات المالية والمساعدات الطبية .. علاوة على الدعم السياسى الذى كانت تقدمه الدولة .. أى إن مصر - شعباً وحكومة - وقفت وراء الحبشة فى معركتها مع إيطاليا ..

فهل حفظ «هيلا سلاسى» لمصر هذا الجميل وهذا الموقف ؟

لقد كان هذا الرجل شاذاً من نوع غريب حقاً .. أذكر فى الستينات أنه زار القاهرة وبعد أيام قضاها ضيفاً على الشعب والحكومة سافر إلى الولايات المتحدة ، وهناك وقف فى «الكونجرس» الأمريكى يهاجم مصر والإسلام هجوماً بالغ القسوة ..

إن معنى كلمة «هيلا سلاسى» القوة المثلثة .. وهى تعنى بذلك قوة الثالوث فى المسيحية ، ولكن صاحب هذه القوة العجيبة لم يثبت أمام الطليان فى معركة ، وفر هارباً لينجو بجلده بعد سقوط إمبراطوريته العفنة .. !!

لقد ذهب على أية حال إلى غير رجعة ، ولكن هل تغيرت سياسة خلفه بعد موته ؟ للأسف فإن شيئاً لم يتغير ... ومانجستو هايلا مريم «الشيوعى» لا يزال يمارس الدور نفسه .

أليس كذلك هو ما حدث فى روسيا ؟ إن حكم القياصرة بقى كما كان بعد قيام الثورة .. وبعد سقوط الكرملين فى أيدى «البروليتاريا» التى نسيت ما أصابها على أيدى القياصرة قبل الوصول إلى السلطة ..

هل نذكركم مرة ثانية بقصة «جورج «أورويل»؟ وبمزرعة الحيوانات التى كان يديرها السيد جونز ؟ ثم بثورة الخنازير على أصحاب المزرعة واستبدادهم ببقية الحيوانات التى سقاها الخنازير - بعد هذه الثورة - كؤوس العلقم والذل ؟ .

لنعد إلى الحبشة ..

عندما استولى الإيطاليون على الحبشة خرج من سجن «هرر» وحده أكثر من سبعة آلاف شخص . ظل بعضهم مقيد الرجلين واليدين على شكل قوس لمدة أكثر من عشرة وخمسة عشر عاماً .

فلما أفرج عنهم لم يعودا إلى حالتهم الطبيعية ، إذ تشكل عمودهم الفقرى بذلك الشكل القوسى .

واختفت السياط الرهيبة التى يزن الواحد منها أكثر من خمسة وعشرين رطلاً وهى عبارة عن سيور جلدية مضفورة بأحكام تتدرج فى الدقة حتى الطرف . واختفى الرق أيضاً .

وتنفس المسلمون الصعداء ، إذ وقفوا لأول مرة منذ أكثر من خمسة وأربعين عاماً سواسية مع المسيحيين ، وأعيدت لهم معظم أراضيهم ، وبدءوا يشعرون بأنهم بشر .

ونشطت حركة التجارة التى كانت قد ماتت تماماً ، كما افتتحت المدارس العربية وظهرت الصحف المحلية ، وجئ بمدرسين من طرابلس الغرب.

ولكن هذه الفترة لم تطل .

فما إن أطل شهر مايو من عام ١٩٤١ حتى عاد الأمهريون فى ركاب البريطانيين وحدثت عدة ثورات تولت بريطانيا إخمادها بوحشية .

وانبعث من جديد عواء السلاسل ، وفرقعة السياط ، وعادت شهوة الانتقام والسيادة أعنف من ذى قبل ، كأنهم يستدركون الأيام التى فاتتهم إبان الاحتلال الإيطالى .

وانطلقت الكنائس معلنة لا عن التسامح والأخوة ، بل عن الحقد والكراهية . وبانطلاقها انطلقت كل الأشياء التى كانت تجعل من المسلمين عبيداً وخدماً .

فأزيحوا عن الوظائف التى كانوا يشغلونها ، وسرح الجند منهم والشرطة، وصودرت الأملاك من جديد ، حتى تلك التى وهبتها الحكومة الإيطالية عوضاً لمن لحقتهم خسائر مادية .

ولكم أن تتصوروا مدى البغضاء التى امتلأت بها نفس «هيلا سلاسى «حين رأى الجيش الذى هزم فى معركته ضد الإيطاليين (وكان معظمهم من المسلمين الطرابلسيين والصوماليين وغيرهم) ..

وهذا من الأسباب التى جعلته عازماً على استئصال شأفة الإسلام والمسلمين فى الحبشة بأى ثمن ، وذلك ما أشار إليه فى الكونجرس الأمريكى متحدثاً عما زعمه أقلية مسلمة تعيش فى الإقليم الجنوبى ، وأنه وضع لها برنامجاً خاصاً .

وهنا - فقط - لم يتوخ الدقة فى التاريخ ، فبدلاً من اثنى عشر عاماً كان أولى به أن يقول : خمسة عشر عاماً ، وهو الوقت الذى تنازلت فيه الإدارة البريطانية له عن إدارة هذا الإقليم .

ومنذ ذلك الحين وضع خطة جديدة بدأها بالمصادرات الجماعية للأراضى التى كان الإيطاليون قد أعادوها إلى أصحابها الحقيقيين ، ثم مطالبة ملاك الأراضى الصغار بضرائب السنين الخمس وما قبلها حتى عجز صغار الملاك عن الدفع ، فاستولى عليها ، ووزعها على عائلته ، وهى بدورها بدأت تؤجرها بأجور مرتفعة للفلاحين .

ثم عزل سكان المدن عن الريف ، وحرم على أهل المدن الانتقال إلى القرى إلا بإذن خاص ، كما عزل المديريات بعضها عن بعض ، وفرض قيوداً

ثقيلة على التنقل بينها ، ذلك إلى جانب الدعايات الكنسية ضد المسلمين ، وبتحمل كل مسيحى تبعة حماية الدولة ...

وبذلك أصبح لكل فرد منهم حق اتهام أى مسلم لأقل سبب وتقديمه للمحاكمة . وأى موظف لا يركع له المسلم فى مكتبه حينما يدخل عليه يعتبر ذلك إهانة موجهة إلى السلطة العليا التى تمثل الذات الملكية ، وجزاؤه أن يجلد ٤٥ جلدة - ربما لا يبقى حياً بعد عشرين منها - وأن يحبس مدة تتراوح بين سنتين وخمس سنين .

وأى كلمة يقولها المسلم يمكن أن تفسر تفسيراً سياسياً ضد الدولة ، وتعتبر جريمة يعاقب عليها وبذلك تعرض المسلمون للون جديد من الإرهاب ، أساسه الظنة والاتهام . وإذا كان الحاكم والقاضى والشرطى وسائر الموظفين مسيحيين وجميع السلطات مسيحية فإلى أى مدى يمكن أن يتعرض المسلم للظلم ؟ .

وأى إجحاف واضطهاد يقعان عليه دون أن يملك رداً ، أو بالمظلومين ، وكثرتهم من المسلمين

فهم دافعو الضرائب والغرامات ، ومتحملو الخسارات وهم الذين أرهقتهم الأثقال الجائرة ، فعجزوا عن الدفع ... فاستضافتهم السجون .

وما أسهل أن تنسب الحوادث التى ترتكب ولا يعرف فاعلها إلى المسلمين وهاكم حادثة وقعت سنة ١٩٤٦ :

« فى قرية صغيرة من قرى «كمبولتشا» إحدى المراكز شرقى العاصمة «هرر» وجد جندى أمهرى قتيلاً .

فبعثت الحكومة كتيبة مؤلفة من مائتى رجل بكامل أسلحتهم ، واقتحموا القرية ليلاً ، وقتلوا منها أكثر من ثمانين شخصاً ، منهم الشيخ والطفل والمرأة. وأحرقوا الأكواخ عن آخرها ، ونهبوا المواشى ، وزجوا بالعشرات فى السجون وذلك كله قبل أن يتحروا عن الحادث .

وبعد مضى مدة تبين أن القاتل كان زميلاً للقتيل .. فى فرقته نفسها اتهمه بعلاقته بامرأته .

وهكذا ذهب اولئك المساكين ضحية الخيانة والانتقام والحقد والكراهية .

هذا واحد من مئات الأمثلة التى حدثت ، ولا تزال تحدث فى كل وقت ما دام هناك حاكم أمهرى ، ومحكوم مسلم ، وما دام المسلمون يقرأون القرآن العربى .

ولقد كانت خلال هذه السنوات ثورات ضد هذا الظلم ، ولكن قوى الشر والاستعمار ، وأصحاب المصالح تكتل ضدها ، فتخمدها ...

ففى «جرسم» مثلاً – إحدى المديريات الحررية التسع – ثار الشيخ عبد القادر آدم ضد الضرائب الفادحة التى فرضت على هذه المديرية ، وضد الأوامر التى كانت تقضى بأن يخبز نساء المركز المسلمات جوالقاً من الدقيق كل أسبوع للمعسكر ويحملنه إليه .

وبعد أن دخل رجال الثورة الغابات للمقاومة جمعت الحكومة الشيوخ والأطفال والنساء فى أكواخ كل عشرين أو ثلاثين منهم فى كوخ .. – وهو يبنى عادة من الحشيش أو القصب ، وسكبت عليها صفائح البنزين ، فأحرقت جميعاً بمن فيها . !!

أما المواشى فقد أبيدت بالسم والرصاص .

وكان هذا العمل انتقاماً من الرجال الذين لجأوا إلى الغابات .

ومن جهة أخرى لبث الرعب فى القرى المجاورة .

وكانت هذه الأعمال تسير جنباً إلى جنب مع جميع أساليب الاضطهاد الوحشية ، سواء فى المحاكم أو فى السجون أو فى المصالح الحكومية ، بل فى المستشفيات ، والمراكز التبشيرية .

وللمبشر الأرثوذكسى - وهو الدين الرسمى للحكومة - حق مطالبة إعدام أى مسلم دون إبداء الأسباب أحياناً ، واتهامه بانتقاص الدين الرسمى أحياناً أخرى .

وهذه الأشياء لا تظهر فى المدن بالطبع ، بل تتركز فى القرى النائية البعيدة عن العمران ، ولهم فى تكتم الأخبار ألف وسيلة ووسيلة .

وما إن أهل عام سنة ١٩٤٨ ، وقد بلغ الظلم حداً بعيداً حتى هبت «هرر» تطالب بحقوقها العادلة ، ومساواة أهلها بالمسيحيين ، مما اعتبرته الحكومة وقاحة وخيانة .

فجردت له ثلاثة ألوية من الجيش اقتحمت المدينة ، وأعملت فيها السلب والنهب والتعذيب .

واشترك معهم رجال الشرطة والمدنيون - وقد رخص لهم باقتناء السلاح فى هذه الحملة الإرهابية ..

فصودرت المتاجر والمدارس والزارع ، وأقيمت محاكم للتطهير واعتقل الآلاف ، ووضعوا فى معسكرات التعذيب .

وأخذت أوقاف المساجد وضمت إلى الكنائس ، وأرسل الزعماء إلى مناطق نائية .

وكان التعذيب وحشياً لم يقتصر على إطفاء السجائر فى الأجساد .

أو تعريض الناس للشمس اللافحة فى حالة جوع وظمأ شديدين ، وقد وضعت على مقربة منهم براميل الماء والطعام .

أو هتك الأعراض على مرأى من الأزواج والآباء .. أو العبث فى ظهورهم بالسياط ، بل تعداه إلى دق «خصيات الرجال «بأعقاب البنادق ، وإلى قذفهم بين أسلاك شائكة تمزق أجسادهم والجنود يتلذذون بذلك المنظر الوحشى .

واستخدمت كل وسائل العنف والتعذيب فى الاستجواب .

واستمرت هذه الأعمال الفظيعة سبعة أشهر كاملة ، قتل فيها من قتل وهلك من هلك بسبب الجوع والبرد .

وفى تلك الأيام قدم وفد من مسلمى «هرر» إلى القاهرة ليعرضوا شكواهم على العالم الإسلامى ، فلم يجدوا سنداً ولا نصيراً ، والظروف لم تكن فى صالحهم .

ومن يومها اعتبرت «هرر» منطقة مفتوحة لكل أنواع التبشير - ماعدا الإسلام - للتعجيل بتنصيرها .

وعين لها حاكم عسكرى هو نفسه الذى كان يتولى التحقيق والتعذيب والاستجواب فى تلك الحركة .

وفى «هرر» الآن البعثات البروتستانتينية والكاثوليكية ، وبرج المراقبة ، والأرثوذكسية والسويدية والمنهجية .

وخصصت مديرية «عروس» للتبشير الأرثوذكسى ، ولا يقربها أحد .

كما منح رجال الدين هناك - مع السلطات المحلية - حق الإجبار ، ومطاردة الأشخاص الخطرين (المشايخ) .

ونتيجة لهذه الموجة من الإرهاب والنهب اللذين حدثا فى «هرر «قلت موارد الناس ، وهبطت حركة التجارة ، وكثر العاطلون وعجز الناس عن دفع ضريبة ، مما سهل للحكومة الاستيلاء على الممتلكات والمزارع .

وفى الوقت نفسه افتتحت بعض المدارس الأمهرية المسيحية ، وطلب إلى المسلمين أن يدخلوا أبناءهم فيها بعد أن أغلقت مدارسهم الخاصة .

ومن المعلوم أن المدرسين فئة منتقاة من الجزويت والهندوك المعروفين بميولهم العدائية نحو الإسلام .

وعليه فإن التحاق أبناء المسلمين بتلك المدارس نوع من الانتحار الدينى والوطنى ، فضلاً عن البرنامج الذى يدرس ، والمثبوت فيه كل ما من شأنه إهانة الإسلام والمسلمين .

والتعليم الدينى إجبارى .

وليس للمسلمين حق افتتاح مدارس خاصة بهم ، كما أنه يحرم على أى هيئة أو طائفة إسلامية أن تزور أرضهم ، أو أن تتصل بهم مثل ما فعل بالبعثة الأزهرية إذ منعت من الدخول إلى منطقة «هرر «.

ومن الأساليب التى تلجأ إليها الحكومة لتقوية التبشير الأرثوذكسى أسلوب غريب .

هو إشاعة أن روح جبريل ظهر فى دير صغير فى قرية «قلبى» بوساطة القسيسين .

وهذه القرية تبعد حوالى ٤٥ كيلو متراً من «هرر» وهى أشد مناطق «هرر» ازدحاماً بالريفيين السذج) ، وأن هذا الروح طلب من المسيحيين من كل بقعة فى الحبشة أن يجتمعوا سنوياً فى هذا المكان ، ويؤدوا اليمين المقدسة لنصرة المسيحية .

وأحيطت هذه الإشاعة بهالة من الخرافات وخوارق العادات التى عرضت لمن زار هذا المكان .

وكان أول من استجاب لهذا النداء هو الامبرطور نفسه مع جميع أفراد عائلته ووزرائه ، وقدم النذور والتبرعات .

وبذلك صار الذهاب إلى هذا المكان حجاً مقدساً ، يفد إليه المسيحيون من كل أطراف الحبشة .

والهدف الذى يرمون إليه من وراء هذا العمل هو جعل هذا المكان ارضاً مقدسة يدافع عنها كل مسيحى ضد أى تحرر أو اضطراب من جانب

المسلمين الذين تخصهم هذه الأرض ، ثم استغلال العاطفة الدينية لجمع التبرعات التى تبلغ سنوياً ثلاثة ملايين من الدولارات مخصصة كلها للتبشير فى مقاطعة هرر .

ويستعرض القساوسة هناك النتائج أمام الوزراء والكبراء ورجال الحكم والعائلة المالكة .

ويقدمون من هداهم الله على أيديهم إلى الدين المسيحى - بحسب زعمهم - بين عاصفة من التصفيق وقراءة المزامير والموسيقى ، وتطلق الأعيرة النارية ابتهاجاً بهذا النصر .

ويقوم الجيش باستعراض ، ثم تقدم العطايا والبركات من الامبراطور أو أحد أعوانه لأولئك المرتدين ، ثم توزع عليهم النياشين .

كل ذلك بغية التأثير على غيرهم من القرويين الذين يحيطون بهذا المكان.

ولا غرابة فى أن يكون لها تأثيرها إذ كان المسلمون فى تلك النواحى متأخرين وقد أرهقتم الضرائب والمطالب التى لا تنتهى من جانب الحكومة .

فهم - بذلك - يحاولون التخلص من الأثقال التى عليم ، ولا يدرى بذلك أحد .

وليست «هرر» إلا صورة من الصور المنتشرة فى جميع المقاطعات الإسلامية.

وما فى (جمة) من الاضطهاد والظلم لو وزع وحده على إفريقية كلها لأصبحت أرض الجوع والدموع .



وقضايا جنوب السودان .. ؟ وقبرص ، وإرتريا ، ونيجيريا .. ؟ وفلسطين ؟ والصومال[1] ؟ ..

---

(١) سلام رائد عبد الله كنون ص٢٨ وما بعدها

كلها قضايا خلقها تعصب النصرانية علـى الإسـلام ، وتربـص الصليبيـين بالمسلمين للإيقاع بهم وعرقلة نهضتهم فإيقاف السـودان لنشـاط المبشـرين الذى جـاوز كـل الحـدود فـى جنـوب بـلاده أدى إلى إشـعال نـار الحـرب والمطالبـة بانفصـال هـذا الجـزء مـن الوطـن السـودانى نتيجـة لتدخـل الـدول الاستعمارية من أمريكـان وغـيرهم ، ومسـاندتها للثـوار مادياً وأدبيـاً ، الأمـر الذى كان زنوج أمريكا أولى به مـن المبشـرين الأجـانب فـى السـودان . فـإن هؤلاء لم يحق بهم من الظلم والحيف وفظائع التمييز العنصرى ما يحيق بأولئك، وغاية الأمر أن الدولة لما رأت تصرفاتهم تكـاد تـؤدى إلى قيـام حكـم أجنبـى يتحدى الحكم الوطنى ، ضربت على أيديهم ، فقامت قيامـة حمـاتهم ودبـرت تلك الثورة الرعناء .

وفى نيجيريا كان كافياً للإطاحة بحكامها المسلمين وبث الفتنة فى شـعبها الآمن أن يعلن أولئك الحكام عن شعورهم الإسـلامى ويسـتنكروا إقامـة دولـة العصابات فى قلب العالم العربى ، وقد صـارت بفعـل الدسـائس الاسـتعمارية الصليبية والصهيونية فريسة الفوضى وضحية الحقد لكونها أكبر دولة إسلامية فى أفريقيا من حيث عدد سكانها المسلمين الذين يناهزون سبعين مليوناً . فلـم يقنع خصوم الإسلام بما اجترموا فيها من آثام حتى صاروا يعملون على تقطيـع أوصالها وتقسيمها إلى دويلات صغيرة يسهل القضاء عليها والتحكم فيها كلما قضت المصالح الاستعمارية بذلك ولولا الموقف الحازم الذى وقفه رئيسها فى وجه المتآمرين لبلغ الخصوم مناهم .

ولم لا يقسمون الحبشة ، والحال أن المسلمين فيها أكثر من المسيحيين وما يعانونه من اضطهاد دينى وحرمان من أبسط الحقوق الدينية ، يخول لهـم بكـل وجـه أن يطـالبوا بقيـام دولـة حبشـية مسـلمة منفصلـة عـن دولـة أديـس أبابـا المسيحية المتعصبـة ، وعلـى الأقـل أن يتمتعـوا بامتيـازات سياسـية نظـير مـا للمسيحيين فى البلاد العربية والإسلامية عموماً !!

إن الحبشة المدللة التى تحصل على أعظم حصة من المساعدة الأمريكية للدول النامية فى أفريقيا تحمل شعار الصليب ، ويعلق عليها الأمل فى اكتساح الشعوب الصغيرة المسلمة التى بجوارها وضمهم إلى الأسرة المسيحية ، ولذا فإن شعب أرتيريا المسلم ما كاد يحصل على حق تقرير مصيره من الأمم المتحدة حتى رأينا الحبشة تستتبعه بحكم تزوير عملية التصويت التى أشرفت عليها بريطانيا قبل الانسحاب من ذلك القطر .

وكذلك يقال فى الصومال الذى اقتطعت أطراف منه وأضيفت إلى الحبشة وإلى كينيا ، نكاية به ، لأنه شعب مسلم ، وينتمى إلى العروبة .

والمؤامرة التى دبرها الاستعمار على قطر جيبوتى منذ مدة قريبة يعرفها الجميع ، فإن هذه المقاطعة من الصومال ، ما كادت فرنسا تعترف لها بحق تقرير المصير ، حتى هبت الحبشة للمطالبة بها متذرعة بأنها منفذها إلى البحر وأن مصالحها فيها تخول لها حق الإشراف عليها ، وقام الامبراطور هيلا سلاسى برحلة طويلة إلى البلاد العربية ، نعم (ويا للوقاحة) إلى البلاد العربية طمعاً فى الحصول على تأييدها ، وإلى فرنسا مراراً ، مما اضطر بعض الأحزاب السياسية فى جيبوتى لما رأى خطر الاستيلاء الحبشى قد فغرفاه لابتلاعها ، أن يصوت لصالح البقاء فى حظيرة الوحدة الفرنسية .

إن الحبشة مدفوعة ولا شك من طرف الدول الاستعمارية الصليبية للعب دور خطير فى القارة الأفريقية ، فهى تنفذه بكل دقة ، مستعينة بالدعم المادى الأوفر الذى تلقاه من تلك الدول ، ومستغلة حسن نية الدول العربية والإسلامية الأفريقية ، وسياسة التسامح التى تسلكها هذه الدول ، والأمر يهدف إلى مناهضة الإسلام وانتشاره السريع فى هذه القارة التى لا يريد لها الصليبيون المتعصبون أن تصبح قارة إسلامية خالصة . فإذا كانت آسيا مع وجود أكبر الدول الإسلامية فيها لا تعتبر قارة إسلامية بسبب مكاثرة الديانات الأخرى من بوذية وهندوسية فيها للدين الاسلامى ، وأوروبا

وأمريكا لا جدال فى أنهما قارتان مسيحيتان ، فإن القارة المرشحة لأن تكون قارة إسلامية هى أفريقيا التى يعتنق الإسلام فيها أكثر من ثلثى سكانها ، ولا يزال الإسلام يتقدم فيها بخطى ثابتة لإدخال الثلث الباقى من سكانها الوثنيين فى حظيرته ... إذا كان هذا الأمر حقيقة ثابتة فيجب أن يوضع فى طريقه كل العراقيل ويقاوم بجميع وسائل المقاومة .

وليس من ينتدب للقيام بهذه المهمة غير الحبشة التى تعد رسمياً دولة مسيحية ، وهى عريقة فى ذلك ليست مثل بعض الدول الناشئة التى فرضت عليها حكومات أو رؤساء مسيحيون ، والتى هى من صنع الاستعمار ، فإن الأفارقة لا يمكن أن يخضعوا لها ولا أن يولوها ثقتهم ، وهكذا وضعت الحبشة على رأس منظمة الوحدة الأفريقية وجعلت عاصمتها أديس أبابا مقر هذه المنظمة لتعزيز السيطرة والنفوذ ، تماماً كما فى جعل مقر الأمم المتحدة بأمريكا التى أصبحت تسيطر عليها وتتحكم فى مقرراتها على ما هو مشاهد، حتى إن ذلك ليدعو بعض الدول المتحررة إلى المطالبة بنقل هذا المقر إلى دولة محايدة .

والمقصود على كل حال أن يرى الأفارقة أن السيطرة والنفوذ مقصوران على الدول المسيحية ، وإنهم إن خرجوا من حصار الاستعمار ، فلا مندوحة لهم من البقاء فى قبضة المسيحيين أهل النفوذ والسيطرة على العالم ، وليس أدل على هذه الحقيقة من موقف الحبشة من حرب العدوان الصهيونى على البلاد العربية .

هذا بعض ما يمكن أن يقال فى قضايا أرتيريا والصومال والحبشة ومخططات الاستعمار والصليبية بإزاء مسلميها .

وأما قبرص فإن الحرب الإبادية التى يقوم بها المسيحيون اليونان هناك ضد الأتراك المسلمين ، الذين هم من أقدم سكانها والذين كانوا حكامها فيما سبق ، إن هذه الحرب يناصرها كل من دول الشرق والغرب المسيحية ،

ويتضامن فيها للأسف بعض الدول الإسلامية مع المسيحيين ، وبقطع النظر عن هذا التضامن ، فإن الغاية من تلك الحرب معروفة ، وهى القضاء على العنصر الإسلامى فى الجزيرة بإبادته أو باضطراره إلى الهجرة .

هل تصدقون هذه القصة عن الملكة إليزابيت الثانية ؟

أعنى ملكة بريطانيا وأستراليا وسائر أقطار الكومونولث .

إننى أحترم هذه الملكة .. بل إننى أحترم النظام الملكى فى أوروبا كلها .. إن هذا النظام فى أوربا كلها ..إن هذا النظام فى حقيقته قريب من القيم الإسلامية العريقة ... ، ولكن هذا لا يمنعنى من رواية هذه االقصة :

عندما تقرر أن تجرى مباراة فى الملاكمة بين البطل المسلم محمد على كلاي وبين البطل الإنجليزى «كولبير «.. استدعت الملكة إليزابيث كولبير هذا ، وأقامت له مأدبة غداء احتفاء به وتشجيعاً له على منازلة كلاى ، وأعربت له عن رغبتها فى هزيمة خصمه ، وما ذلك إلا لأن كلاى مسلم يحمل اسم محمد ويعتز بدينه ويرى أن انتصاراته فى معاركة الكاسحة إنما هو من بركة الدين الإسلامى ومزاولته لشعائره وخاصة الصلاة بإيمان وإخلاص .

إنه لم يسبق أن أستدعت ملكة بريطانيا العظمى لتناول الغذاء على مائدتها فى مثل هذه المناسبة بطلاً رياضياً مهما كان شأنه ، وتعبر له عن رغبتها فى انتصاره على خصمه ، ولذلك فهم الناس من هذا الاهتمام أن شعورها الدينى كان غالباً عليها فى هذه الحالة ، وأنها إنما تصرفت بحسب إيمانه ، وهى معذورة فى ذلك لأنها بحكم الدستور رئيسة الكنيسة ، وحامية حمى المسيحية ... !!!

● السيدة ليندا Linda :

يبدو وكأن السلام حلم ... وأن «جنون «الحرب أقوى من «حكمة «العقلاء ودعاة السلم ؟ ..



ومتى تحقق هذا السلم ؟ ثم كيف يتحقق إذا كانت العلاقات بين الأمم والشعوب قائمة على العدوان والظلم ... إن العالم يندفع بسرعة إلى الهاوية كما يقول «أينشتاين «أما لماذا فلأن «القوة «هى العقل الذى أصبح يفكر به القادة ، ولأن «الضمير «لم يعد له وجود فى قلوب الحكام والسادة ... !!

هل تعرفون كم مات فى الحرب العالمية الأولى ؟

لقد قتل حوالى ١٠ عشرة ملايين فى هذه الحرب ؟ وهل تعرفون : كم مات فى الحرب العالمية الثانية ؟ لقد قتل حوالى ٧٠ سبعين مليوناً فى هذه الحرب ؟

وهل تعرفون كم مات فى محاكم التفتيش ؟ لقد قتل وذبح وحرق حوالى ١٢ اثنى عشر مليوناً بلا جريرة ولا ذنب .

وهل تعرفون كم قتل فى حروب إقليمية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية؟

لقد قتل حوالى ٢١ واحد وعشرين مليوناً فى شتى أنحاء الأرض ..

وأخيراً هل تعرفون كم قتل أو استشهد فى غزوات النبى ... ؟

إن عدد الشهداء والقتلى لم يتجاوز ١٠١٨ ألفاً وثمانية عشر رجلاً من جيش المسلمين وجيش العدو .

السيد فوكس Fox :

لا تنسى أبداً أنك مسلم .. !!

❁ ❁ ❁

نعم .. أيها السيد فوكس !! غير أن ذلك لا يعنى شماتة بالغير ، أو تمنى الضرر لذلك الغير .. فالمسلم كما يريد الإسلام خير كله ... خير لنفسه .. وخير لغيره ... فخير الناس أنفعهم للناس كما يقول النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

أذكر أننى قمت بمهمة إلى الصحراء الغربية فى عام ١٩٦٠ ... هذه الصحراء التى كانت ميداناً لحروب طاحنة بين الحلفاء - بقيادة الفيلد مارشال مونتجومرى - وبين الألمان بقيادة الفيلد مارشال روميل .

كانت إقامتى فى مدينة «مرسى مطروح».. وهى مدينة صغيرة لم يكن يتجاوز عدد سكانها - أثناء هذه الزيارة - بضعة ألوف أكثرهم من البدو .

لقد فوجئت بمدفع كبير محطم على ساحل البحر .. كما فوجئت ببقايا سفينة حربية تبدو مقدمتها حين ينحسر الموج .. لقد اهتاجت نفسى بمشاعر جياشة ، وبدأت أسأل هذا المدفع ككائن حى أنتظر منه الإجابة .. !

من جاء بك ؟ ومن ألقى بالقنابل عليك ؟ وكم مات حولك من الجند قبل أن تموت أنت .. !! وهل دفنوا بجوارك أم جرفهم الموج إلى البحر ؟ وهل بقى من دمائهم شئ ؟ أم جفت هذه الدماء وتبخرت فى الجو ... ؟ !!

❁ ❁ ❁

إن المسلم وغير المسلم سواء فى حق الحياة والعدل .. غير أن ذلك لا يجب أن ينسينا الواقع الذى تمارس فيه هذه الحياة وهذا العدل ..

لقد قتل فى «هيروشيما» و «نجازاكى» أكثر من ثلاثمائة ألف .. ومن بقى على قيد الحياة بقى فى انتظار الموت الذى لم ينج منه كائن حى . !

فى مجلة تايم Time وعلى صفحتها الأولى من الغلاف كانت أول كلمة نطق بها الكابتن «روبرت لويس» Robert Lewis بعد إلقاء القنبلة الذرية على مدنية «هيروشيما» Hiroshima فى السادس من شهر أغسطس ١٩٤٥م .

كانت أول كلمة قالها ذلك الضابط: My God What Have We Done ؟

يا إلهى .. ما هذا الذى فعلنا ؟ !

إن ما حدث كان شيئاً رهيباً ومفزعاً . وكما يقول شاعر يابانى كان فى الحادية عشرة من عمره عند وقوع هذه الكارثة . كان يوماً قاتماً دميم الوجه .. ! كل شئ فيه أسود كلون اليأس ... !!

السماء والناس والأرض ..

حتى الخضرة ..

كساها لون من السواد الداكن ...

لقد أصبح النصر بعيداً ... بل مستحيلاً ..

وفجأة ..

فى اليوم السادس من أغسطس ...

اشتعلت السماء بوهج أصفر برتقالى اللون ..

لقد بدأت النهاية ..

واحترق كل شئ فوق اليابسة ...

لقد انتصر الشيطان فى معركته الأخيرة .. !!!

❁ ❁ ❁

فى زيارة قمت بها إلى لندن ... احتبسنى المطر فى الفندق ... لم تكن القراءة ممكنة ... كما لم تكن نفسى مهيأة لهذه القراءة ، وبلمسة أصبع .. بدأ التلفزيون يبث برامجه من خلال القناة الرابعة ... كان أول ما وقعت عليه عيناى من خلال الشاشة سؤال ينضح كآبة ووحشية ... سنحيا أم سنموت ؟ Shall We pass or Shall We Die? ماذا يجرى فى هذه الدنيا ؟ هل عاد هتلر إلى الحياة مرة ثانية ؟ أم بدأت الحرب العالمية الثالثة ؟ ثم ماذا يعنى هذا السؤال المثير للكآبة والوحشة ؟

لقد كان هذا السؤال عنواناً لفيلم تسجيلى عن قنبلية هيروشيما ونجازاكى ... لم يكن هذا الفيلم تمثيلاً .. بل كان حقيقة وواقعاً ..

فمنذ اللحظة الأولى لتحرك الطائرات القاذفة .. والكاميرا تسجل ذلك خطوة .. خطوة ... لقد تصورت أن هذه الطائرات ستلقى بحمولتها فوق الفندق . وتوقعت انفجاراً نووياً فى قلب لندن .. !

نموت أو نحيا ؟ هذا هو السؤال الذى يشغل العالم كله ... وللعالم - بحق - أن يعرف هذا المصير الذى ينتظره .

إن ما يبلغ مجموعه ٥٠,٠٠٠ خمسين ألف قنبلة ذرية يوجد فى مخازن الدول الكبرى ... إن هذا المخزون يكفى لتدمير العالم أربع مرات ونصف مرة ... وإن نصيب كل فرد فى العالم من هذه الأسلحة هو أربعة أطنان من الديناميت والمواد الناسفة !!

وهذه الحرب النووية قد تشتعل فجأة ... ومهما قيل عن الاحتياطيات التى اتخذت لمنع وقوع الكارثة . فالكل يعلن ويؤكد احتمال وقوع هذه الحرب فى أية لحظة .

فهل من الممكن حقاً أن تنشب هذه الحرب فجأة ؟ والجواب : نعم . وقد كادت هذه الحرب تنشب بسبب إنذارات كاذبة ... وقد تكرر هذا أكثر من مرة ... ولسوف يتكرر هذا الخطأ مهما تكن الاحتياطيات التى تتخذ لمنع وقوع هذه الكارثة ...

وفى هذا التقرير الذى كتبه الدكتور «فرانك برنابى «المدير السابق لمعهد «الأبحاث الدولية للسلام «فى ستكهولم ، وصف تفصيلى لهذه الاحتمالات العفوية التى يمكن أن تنشأ بسببها هذه الحرب ، وقد اختار الدكتور فرانك - لتأكيد فكرته - ما يمكن أن يحدث فى داخل غواصة نووية تعبر المحيطات من الشرق إلى الغرب

وقد اختار بارنابى أن يبدأ السيناريو الذى وضعه للحرب من على متن غواصة نووية أمريكية نظراً إلى تمتعها باستقلالية تامة فى إطلاق صواريخها الحاملة للرؤوس النووية .

ويتساءل بارنابى فى مقدمة السيناريو عن مدى السهولة التى تتيح لأحد أفراد طاقم الغواصات الاستراتيجية النووية إطلاق صواريخها سواء بمفرده ، أو بالتآمر مع الآخرين ، من دون الرجوع إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، أو تلقى أمر مباشرة منه . أى هل بإمكان رجل مجنون ، أو متطرف ، سواء بمفرده ، أو بالاشتراك مع آخرين ، أن يشعل حرباً نووية بمبادرة شخصية منه؟

• لقد قام بارنابى بطرح هذه الأسئلة على الكابتن جيمس بوش من البحرية الأمريكية الذى كان قبل تقاعده من الخدمة العسكرية قائداً لإحدى مثل هذه الغواصات ، التى تدعى «سيمون بوليفار «.

• يقول الكابتن بوش أن المهم فى الأمر هو أن «الحائل الوحيد الذى يمنع قائد الغواصة من إطلاق صواريخه ، هو حائل إدارى فقط إذ لا توجد أية موانع ميكانيكية تمنعه من تنفيذ ذلك إذا أراد».

• والإجراءات المتبعة للإطلاق أثناء الحرب تبدأ برسالة موجهة من القيادة المركزية إلى الغواصة تقول فيها : «أطلقوا صواريخكم» ، وتكون الرسالة مذيلة بالشفيرة الخاصة بذلك .

ويتلقى عامل الراديو – الذى يجلس عادة وحيداً فى غرفة صغيرة معزولة – الرسالة ، وهذا الشخص هو الوحيد من بين سائر أفراد طاقم الغواصة الذى يتلقى مثل هذه الرسالة ، فيقوم فوراً بإبلاغ مضمونها إلى الضابط المناوب بقوله : «لدينا رسالة بالإطلاق».

فيجرى عندئذ إرسال ضابطين إلى غرفة اللاسلكى للتحقق من الأمر ، أى من استلام مثل هذه الرسالة فعلاً ، ومن الشيفرة الخاصة بها ، ولا يتطلب مثل هذا الإجراء الرسمى قيام الكابتن ذاته بالتوجه إلى عامل اللاسلكى للتحقق

بنفسه من الرسالة لكن الكابتن بوش يعتقد أن معظم قادة الغواصات سيتوجهون في مثل هذه الحالة إلى عامل الراديو للتأكد شخصياً من هذا الأمر العظيم الذى قد يتضمن في طياته القضاء في النهاية على الجنس البشرى على كوكب الأرض ولدى كل من الضابطين اللذين تحققا من الرسالة مفتاح لفتح خزانة صغيرة مستقلة خاصة بكل منهما تحتوى على كتب الشيفرة اللازمة ، ويقوم الضابطان بمقارنة إشارة الشيفرة الواردة فى الرسالة مع الشيفرة الموجودة فى هذه الكتب ، والتى تتغير باستمرار مع كل يوم من أيام السنة.

وبعد قيام هذين الضابطين بإبلاغ الغواصة أنهما تيقنا من صحة الشيفرة ، تبدأ فوراً عملية الإطلاق . إذ يقوم القائد بإذاعة بلاغ مقتضب على بحارته عبر المذياع الداخلى يخبرهم فيه أنهم أصبحوا الآن فى حالة حرب ، وأن صواريخ الغواصة باتت فى طريقها الآن إلى الانطلاق ، ويقوم ضابط الصواريخ فى غرفة المراقبة الخاصة بذلك بتشغيل مفتاح خاص لإعداد الصواريخ للإطلاق . عندئذ يدير ثلاثة ضباط ، كل فى قمراه الخاصة ، وهم ضابط الإطلاق ، وضابط الملاحة ، والضابط التنفيذى ، مفاتيحهم الخاصة عندما يصبحون مستعدين بدورهم للإطلاق ، ومثل هذه العمليات المتعاقبة من قبل الضباط الأربعة ليست تصويتاً حول ما إذا كان يتوجب إطلاق الصواريخ أم لا ، بل أنها مجرد إشارات فقط تؤكد على أن الصواريخ أصبحت جاهزة للانطلاق .

• وأخيرا ، وبعد إدارة هذه المفاتيح الأربعة ، يقوم القائد بإدارة المفتاح الأخير كى تنطلق هذه «الطيور» العملاقة وسط عاصفة من الصوت والضجيج إلى أهدافها المشئومة . ومفتاح القائد ليس مفتاحاً كهربائياً كسائر المفاتيح الأخرى ، بل إنه عبارة عن قطعة معدنية يتوجب إدخالها فى شق صغير وإدارتها .

• وإطلاق مثل هذه «الطيور» من غواصة نووية استراتيجية ليس إجراءاً هائلاً عظيم المسئولية فحسب ، بل أنه عمل أقل ما يقال عنه أنه

يحمل فى طياته المـوت والدمـار إلى جـزء كبـير مـن العـالم . إذ إن بمقـدور غواصة واحدة من هذا النوع حمل ١٦٠ رأساً نووياً (بمعدل عشرة رؤوس لكل صاروخ) إلى ١٦٠ هدفاً مختلفاً ، وهو أمر كاف بحد ذاته لإزالة كـل مدن الاتحاد السوفيتى من الوجود ـ التى يزيد عـدد سـكان الواحـدة منهـا عن ٢٠٠ ألف نسمة . وبالطبع فإن بمقدور أى غواصة سوفيتية مـن طـراز مشابه إلحاق الدمار ذاته فى الولايات المتحدة الأمريكية .

❁ ❁ ❁

إن الوصف السابق ذكره هو فى ما يتعلق بإطلاق نووى مصـرح بـه مـن قبل القيادة السياسية العليا .

• ولكن ماذا عن «عملية إطلاق» غير مصرح بها ؟؟

الكابتن بوش يقول إن هذا ممكن بالطبع ، إذا مـا تـآمر عـامل اللاسـلكى بالغواصة ، والضابطـان اللـذان أرسـلا إليـه للتحقيـق مـن مضمـون الرسـالة ، والقبطان (قائد الغواصة) . إذ بإمكان الأخير أن يزعم أمام الضـابط المنـاوب أنه تلقى رسالة بالإطلاق فى الوقت الذى يقوم القبطـان بـالتصدى للضـابطين المتوجهين لغرفة اللاسلكى للتحقق من الأمر وإبلاغهما أنه قـام لتـوه بـالتحقق شـخصياً مـن صحـة الرسـالة ، وأنـه لا ضـرورة مطلقـاً بالتـالى لـــ «إزعـاج خاطرهم»، والتأكد بنفسهما من ذلك .

فإذا كان هذان الضابطان من النوع الذى لا يحب الجدال ومناقشة رئيسة (والكثير من الضباط هم من هذا النوع) ، فإن بإمكان قائد الغواصة الإطلاق دون الرجوع إلى أحد .

• وعلى الصعيد النظرى فإن بمقـدور عـامل اللاسـلكى القيـام بذلـك بمفرده . إذ بإمكانه إقناع القبطان أنه سمع على الراديو أن حربـاً نوويـة قـد نشبت ، وأن الولايات المتحدة قد تعرضت إلى هجوم بالأسـلحة النوويـة ، وأن القيادة المركزية قد دمرت عن بكرة أبيها قبل أن تسنح لها الفرصة لبث

رسالة إلى الغواصات النووية المنتشرة فى محيطات العالم وبحاره . فإذا ما صدق القبطان هذه الرسالة ، فإنه قد يقرر إطلاق صواريخه ، لأن مهمة غواصته فى النهاية ، الانتقام من الاتحاد السوفيتى إذا ما بادر هذا الأخير إلى شن هجوم على الولايات المتحدة .

وإذا كان مثل هذا السيناريو الأخير بعيد الاحتمال ، فإن الأكثر احتمالاً هو قيام عامل اللاسلكى والقبطان بالتآمر سوية وإقناع بحارة الغواصة أن الولايات المتحدة قد دمرت كلياً أو جزئياً بفعل هجوم نووى سوفيتى ، وأن واجبهم بالتالى الرد على الهجوم عن طريق إطلاق صواريخ الغواصة . ومثل هذا السيناريو ، واستناداً إلى الكابتن بوش ، هو الأكثر مصداقية ، إذا ما جرى فى ظل ظروف خاصة ، كحصول أزمة دولية كبيرة ، وفشل المحاولات المتكررة لنزع فتيلها .

• والقوة النووية الأمريكية تدير نحو ١٠٠ غواصة استراتيجية مسلحة بالصواريخ ذات الرؤوس الذرية ، وكمعدل عام هناك نحو ٤٠ غواصة منها منتشرة بصفة دائمة فى بحار العالم ومحيطاته وجاهزة للحرب فى أى لحظة، ومثل هذا الوضع الذى يواكبه احتمال قيام القبطان وعامل اللاسلكى فى إحدى هذه الغواصات الأربعين بالتآمر سوية للبدء بسلسلة من الأحداث التى قد تؤدى إلى تدمير نصف الكرة الشمالية من الأرض عن بكرة أبيها على أقل تقدير ، هو أمر بدأ يقلق الكثير من الدوائر السياسية والعسكرية المسئولة .

• ومما يزيد الوضع خطورة ، هو أن الغواصات الحاملة للصواريخ النووية تعتبر السلاح الثانى فى القوة الضاربة الأمريكية على الصعيد الاستراتيجي ، وبالتالى فقد يستدعى الأمر فى حالة تدمير السلاح الاستراتيجى الأول من جراء هجوم مباغت الطلب من الغواصات إطلاق

كافة صواريخها على عجل من دون المرور فى كافة المسائل والاعتبارات الروتينية التى تسبق ذلك ، والتى هدفها التحقق من صحة أى هجوم .

• ولزيادة البلبلة فإنه من المحتمل أن يقطع أى هجوم نووى مهما كان صغيراً أو محدوداً الاتصالات اللاسلكية فترة من الزمن بسبب النبضات الكهرا - مغناطيسية التى ترافقه ، وهذا سيجعل الغواصات معزولة عن قيادتها فترة حرجة من الوقت ، وبالتالى عرضه للتصرف على هواها ، من دون الرجوع إلى أى سلطة ، مما يترك المجال واسعاً أمام قائد الغواصة لإطلاق صواريخ الدمار والموت[1] .

• وفى تقرير اشتركت فى إعداده مجموعة من الهيئات الأمريكية الخاصة أن العالم ينفق ١,٣ مليون دولار كل دقيقة للأغراض العسكرية فى حين يموت ٤٠ طفلاً كل دقيقة فى العالم بسبب الجوع وعدم الحصول على الرعاية الصحية الكافية ، وحذر التقرير من أن المخزون العالمى من الأسلحة النووية تصل قدرته التدميرية إلى ٥ آلاف أضعاف حجم الذخيرة التى استخدمت خلال الحرب العالمية الثانية .

وأوضح التقرير الذى أعدته «روث ليجر سيفارد» تحت إشراف مجموعة من الهيئات الخاصة منها اتحاد «ضبط سباق التسلح» ومؤسسة روكفلر وتضمن المقارنة بين الإنفاق العالمى على التسليح والإنفاق على البرامج الاجتماعية أن سباق التسلح العالمى يتجاوز حدود الواقع ويعد حالياً عاملاً حاسماً يكاد يزيد على الإنفاق على البرامج الاجتماعية فى كافة الدول .

وأكدت «روث سيفارد» فى تقريرها أن تكلفة إنتاج غواصة نووية جديدة يساوى ميزانية التعليم السنوى لحوالى ٢٣ دولة نامية يوجد بها أكثر من ١٦٠ مليون طفل فى سن التعليم وأنه فى الوقت الذى تدفع فيه الحكومة

---

(١) نشر هذا التقرير فى مجلة «المجلة» التى تصدر فى لندن - العدد ٢٤٥ .

الأمريكية تعويضات سنوية للمزارعين للتوقف عن زراعة مليون فدان يعانى ٤٥٠ مليون شخص فى العالم من الجوع .

وشمل التقرير عدة إحصاءات أخرى تشير إلى أن العالم ينفق ٨٦٠ مليار دولار سنوياً على التسليح وهناك ٢٥ مليون شخص يشكلون الجيوش النظامية فى دول العالم بالإضافة إلى عدد يصل إلى ٥٠ ألفاً من الأسلحة النووية .

❁ ❁ ❁

العالم ينفق على التسليح كل دقيقة ١,٣٠٠,٠٠٠ مليوناً وثلاثمائة ألف دولار . فى الوقت الذى يموت فيه حوالى ٥٨ ثمانية وخمسين ألف طفل كل يوم ، وكما يقول جيمس جرانت James Grant الرئيس السابق لمنظمة اليونيسيف Unicef عندما يموت هذا العدد من الأطفال كل يوم .. فإن ذلك يعنى سقوط قنبلة ذرية على العالم كل ثلاثة أشهر .

ومن العجيب والغريب معاً ... أنه فى الوقت الذى تتفاقم فيه مأساة هؤلاء الجياع كل يوم يوجد فائض من الإنتاج الزراعى والحيوانى فى اوروبا وأميركا يكفى لإطعام أضعاف هؤلاء الجياع فى كل الدنيا .. ولكن هذا الفائض يعدم ويحرق بدلاً من شحنة لإنقاذ هؤلاء الجياع فى آسيا وإفريقيا .

إن الدول الكبرى كما يقول : «فيلى برانت» المستشار الألمانى السابق تدفع العالم إلى كارثة محققة ، وأن الحل أو الوسيلة لإقامة سلام عالمى تكمن فى تحقيق تنمية اقتصادية عادلة ، وإيقاف سباق التسلح الذى سيقود العالم إلى هذه الكارثة .

❁ ❁ ❁

وداعاً للسلاح !!!! إنه الاسم الذى اختاره «أرنست همنجواى» لروايته الشهيرة غير أن هذا السلاح قد تضاعف خطره وتفاقم ... ولهذا مات «همنجواى» منتحراً قبل أن يشاهد بعينه انتحار هذا العالم !!!

ومن قبل «همنجواى «أصدر اللورد برتراند راسل .. و.. ألبرت أينشتاين تحذيراً إلى دول العالم من هذه الحرب .. وهو ما عرف بعد ذلك ببيان «أينشتاين – راسل» .. وقد وقع «أينشتاين» على هذا البيان قبل يومين من وفاته بضغط من اللورد ..... ؟ !!

ويقول هذا البيان الذى وقعه أينشتاين وراسل :

« أمام الوضع المفجع الذى يواجه البشرية فإننا نشعر أن على العلماء أن يجتمعوا فى مؤتمر ليوضحوا الأخطار التى نجمت عن تطوير الأسلحة بقصد الدمار الجماعى وليبحثوا فى إصدار قرار عن ورقة المسودة المرفق ».

« ونحن نتحدث فى هذه المناسبة ليس بوصفنا أفراداً من هذه الأمة أو تلك أو من قارة بعينها أو جنس بعينه ، ولكن كبشر من نسل الإنسان الذى يقف مصيره فى الوجود موقف الشك . والعالم زاخر بالصراعات وهى إذ تخفى وراءها كل الصراعات الصغيرة ، يبدو الصراع الجبار بين الشيوعية ومناهضى الشيوعية .

« ونحن سنحاول ألا نقول كلمة واحدة نهيب بها بمجموعة دون أخرى فالكل متساوون فى مواجهة الخطر ، وإذا أمكن تفهم هذا الخطر فإن هناك أملاً فى أن يتضامن الجميع فى تفاديه ...

« ... والواقع أن أفضل السلطات مجمعة على القول بأن حرباً بالقنبلة الهيدروجينية من الممكن أن تضع نهاية للجنس البشرى ، والذى نخشاه أنه إذا استخدمت أى قنبلة هيدروجينية فإنه سيحدث بعدها موت جماعى عالمى ...

« وإلغاء الحروب يتطلب أمراً كريهاً هو الحد من السيادة القومية » . ومع أن اتفاقاً لاستنكار الأسلحة النووية بوصفه جزءاً من خطة عامة لخفض الأسلحة قد لا يؤدى إلى حل نهائى إلا أن ذلك قد يخدم بعض الأهداف الهامة.

القرار : «نحن ندعو هذا المؤتمر ، وعلماء العالم والرأى العام عن طريقـه ، أن يوافقوا على القرار التالى :

نظراً إلى الحقيقة فى أى حرب عالميـة قـد تنشـب فـى المستقبل فـإن مـن المؤكد أن تستخدم فيها الأسلحة النووية ، ومن حيث أن مثـل هـذه الأسـلحة يهدد استمرار البشر فـى الحيـاة فإنـا نحـث حكومـات العـالم أن تـدرك ، وأن تعترف علناً ، بأن أهدافها ومراميها لا يمكن أن تتحقق عن طريق حرب عالمية، ونحن نحثها تبعاً لذلك أن تجد الوسائل السليمة لتسوية كل الصراعـات القائمـة بينها ».

وقد أذيع هذا البيان لأول مـرة فـى الجمعيـة العالميـة للبرلمـانيين مـن أجـل حكومة عالمية الذى دعا إليه راسل وانعقـد فعـلاً بلنـدن عـام ١٩٥٥ ، وكـان هذا بداية لكل المحادثات التى جرت حول نزع السلاح والدعاية لتجميد النواة وإذاعة برامج تلفزيونية عن أهوال الحرب النووية من قبل رجل كان قد اقـترح هو نفسه منذ سبع سنوات مضت إنزال ضربة قاضية نووية على نطـاق واسـع ضـد السـوفيت مـا لم يوافقـوا علـى الاستسـلام لامبراطوريـة العـالم الأنجلـو سكسونى ؟ !! .

❁ ❁ ❁

وبعد ... وقبل أن ينصرف هذا الجمع وينفض !!

أعيد توجيه السؤال الذى وجهه السيد جراهام Graham من قبل .

هل الإسلام دين سلام أم حرب .. ؟

وهل يعتمد فى دعوته على الإقناع أم الإكراه والضغط ؟

أراكم ملتزمين بالصمت .. والصمت ... علامة الرضـا والقبـول – عنـد طلب الزواج – من الفتاة البكر .. !!

لقد ضحك الجميع بصوت مرتفع ... والتقت العيون بالعيون فى حياء غير مألوف ولا معروف بهذا المجتمع ... !

إنهم قوم بسطاء ... بسطاء حقاً ... وضحايا فعلاً ..

ضحايا المناهج «العنصرية» فى معاهد العلم ...

وضحايا «الأوكار الخفية» فى دواوين الحكم ...

وضحايا الكنيسة وكراهيتها للإسلام منذ ظهر الإسلام وحتى هذا اليوم..؟ !!

۞ ۞ ۞

أما لماذا هذا التحامل والكراهية للإسلام كما تسأل الآنسة «روث» Ruth ... فلأن الإسلام هو «االمستقبل» .. بعد أن فقدت الإنسانية هذا «الأمل»، وبعد أن فشلت كل النظريات والإيديولوجيات التى جعلت من حياتنا جحيماً لا يطاق ولا يحتمل ... يؤكد ذلك . ما كتبه المستشرق الألمانى «بأول شمت «فى كتاب ألفه وسماه «الإسلام قوة الغد»!!

يقول هذا المستشرق : إن التاريخ سيعيد نفسه مبتدئاً من الشرق عوداً على بدء من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية الإسلامية فى الصدر الأول للإسلام ، وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية ، وستثبت هذه القوة وجودها . إذا ما أدرك المسلمون فعالية هذه القوة[1] والاستفادة منها ...

وقد وصف ذلك شاعر الإسلام العظيم محمد إقبال فى قصيدته الرائعة «برلمان إبليس» حيث قال :

إن إبليس وأعوانه اجتمعوا فى مجلس شورى ، وتباحثوا فى شؤون العالم، وأخطار الغد ، وما يتهدد مملكة الفساد والشر فقال أحد الشياطين :

(١) الإسلام قوة الغد ، ترجمة د/ محمد شامة .

إن الخطر على هذه المملكة الشيطانية من الحكم الجمهورى ..

فقال شيطان آخر : لا يهولك أمرها ، إنها ليست إلا غطاء للملوكية ونحن الذين كسونا الملوكية هذا الغطاء إذ رأينا الإنسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته وخفنا ثورة على نظامنا فألهيناه بلعبة الجمهورية . أما رأيت نظام الغرب الجمهورى له وجه مشرق وضاح وباطنه أظلم من باطن جنكيز خان.!!

فقال شيطان آخر : لا . لا إن الخطر يتهدد مملكتنا من الشيوعية هل عندكم نبأ هذه الفتنة التى أثارها ضدنا اليهودى كارل ماركس ؟ لقد أثار العبيد على السادة حتى تزعزعت مبانى الإمارة والسيادة ..

فقال إبليس معترضاً على أعوانه مهدئاً :

إنى أملك زمام العالم وأتصرف فيه كيف أشاء ..

إنى لا أخاف هؤلاء ولا هؤلاء إنى أخاف فقط من أمة لا تزال شرارة الحياة فيها كامنة ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحراً .

إن الإسلام هو فتنة الغد ، وداهية المستقبل . ليست الشيوعية ولا الجمهورية .

وأنا أعلم أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً .

وإنها شغفت بالمال وفتنت بجمعه .

أنا خبير بأن ليل الشرق داج مكفهر وأن علماء الإسلام وشيوخه لم تعد لهم تلك اليد البيضاء التى تشرق بها الظلماء وتضئ بها العالم .

ولكنى أخاف أن قوارع الدهر ستقض مضجعها وتوقظ هذه الأمة .

فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متوارياً عن أعين الناس .

اضربوا على أذان المسلم فإنه يستطيع أن يبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ..
يا ويلتنا وشقوتنا إذا انتبهت هذه الأمة ودبت فيها الحياة[1] ... !!!

۞ ۞ ۞

ترى هل أقنعك ذلك يا آنسة روث Ruth ؟

لكن لا بأس من الإدلاء بشهادة أخرى ، وهى - أى هذه الشهادة - تأتى هذه المرة من فرنسا .. وعلى لسان رجل يحفظ اسمه كل مثقف فى أوروبا .. أتدرون من يكون هذا الرجل ؟ إنه «فولتير» الذى طبقت شهرته آفاق هذه الدنيا .. والذى أصدر البابا قراراً بحرمانه كما حدث مثل ذلك مع «تولستوى» فى روسيا ..

يقول فولتير :

أيها الأساقفة والرهبان والقسس .. !!!!

أكرر لكم القول أيها الجهلة الأغبياء .. الذين غرر بهم جهلة أغبياء ، وأفهموكم أن عقيدة محمد عقيدة لذات وجنس ... فى حين أنه أبعد ما يكون عن هذا الوصف .

لقد خدعتم فى هذا الفهم .. كما خدع أباؤكم من قبل ... أيها الأساقفة والرهبان والقسس .. !!

إذا فرض عليكم قانون يحرم عليكم تناول الطعام من الرابعة صباحاً .. وحتى العاشرة مساءً ... وفى شهر يوليو القائظ ... عندما يجئ الصيام فى هذا الشهر .

وإذا حرم عليكم لعب الميسر ، وإلا لحقت بكم لعنة الله ...

وإذا حرم عليكم شرب الخمر تحت التهديد بالجزاء نفسه

---

(١) روائع إقبال ترجمة العلامة أبو الحسن الندوى

وإذا فرض عليكم الحج فى صحراء محرقة ..

وإذا فرض عليكم إخراج اثنين ونصف فى المائة من أموالكم للفقراء ..

وإذا كنتم تتمتعون بثمانى عشرة زوجة فجاء من يحذف أربع عشرة زوجة من هذا العدد .

هل يمكنكم الإدعاء مخلصين بأن هذه الشريعة شريعة لذات وجنس ...

أو شريعة حرب وسيف ؟ ..

❁ ❁ ❁

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ..

فإنكم كالقبور المطلية .. تبدو جميلة من الخارج ... ولكنها من الداخل ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة .. !

كذلك أنتم تبدون أمام الناس أبراراً ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق ... يا أولاد الأفاعى .. !!

كيف تتكلمون بالصالحات وأنتم فجرة[1] ... !!!!!!

❁ ❁ ❁

لقد عقدت الجلسة الأخيرة من هذا الحوار فى ظروف مضطربة الطقس ، وفى جو عاصف تضيق به النفس ... فالشوارع شبه خالية والمنطقة التى يقع فيها المسجد أمست خلاء من الحياة والحركة ... إن سيدنى **Sydney** هى أهم مدينة فى هذه القارة .. ، وحى «سرى هيلز» **Surry Hills** الذى يقع فيه المسجد من أشهر الأحياء وأهمها فى هذه المدينة . فكيف استحالت المدينة إلى شبه مقبرة ؟ وماذا جرى كى يهرع الناس إلى بيوتهم فى هذه الساعة

---

(١) من كلام المسيح عليه السلام

المبكرة؟.. ظاهرة كئيبة ينقبض منها الصدر   ومما ضاعف من هده الكآبة صراخ السكارى الذين سقطوا على جوانب الطريق من شدة السكر   !!

وفجأة .. وقف المستر جراهام Graham ليعلن دخوله فى الإسلام ؟ !!

ما هذا ؟ لقد هدأت العاصفة ؟ وتسللت أشعة الشمس إلى الحاضرين من خلال النافذة .. وعادت الحركة والحياة إلى الشوارع الخالية المقفرة ..

هل هى المصادفة ؟ أم الطبيعة المتقلبة ؟ أم القدر الذى هيأ – لنهاية الحوار – هذه الظاهرة الجميلة الطيبة ؟

* * *

فى ميناء سيدنى Sydney Harbour كانت السفن تتهيأ للإقلاع بعد أن هدأت العاصفة ، وفى لحظة واحدة امتزج صوت المؤذن بتغريد الطيور المهاجرة وهى ترفرف بأجنحتها فى السماء الصافية ، وكانت الشمس قد انسحبت عبر خليج بوتانى Botany بعد أن ألقت على مدينة سيدنى نظرة وداع أخيرة .. !!

فكيف تحول الطقس فجأة إلى النقيض والعكس ، وكيف تغير الجو فى نهاية الحوار على هذا النحو ؟

والتفت لأرى الآنسة روث ... وهى تهمس فى أذن البعض ثم ترفع يدها فى حركة تشير بها إلى !!

– ماذا تريدين أن تقولى أيتها الآنسة روث Ruth؟

• أقول إنى مسلمة .. وإننى على ما فات من عمرى نادمة .. !



واحتبس صوتى من رهبة الموقف ... واغرورقت عيناى بـالدمع الـذى لم يتوقف .. وقبل أن تبدأ الصلاة أقبل الجميع يودعوننى بعاطفة بعيدة عن الزيف والتكلف ..

السيدة ليندا	Linda
والسيدة نانسى	Nancy
والآنسة فيكى	Vieki
والآنسة أريس	Arice
والآنسة أليس	Alis
والآنسة كرستين	Kristin
والسيد بول	Paul
والسيد إدوارد	Edward
والسيد جون	John
والسيد ريتشارد	Richar
والسيد ماكميلان	Macmilan
والسيد أندرو	Andrew

وأخيراً السيد فوكس Fox الذى ظهر فجأة فى نهاية الصف .. !!!

ولكن أين السيد جراهام Graham والآنسة روث Ruth ؟

كان يتحدثان إلى المؤذن ، ويستقبلان معه الناس الذيـن حضـروا للصـلاة فى المسجد ... !!!

وهذه هى المعجزة .

معجزة الإسلام حين ينشرح له الصدر ..

ومعجزة الإيمان حين يتمكن من القلب .. والعقل ..

ومعجزة الفطرة .. حين ترجع إلى الحق بعد أن حال الزيف والباطل بينها وبين هذا الحق .. !!



المحتويات